قمبيز

بين

الفردوسى وشوقى

(الأسطورة والتاريخ)



تأليف

د. سميرة عبد السلام عاشور

الأستاذ المساعد بكلية الآداب

جامعة الإسكندرية

قمبيز

بين
الفردوسى وشوقى
(الأسطورة والتاريخ)

تاليف
د. سميرة عبد السلام عاشور
الأستاذ المساعد بكية الأداب
جامعة الأسكندرية

١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

إن إعادة بناء الأسطورة فى شكل أدبى من الموضوعات التى استحوذت على اهتمام الأدباء منذ أقدم العصور الأدبية ، وهذا مما يعين على تقديم أكثر من رؤية للعمل الأدبى وللأديب نفسه الذى يستوحى الأسطورة. واستلهام الحكاية أو الأسطورة كما يذكر طه وادى ـ أكثر تأثيراً فى الفن حيث يتجادل الواقع مع التراث فتبدو الأسطورة فى شكل واقعى ، أو يصور الواقع على أنه أسطورة.

وهذا البحث(قمبيز بين الفردوسى وشوقى) يدور حول شاعرين حرصا على استلهام الأساطير التاريخية فى أعمالهم الفنية: أما«الفردوسى» (ت سنة٤١١هـ) فهو ناظم ملحمة الفرس الكبرى الشاهنامة.التى صاغ فيها تاريخ الفرس منذ أقدم العهود الأسطورية إلى نهاية عصر الساسايين. تلك الملحمة التى مازالت تلقى كل حفاوة بين الملاحم العالمية كما صارت مصدراً أساسياً عند الدارسين يستمدون منها معلوماتهم عن الفرس القدامى وعن عاداتهم ومعتقداتهم من ناحية ومن ناحية ثانية لما تزل مصدراً للتاريخ الفارسى الأسطورى وفقاً لما تصوره معتقدات الإيرانيين أنفسهم.

بينما «أحمد شوقى» أمير شعراء العربية فى العصر الحديث ، وأول من أدخل فن المسرحية الشعرية إلى الأدب العربى واستلهم هو أيضا ـ التاريخ والأساطير التاريخية فى أكثر من عمل شعرى مسرحى له فنظم مسرحية«كليو باترا» مستمداً موضوعها من تاريخ مصر فى عصر البطالمة. ونظم مسرحية«على بك الكبير» مستمداً موضوعها من تاريخ مصر فى عصر المماليك ، كما استلهم التاريخ الممتزج بالأساطير موضوعاً لبعض مسرحياته مثل مسرحية«مجنون ليلى» ومسرحية«قمبيز» موضوع هذا البحث والتى تقف بين التاريخ والأسطورة أيضا من بعض نواحيها.

وشخصية قمبيز التى استلهمها الشاعران مادة لعمل كل منهما الفنى

د.طه وادى: شعر شوقى الغنائى والمسرحى: ص٩٥ . الطبعة الثالثة دار المعارف سنة١٩٨٥م.

هى أيضاً شخصية تاريخية تمتزج فى سيرتها الأسطورة بالتاريخ، بل وفى كثير من الأحيان تتغلب الأسطورة على التاريخ حتى يبدو من الصعب تمييز ماهو أسطورى مما هو تاريخى. وأكثر من هذا أنها صارت ملتقى لأساطير عديد من الأمم المختلفة من فرس ومصريين ويونانيين تتجمع خيوطها لتنسج لنا ملامح هذه الشخصية فى الأدبين الفارسى والعربى.

ففى الأدب الفارسى القديم ولا سيما شاهنامة الفردوسى هناك ملامح معينة تتسم بها شخصية قمبيز ويسمى فى الشاهنامة باسم «كى كاوس» حيث تتغلب الأساطير فى سيرته لتصبح هى العنصر المسيطر على باقى العناصر.

أما«قمبيز» فى أدبنا العربى وبالتحديد فى مسرحية « أحمد شوقى» فله كثير من الملامح الشخصية لـ«كيكاوس» لكن التفاصيل تختلف، والأساطير التى تدخل فى صياغة تاريخه أيضا تختلف. فإذا كانت قصة «قمبيز»(كيكاوس) عند الفردوسى هى أساطير فى أغلبها تمازجها بعض الحقائق التاريخية فإنها عند شوقى تاريخ تمازجه بعض الأساطير.

وهدفى من هذا البحث أن أميز بين الأسطورة والتاريخ عند الفردوسى وعند شوقى، وقد توقفت أثناء بحثى هذا عند جهود من سبقونى أتلمس منهم العون فى هذا الدرب فوجدت بحوثاً حاولت أن تدرس كل شاعر على حدة: ففى الفارسية هناك د. ذبيح الله صفا فى كتابه المتميز«حماسة سرائى در ايران» وقد أوضح فيه أصل أساطير الشاهنامة كما جاءت فى المصادر الدينية القديمة من أفستاو ڤيداو من بندهش ودينكرت.كما حاول أن يفسر بعض هذه الأساطير فى دراسة جادة هادفة. أما فى العربية فقد انصبت معظم الدراسات التى تحدثت عن هذه المسرحية ـ عند شوقى ـ على نقد وتحليل المسرحية من الناحية الفنية» ولم أر من حاول أن يميز الجانب التاريخى والأسطورى فيها إلا «العقاد» فى كتابه «قمبيز فى الميزان» وكان فى كتابه هذا ـ والحق يقال ـ شديد التجنى على شوقى، فلم ينصفه فى أغلب ما كتب وعامله على أنه مؤرخ لا مبدع ولقد أشرت إلى هذا فى مواضعه من البحث. كما لم توجد فى دراسات

من سبقنى من حاول المقارنه بين العملين لبيان أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف عند الأديبين. وهذا ما أحاول القيام به أيضاً فى هذا البحث. وللوصول إلى هذا الغرض قسمته إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول عن : قمبيز(كيكاوس) فى شاهنامة الفردوسى وخصصت الفصل الأول منه للحديث عن مصادر الشاهنامة سواء أكانت مصادر عامة للشاهنامات كلها أم كانت مصادر خاصة لشاهنامة الفردوسى.

وفى الفصل الثانى من هذا الباب عرضت لقصة قمبيز(كيكاوس) كما جاءت فى الشاهنامة وبسبب غلبة الأساطير عليها فقد رأيت من الأوفق أن أقارن بين القصة كما جاءت فى الشاهنامة وبين أصلها الذى جاءت عليه فى المصادر الدينية القديمة وفى كتب التواريخ الإسلامية كما حاولت أيضا تفسير بعض هذه الأساطير، وردها إلى ما تشير إليه فى الواقع.

أما الباب الثانى فقد تحدثت فيه عن قمبيز عند شوقى. وفى الفصل الأول منه عرضت لمصادر شوقى. أما الفصل الثانى فجعلته للأسطورة والتاريخ فى مسرحية شوقى، وعرضت فيه لموقف شوقى عموماً من التاريخ والأسطورة، ثم بينت موقفه منهما فى هذه المسرحية خصوصاً.

وخصصت الباب الثالث للدراسة الأدبية النقدية المقارنة. فقارنت فى الفصل الأول منه بين قمبيز وكيكاوس لأبين أوجه التشابه بين الشخصيتين والتى رجحت لدى أنهما شخصية واحدة. وفى الفصل الثانى قارنت بين الفردوسى وشوقى لأبين أوجه التشابه والاختلاف بينهما. ثم ختمت بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث.

وبعد فأرجو أن أكون قد وفقت فى اختيار الموضوع وفى الدراسة ، وإلا فعذرى أنها محاولة على الطريق:

والله ولـــى التـــــوفيق

الإسكندرية

مايـــــو سنة ١٩٩٧

الباب الأول

قمبيز (كيكاوس) عند الفردوسى

الفصل الأول: مصـــــادر الشاهنامة

الفصل الثانى: القصة فى الشاهنامة

الفصل الأول
مصادر الشاهنامة

مصادر الشاهنامة :

تغنى الفردوسى[١] فى ملحمته الخالدة (الشاهنامة) بتاريخ أمته وأساطيرها. وقد ضمت الشاهنامة فى مادتها الأساسية مزيجا من الأساطير الدينية ، والخرافات الشعبية ، والقصص التاريخى ، ونعنى فى هذا الفصل بالتعريف بأهم المصادر التى استمدت منها كتب الحماسة الفارسية مادتها. كما كانت مصدراً أيضا لكتب التواريخ الإسلامية[٢] فى معلوماتها عن الفرس القدماء و أهم هذه المصادر هي:

١ـ الأفستا(الأبستاق) :

وهو كتاب زرادشت المقدس ، ويقول عنه المسعودى (ت سنة٣٤٦هـ) إن هذا الكتاب الذى أتى به زرادشت مكتوب فى اثنى عشر ألف مجلد بالذهب، وفيه وعد ووعيد ، وأمر ونهى ، وغير ذلك من الشرائع والعبادات، وكانت الملوك تعمل بما فى هذا الكتاب إلى عهد الإسكندر الذى أحرق بعضا منه، وعندما صار الملك إلى أردشير جمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها إستاد؛ فالفرس(المجوس) إلى هذا الوقت لا يقرأون غيرها ، والكتاب الأول يسمى«يسناه».[٣]

---

(١)هو أبو القاسم الفردوسى من دهاقين طوس من قرية تُسمى «باز» كان له فى قريته مكانة ، وكان مستغنياً بدخل ضياعه (فى بعض الآراء) وقد أشتغل خمساً وعشرين سنة فى نظم الشاهنام ، وقد ولد حوالى سنة٣٢٩هـ/٩٤٠م وتوفى(سنة٤١١هـ/١٠٢٠م) ويقال إنه سمع أن الدقيقى الشاعر كان ينظم الشاهنامة قبل أن يقتل ، وكان هو منطلقاً لنظمها ، ولم يكن لديه كتاب الملوك، فاستشار صديقاً له فرغبه وحرضه على ما تصدى له، وأخبره أن الكتاب كامل لديه، فبدأ بنظم حرب أفريدون والضحاك فأولع الناس بنظمه، وكافأه والى طوس أبو منصور، وتقع الشاهنامة فى حوالى ستين ألف بيت، وتعد فى أغلب الآراء أعظم الآثار الأدبية عند الإيرانيين. وتعتبر مرجعاً أساسياً للمعلومات عن الفرس القدماء ومعتقداتهم.(راجع:عروضى سمر قندى: چهار مقاله:انتشارات كتابفروشى زوار تهران ؛ نولد كه: حماسة ملى ايران ترجمة بزرك علوى تهران ؛ براون:تاريخ الأدب فى ايران ترجمة د.أحمد كمال الدين ط الكويت سنة١٩٨٤ ، عبد الوهاب عزام:مقدمة الشاهنامة العربية دار الكتب المصرية سنة١٩٣٢م ؛د.طه ندا دراسات فى الشاهنامة الدار المصرية سنة١٩٥٤م).

(٢)أشهر المؤرخين المسلمين الذين اعتمدوا هذه لمصادر فى تدوين تاريخ الفرس لطبرى ت سنة٣١٠هـ) والمسعودى (تسنة٣٤٦هـ) وحمزة الأصفهانى (ت قبل سنة٣٦٠هـ) والبيرونى (ت ٤٤٠هـ) واليعقوبى (ت ٢٨٤هـ) والثعالبى (ت ٤٤٩هـ)

(٣)المسعودى:مروج الذهب ومعادن الجوهر:حـ١ص٢٢٩ـ٢٣٠ط بيروت.

وينقسم الأفستا اليوم إلى خمسة أقسام هى: ١ـ ونديداد ٢ـ يسنا ٣ـ يشتها ٤ـ خرده افستا ٥ـ ويسبرد ويعتبر القسم الثالث (يشتها) أهم أقسام الأفستا ـ كما يذكر ذبيح الله صفا ـ من حيث تدوين وحفظ الروايات القومية والأساطير الدينية[١]. وقد حفظ الأفستا روايات أمة قديمة نسجت حول أبطال تدل أسماؤهم أنهم كانوا من بقايا قوى الخير والشر فى الدين الآرى القديم، الذى قام على عبادة الطبيعة[٢]. وقد اشتركت الفيدا الهندية فى حفظ هؤلاء الأبطال، وقد جاء ذلك ـ كما يذكر ذبيح الله صفا ـ من اشتراك القوم الهنود والإيرانين فى موطن واحد قبل الهجرة من الهند، وفى تلك الأيام كان لهم أبطال مشتركون مثل جم هو فى الفيدا(يم) وفى الأفستا (ييم) ومثل غيرهم من الأبطال الذين كان لكل منهم سيرته وأسطورته الخاصة به عند قومه[٣].

٢ـ كتاب الدينكرت:

وهو من أهم الكتب الدينية البهلوية وتعود أهميته لأنه قد حفظ معظم الروايات القومية الإيرانية وحفظ بعض أجزاء مفقودة من الأفستا، وهو أيضا من أكثر الكتب البهلوية تفصيلا: ويقع فى تسعة مجلدات فقد منها المجلدان الأول والثانى، ويحتوى هذا الكتاب على مجموعة عظيمة من المعلومات الدينية والعادات والعقائد والروايات والتاريخ والآداب المزدية. أما مؤلف هذا الكتاب فهو آذر فرنبغ سن فرخزاد وكان معاصراً للخليفة المأمون أى أنه كان يعيش حتى القرن الثالث الهجرى[٤].

٣ـ كتاب البندهشن (ويعنى الخليقة) :

ويعد ثانى الكتب الدينية البهلوية المهمة والمشهورة. وفيه معلومات عن بدء الخليقة وعن المسائل الدينية الأخرى وفيه أيضا بعض المعلومات التاريخية

(١) ذبيح الله صفا: حماسة سرائى درايران: ص٢٩ـ٣٠ ـ خودكارايران سنة١٣٢٤هـ
(٢)مقدمة الشاهنامة العربية: ص٢٧
(٣)حماسة سرائى: ص٢٧
(٤)المرجع السابق: ص٤٨

والجغرافيه وفى هذا الكتاب تاريخ إيران منذ أقدم العصور الأسطورية إلى نهاية العصر الساسانى ، وله تأثير كبير فى الآداب الفارسية [١].

٤ـ آيين نامـه :

وهو كما يذكر المسعودى كتاب الرسوم وهو عظيم فى الألوف من الأوراق، ولايكاد يوجد كاملاً إلا عند الموابدة وغيرهم من ذوى الرياسات[٢]، وفيه القواعد التى سارت عليها الدولة وأنواع الرياضات الخاصة بالإشراف[٣]، وقد ترجمه ابن المقفع إلى العربية[٤].

الكـاهنامـه :

وهو جزء من الآيين وفيه مراتب عظماء فارس وأنها ستمائة مرتبه[٥].

٥ـ الكارنامج :

وقد ذكره المسعودى بهذا الشكل ، وورد فى بعض النسخ أنه الـ«كاريامخ»وأعتقد أن التسمية الأولى أصح وعليها يكون المقصود به الكتاب البهلوى المعروف باسم «كارنامك اى ارتخشتراى بابكان» أى كتاب «كارنامه ارد شير بابكان» ، ويحتوى على أخبار «أردشير» (مؤسس الدولة الساسانية) وحروبه وسيره فى الأرض [٦]. وقد ذكر براون أنه طابق بين ما جاء فى الشاهنامة عن أرد شير بن بابك ، وما جاء فى الكتاب البهلوى «كارنامك ارتخشتر بابكان» فوجد تطابقا بين أحداث القصة كما جاءت فى المصدرين، وقد خلص من هذا أن الفردوسى كان وفياً أميناً فى محاكاة الأصل البهلوى[٧].

---

(١) حماسه سرائى: ص٥٠ ـ ٥١

(٢) المسعودى: التنبيه والإشراف: ص١٠٤ .ط ليد ن سنة ١٨٩٤م.

(٣) كريستنسن: إيران فى عهد الساسانيين (ترجمة د.يحيى الخشاب) ص٤٦ القاهرة سنة١٩٥٧م

(٤) ابن النديم: الفهرست: ص٣٤٢ ـ المطبعة الرحمانية ـ سنة١٣٤٨هـ.

(٥) التنبيه والإشراف: ص١٠٤

(٦) مروج الذهب: حـ١ ص٢٤٨

(٧) براون: تاريخ الأدب فى إيران ٠ترجمة د.أحمد كمال الدين حلمى) :حـ١ ص٢٣٥ ـ جامعة

٦ـ«تاج نامه» :

كتاب التاج: ويقول عنه كريستنسن إنه خاص بذكر أحاديث ملوك إيران وتعاليمهم ومراسمهم وما يشبه هذه المسائل ويسميه بعضهم كتاب الصور اعتماداً على ما قاله المسعودى عنه حيث يقول رأيت فى مدينة اصطخر فى أرض فارس عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم لم أجدها فى شيء من كتب الفرس كخداى ناماه وآئين ناماه وكهناماه وغيرها ، مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكاً منهم خمسة وعشرون رجلاً وامرأتان قد صور الواحد منهم يوم مات شيخاً كان أو شاباً وحليته وتاجه ومخط لحيته ، وصورة وجهه.... وأن تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة١١٣هـ ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية [١].

٧ـ خداى نامه :

أصل اسمه فى البهلوية (خوتاى نامك) أى كتاب الملوك ، وهو كتاب فى سير ملوك الفرس منذ عهد «كيومرت» أول ملوك البيشداد يين إلى «يزدجرد الثالث» (٦٣٢ـ ٦٥٢م).ويعتبر أهم الكتب السابقة ، وقد ذكره المسعودى فى التنبيه والإشراف[٢]، كما تحدث عنه حمزة الأصفهانى (ت قبل سنة٣٦٠هـ) وقال إنه وجد ثمانى نسخ لهذا الكتاب ، منها نسخة من ترجمة ابن المقفع ، وأخرى من ترجمه محمد بن الحهم البرمكى ، وثالثة من ترجمة زادويه بن شاهويه الأصفهانى ، ورابعة من ترجمة محمد بن بهرام بن مطيار الأصبهانى.... الخ. ويضيف إلى هذا أنه لما اجتمعت له هذه النسخ ضرب بعضها ببعض حتى استوفى منها حق هذا الكتاب[٣]. وأساس التعدد فى الترجمات تعدد فى الأصل المترجم عنه يتضح ذلك من قول موسى أبن عيس الكسروى الذى نقل عنه حمزة قوله" « إنى نظرت فى الكتاب المسمى خداى

(١)التنبيه والرشراف: ص١٠٦

(٢)نفس المرجع السابق: ص١٠٦

(٣)حمزة الأصفهانى: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص٩ـ١٠ ط برلين

نامـة ، وهو الكتاب الذى لَمّا نُقل من الفارسية إلى العربية سُمى (كتاب ملوك الفرس) فكررت النظر فى نسخ هذا الكتاب وبحثتها بحث استقصاء فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين ، وذلك كان لا شتباه الأمر على الناقلين لهـذا الكتاب من لسان إلى لسان"»[1]. وفى هذا الكتاب اختلطت القصص والروايات والأساطير القومية والدينية بالحقائق التاريخية. ومصدر تلك الروايات والأساطير هى الأفستا والروايات الشفاهية عن الأيام الماضية[2] ، ويقول عنه عبد الوهاب عزام إن الفرس قد خلطوا بالبقية القليلة التى وعوها عن ملوكهم الأقدمين ، وبما عرفوا عن تاريخ الأشكانيين مارواه لهم كتاب دينهم، فانقلب الأبطال وأشباه الألهة فى الأبستاق ملوكاً قدماء سيطروا على إيران، وأضيف إلى هذا الخليط ما عرفه الفرس من عداء الاشوريين والعرب والتورانيين من أساطير قديمة أو وقائع حديثة رّدوها إلى عهد قديم ، وزيد على هذا وذاك ما اخترعته خيالات الجماهير، فصار هذا كله قصصاً حماسياً احتفظ بها الدهاقين وحدثوا بها، وأنشدها الناس فى محافلهم وأعيادهم، أضيف إلى هذا تاريخ الساسانيين، ودون هذا كله فى كتاب سمى باستان نامه أو خداى نامه[3] ، ويضيف نولدكه، إلى هذه المصادر مصدراً آخر يذكر أن الفردوسى استفاد منه وهو كتاب «يادكار زريران» ويقول إنه من أقدم قصص البطولة وأنه فى شرح حال البطل «زرير»[4]. وهناك أيضاً كتاب (مزدك نامه) وهو كتاب عن مزدك الشيوعى وصلته بالملك قباد وقد ترجم «ابن المقفع» هذا الكتاب نثراً وترجمه «اللاحقى» شعراً [5].

وهناك أيضاً كتاب «وهرام چوبين نامك» عن قصة الغاصب بهرام چوبين[6]. وقد ترجمه«جبلة بن سالم» إلى العربية [7]. وقد ضاعت الأغلبية العظمى من هذه المؤلفات، ولم يجد الفرس عندما أرادوا ونقل تراثهم القديم إلى الفارسية الحديثة فى عصر الدولة السامانية(٢٧٩ ـ ٣٨٩هـ) لم يجدوا بداً من الرجوع إلى الترجمات العربية فنقلوها إلى لغتهم.

---

(١) تاريخ سنى ملوك الأرض: ص١٥
(٢) حماسة سرائى: ص٦٣
(٣) مقدمة الشاهنامة العربية: ص٢٧
(٤) حماسة ملى: ص٨
(٥) الفهرست: ص٣٤٢
(٦) ايران فى عهد الى الساسانيين: ص٥٦.
(٧) الفهرست: ص٤٢٤.

وكانت هناك وسيلة أخرى للاحتفاظ بهذه الثقافة كما يحدثنا د.على الشابى ، وهى:

الموابدة والدهاقين:

وقد احتفظوا بغير تهم على ثقافة القوم وتراثهم ، وكانوا الرواة الحفظة للتواريخ والذكريات ، ولم ينقطعوا عن هذا الصنيع بل ارتبطوا بها ، وقد وجد فيهم التراجمة إلى الفارسية الإسلامية حين قاموا بالنقل بالإضافة إلى الترجمات العربية ، مما سهل أمامهم عملهم ، فأكملوا الناقص ، ورتبوا المضطرب وأضافوا الجديد.وحين ظهرت الشاهنامات كانت تستمد من هذه الأصول ، تتغنى بالبطولة ، وتمزج بين الخيال والواقع ، وتمجد الماضى وتعيش على ذكراه[1] .

شاهنامة أبى منصور :

من المصادر التى رجح معظم دارسى الفردوسى[2] أنه استفادمنها شاهنامة أبى منصور هذه ، وهى شاهنامة نثرية أُلفت سنة٣٤٦هـ بأمر«أبى منصور محمد بن عبد الرازق وكان من أعيان طوس ورؤسائها وقد أمر«أبو منصور المعمرى» باستقدام أرباب الكتب من الدهاقنة ، والحكماء من المدن، فاجتمع له:

«شاج بن خراسانى» من هراة. و«يزدان دار بن شابور» من سجستان و«ماهوى خورشيد بن بهرام» من نيشابور و«شاذان بن برزين» من طوس ، وألفوا هذه الشاهنامة [3]. وقد أشار الفردوسى نفسه فى مقدمة شاهنامته إلى قصة تشبه القصة السابقة تماما فقال[4] :

ـ كان هناك كتاب قديم ، به الكثير من القصص.

---

(١)د.على الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى: ص١٢٠ـ١٢١ تونس سنة١٩٦٥

(٢)راجع: حماسة سرائى:ص١٠٣؛ الأدب فى العصر الغزنوى:ص١٢٥؛ دراسات فى الشاهنامة:ص؛ مقدمة الشاهنامة العربية:ص٢٧.

(٣)مقدمة شاهنامة أبو منصورى ، نقلا عن هزار سال نثرپارس: ص٤١.

(٤)شاهنامة فردوس: حـ١ص٨ط بروخيم طهران سنة١٣١٣ س. الأبيات بالفارسية:

يكى نامه بود از كه باستان   فراوان بدو اندرون داستان =

ـ كانت متفرقة فى أيدى الموابدة ، فكان كل عاقل يحصل منها على نفع.

ـ وكان هناك بطل منتسب إلى الدهقان ، شجاع عظيم وعاقل كريم.

ـ باحث عن التاريخ القديم ، وجد فى هذا الكتاب السير الماضية.

ـ فأحضر من كل إقليم موبداً مسناً ، وجمع الكتاب .

ـ وسألهم عن أصل الكيانيين ، وعن حياة أولئك المشهورين المسعدين.

ـ وعمَ عندهم عن أصل الدنيا ، ليعلمونا به.

ـ فتحدثوا أمامه واحداً واحداً من العظماء ، عن الملوك وتغير الأيام .

ـ وعندما سمع منهم الحاكم هذا الكلام ، وضع كتاباً مشهوراً.

ـ وهكذا صارت له هذه الذكرى فى العالم ، وأثنى عليه الكبار والصغار.

ولعل طريقة تأليف هذه الشاهنامة توضح الاهتمام الزائد فيها بالقصص الشعبى والأبطال القوميين ، ويتضح هذا بالذات فى شاهنامة الثعالبى وشاهنامة الفردوسى. وقدرجعا لنفس المصدر ـ كما يذكر النقاد أيضاً ـ وهو شاهنامة المنصورى[1]. فهؤلاء الدهاقنة وموابدة الفرس الذين استقدمهم «أبو منصور» لكتابة هذه الشاهنامة حرص كل منهم ـ فيما أرى ـ على تسجيل الإبطال الذين اشتهروا من إقليمه أو أسرته ، ويؤكد هذا قول نولد كه: إن وجود أسماء أصحاب مقامات عالية فى الشاهنامة من أمثال« كَودرز» و« كَيو» و«طوس»

= برا كنده دردست هر موبدى ... ازو بهره اىِ برده هر بخردى
يكى پهلوان بِود دهقان نزاد ... دلِير وبزركِ وخردمند وداد
بزوهنده روزكار نخست ... كذ شته سخنها همه بازجست
زهر كشورى موبدى سالخورد ... بياورد كاين نامه راكَرِد كرد
بپرسِيد شان از نزاد كيان ... وزان نامداران فرخ كوان
كِه كيتى بآغاز چون داشتند ... كه ايدر بما خوارِ بكذا شتند
بكفتند بيشش يكايك مهان ... سخنهاى شاهان وكشت جِهان
چو بشنيدِ زيشان سپهبد سخن ... يكى نامور نامه افكند بن
چنان يادكارى شد اندر جهان ... برو آخرين ازكهان ومهان

(١) راجع ذبيح الله صفا ؛ براون ؛ نولد كه ؛ على الشابى.

و«بيزن» ـ وهم لم يكونوا من الملوك ـ أثر من آثار نفوذ الأسر الكبيرة ذات الأصل الإشكانى والتى كانت ذات شوكة وشأن كبير فى عصر الساسانيين، وكانوا يعدون أجدادهم من الأبطال القوميين(١).

شاهنامة الدقيقى:

قد يكون مفيداً فى هذا المقام أيضاً أن نشير إلى أحد الأعمال الملحمية التى سبقت الفردوسى ، وهى شاهنامة الدقيقى(ت قبل سنة٣٧٠هـ) أى قبل أن يشرع الفردوسى فى نظم شاهنامته ، ويقال إن نوح ابن منصور بن نوح السامانى (٣٦٥ ـ ٣٨٧هـ) هو الذى أمره بنظم الشاهنامة ، وقد نظم ألف بيت منها ـ كما يصرح الفردوسى ـ فى الشاهنامة عن ظهور زرادشت وحرب كَشتاسب وأرجاسب، وقد أدرجها الفردوسى ـ فى شاهنامته استجابة لرغبة الدقيقى فى الحلم، وبعد أن نقلها فى الشاهنامة يتخلص قائلا (٢).

ـ فأوصل الدقيقى الكلام إلى هذا الحد ، وقضى الزمان على جذر عمره.

ـ واسترق روحه من الدنيا الفانية ، بعد أن تألم كثيراً.

ـ فلم يبق منه فى الدنيا أثر ، إلا هذا الكلام.

ـ ولم يكمل الكتاب الذى بدأه ، وأجرى قلمه فيه.

وبهذا نكون قد أتينا على معظم المصادر التى استقت منها الشاهنامات عموماً ، وشاهنامة الفردوسى خصوصاً مادتها الأسطورية والتاريخية على السواء.

---

(١)حماسة ملى: ص٢٢

(٢)شاهنامة فردوس:حـ٦ص١٥٥٤ ، الأبيات بالفارسية:

دقـيـقى رسـانيـد اينجـا سـخن زمـانه برآورد عـمـرش بُن
ربودش روان ازسـراى سـپنج از آن بس كـه بنمـود بسـيار رنج
بكيـتى نماندست ازو يادكـار مكَر اين سـخنهـاى نابايدار
نماندى كـه بردى سـرنامـه را براندى براو سـربسـر خامـه را

الفصل الثانى

القصة فى الشاهنامة

أولاً : ملخص القصة كما جاءت فى الشاهنامه[1] :

ذكر الفردوسى أنه بعد كيقباد تولى الملك ابنه «كيكاوس» وقد اتجه فى البداية إلى فتح ما زندران، ولم يقبل نصح «زال»[2] فأغار على تلك البلاد مع مجموعة من قادته من أبطال إيران، فاستعان «ارزنك» ملك مازندران بالـ «ديوسپيد» الجنى الأبيض الذى أغار على معسكر «كيكاوس» وجنوده فأعماهم وأوقعهم جميعاً فى الأسر، فأرسل «كيكاوس» واحداً من جنوده نجا من العمى إلى «زال» - طالبا عونه ومبدياً ندمه لعدم استماعه إلى نصيحته فقام «زال» بإرسال ابنه «رستم» البطل الإيرانى، وبعد مغامرات عديده فى الطريق وعبور السبع منازل وصل رستم إلى مازندران، وقد أسر واحداً من ملوك الجن «أولاد» وهو فى الطريق وقد ساعده هذا الجنى على معرفة بعض أسرار الجن المسيطرين على مازندران، وخاصة الـ«ديوسپيد» فاستطاع رستم أن يقتله ويشق عن خاصرته ويأخذ كبده فيقطر قطرات من دمه فى أعين «كيكاوس»ليستعيد بصره هو وكل الإيرانيين، وبعد صراع شديد مع ملك مازندران يتم التخلص منه، وتسند مملكة «مازندران» لـ «أولاد» ويعود «كيكاوس» مظفراً إلى إيران، وبعد حين يتجه «كيكاوس» لفتح توران والصين ومكران، وقد قبل ملوك هذه البلاد جميعا دفع الجزية والخراج له . ثم حمل على البربر فاستعان ملك البربر عليه بملك مصر وملك هاما وران فهزم ثلاثتهم ، وقبلوا هم أيضا الجزية والخراج، ثم تزوج «كيكاوس» من «سودابه» ابنه ملك «هاماوران» الذى احتال بعدها على «كيكاوس» وجنوده فأوقعهم فى الأسر . وعندما شاع خبر وقوع «كيكاوس» فى الأسر أغار العرب والترك على إيران طمعاً فى عرشها . وقد تحارب «أفراسياب» ملك توران مع العرب حرباً شديدة حتى أجلاهم عن إيران، واستولى هو على ملك تلك الديار . وقد أسرع رستم إلى «هاما وران» وفك أسر «كيكاوس» وعادبه ومعه سوذابه وأبطال إيران فأجلوا «أفراسياب» عن إيران بمساعدة ملك الروم . وقد ابتنى «كيكاوس» بمساعدة الجن قصراً معجباً على قمة جبل «البرز» ثم ذهب لحرب السماء بعد أن خدعه أحد الجن بذلك لرغبتهم فى التخلص من سيطرته،

---

(١) راجع الشاهنامه فردوسى : حـ٢ ، حـ٣

(٢) زال : والدرستم فى الأساطير الفارسية .

وقد سقط فى ناحية بالصين وسقط على الأرض متجرعاً كأس الندم . فذهب إليه أبطال إيران ووبخوه على فعلته، وبعد عودته إلى إيران ظل محتجباً عنهم فترة من خجله، وفى هذه الفترة كان معتكفاً يطلب من الخالق العفو والمغفرة فقبل الله منه ذلك فظهر لهم وجلس على عرشه وأعاد رسم السلطنة إلى ما كان عليه . **أما عن «سياوش»** ابنه فيقول الفردوسى، إنه فى البدايه ضمه «رستم» البطل الإيرانى إليه وأخذه إلى «زابلستان» ليعلمه فنون الحرب والقتال، وفنون الحكم والمجالس وما إليها، فلما تكاملت فيه هذه الفنون عاد إلى أبيه ،. فتدلهت فى حبه «سودابه» زوجة أبيه الساحرة وحاولت أن تراوده عن نفسه فلما امتنع عليها أخذت تكيد له عند أبيه المرة تلو المرة . فلما ضاق بها طلب من والده أن ينفذه لحرب «افراسياب» الذى كان قد أغار على إيران فضم أبوه إليه «رستم بن دستان» على رأس جيش قوى لمحاربة «أفراسياب» ثم جرت مناوشات بينهما واستقرا على التصالح وأرسل «سياوش» رستم برسالة لـ «كيكاوس» يعلمه بما جرى فثار «كيكاوس» ونحى رستم عن الجيوش وأرسل رداً شديدا «لسياوش»، فضاق صدر «لسياوش» من أفعال أبيه فالتجأ إلى «أفراسياب» الذى رحب بمقدمه فى البداية وقابله بما يليق فتزوج من ابنة «بيران» قائد جيوش «أفراسياب» ثم تزوج من ابنة أفراسياب نفسه الذى أقطعه مقاطعة قريبة من الصين رحل إليها هو وزوجه، إلا أن «كرسيوز» أخا أفراسياب أوغر صدره عليه، وانتهت المؤامرات التى حاكها إلى مقتل «سياوش»وكانت أمرأته حاملاً فى ابنه «كيخسرو» وعندما علم الإيرانيون بما جرى لسياوش، أسرعوا إلى توران بقيادة «رستم» أخذاً بثأره . وقد أرسلوا «جيو» البطل الإيرانى لإحضار «كيخسرو» وأمه إلى إيران ونجح فى ذلك بعد عدة مغامرات . ثم تنازل له «كيكاوس» عن ملك إيران .

هذا هو ملخص القصة كما جاءت فى الشاهنامة وهى قصة طويلة فيها مغامرات عديدة وصراعات كثيرة واستطرادات إلى قصص مختلفة مثل قصة رستم وسهراب ، وتقع أحداث قصة ملك كيكاوس فى أكثر من سبعة آلاف وخمسمائه بيت من الشعر .

فإذا انتقلنا إلى تفاصيل هذه القصة لنرى أوجه الاتفاق والاختلاف بينها

وبين ما جاء فى المصادر الدينية القديمة مثل «الأفستا» أو المصادر الدينية البهلوية مثل الـ«بندهشن» والـ«دينكرت»، وكذا المصادر الاسلامية التاريخية مثل تاريخ الطبرى (ت ٣١٠هـ) ومروج الذهب للمسعودى (ت ٣٤٦هـ) وقد ذكرنا قبلاً أنها اعتمدت على مصادر دينية فارسية قديمة ومصادر تاريخية قديمة مثل كتب «خداى نامه».

إذا قارنا بين ما جاء عند «الفردوسى» وما جاء فى هذه المصادر نلاحظ أن «الفردوسى» يخالفها جميعا عندما يذكر أن «كيكاوس» تولى الملك خلفاً لأبيه «كيقباد» يقول الفردوسى[١] :

چو بكَرفت كاؤس كَاه پدر   مراورا جهان بنده شد سربسر .

أى عندما جلس كيكاوس مكان أبيه، صارت الدنيا كلها مطيعه له أما كيكاوس فى المصادر البهلوية فهو ابن «كى ابيوه» ابن «كيقباد»[٢] وعلى هذا يكون حفيد كيقباد وليس ابنه كما يذكر الفردوسى، وكما يذكر الثعالبى أيضا فى الغرر الذى يقول إن كيقباد استخلف على الملك بعده ابنه الأكبر «كيقاوس»[٣] أما الطبرى فيذكر أن كيكاوس هو ابن كيفيه بن كيقباد[٤] وهذا أقرب لما جاء فى المصادر البهلوية .

قصة حرب مازندران :

ذكر الفردوسى أن أول ما فعله «كيكاوس» بعد جلوسه على عرش إيران هو مسيره لحرب «مازندران» ويروى الفردوسى القصة على النحو التالى[٥] :

أن كيكاوس جلس يوماً على عرشه، وحوله قادته وكبراؤه

– فجاءه جنى متخف فى شكل مغنٍ يريد أن يهدى الملك أغنية .

– فقال إننى مطرب حسن الصوت من أهل مازندران .

(١) شاهنامه فردوسى : حـ٢ ص٣١٦
(٢) نقلا عن حماسة سرائى درايران : ص٤٦٣
(٣) الثعالبى : العزر فى أخبار ملوك الفرس : ص١٥٣ زوتنبرج – باريس
(٤) أسو حرير الطبرى : تاريخ الطبرى : حـ١ ص٥٠١ . دار المعارف الطبعة الرابعة
(٥) شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٤١٦–٤١٧ الأبيات بالفارسية

چو را مشكرى ديوزى برده دار   بيامد كه خواهد برشاه بار
چنين كفت كز شهر مازندران   يكى خوش نوازم ز رامشكران

– ثم أخرج عوداً وسواه، وغنى على طريقة أهل مازندران .

– يالطيب هواء مازندران . ليت الرياح الطيبة تظل تهب عليها .

– رياضها دوماً مزهرة، وجبالها مفروشة بالشقائق والسنبل .

– هواؤها معتدل وأرضها مزهرة، لا صيف فيها ولا شتاء بل ربيع دائم .

–وعندما سمع منه كيكاوس هذا الكّلام، تاقت نفسه لتلك الفكرة الجديدة .

– وانشغل قلبه بالرغبة في الحرب ، عقد العزم على الإغارة على مازندران.

– فقال لقواده ، لقد ركنا للهو .

– وقبيح بالفارس أن يركن للبطالة والكسل .

وقد حاول القادة أن يثنوه عن تلك الفكرة، لكنهم لم يستطيعوا فأرسلوا إلى «زال» ليحضر من زابلستان لعله يستطيع إقناعه بالعدول عنها، لكن كيكاوس لم يقبل منه النصيحة، وقال له[1] :

– لا غنى لى عن رأيك الصائب .

– لكننى أكثر من افريدون وجمشيد مالا ورجالاً وعظمه .

– وأنا أقوى من منوجهر وكيقباد، اللذين لم يفكرا فى غزو مازندران.

= ببربط چو بايست برمساخت رود بر آورد مازندرانى سرود
كه مازندران شهر ما ياد باد همیشه برو بومش اباد باد
كه در بوستانش همیشه كِلست بكوه اندرون لاله وسنبلست
هوا خوشكوار وزمين برنكار نه كرم نه سرد وهميشه بهار

چو كاؤس بشتيد ازاين سخن يكى تازه انديشه افكَندا بن
دل رزم جويش ببست اندران كه لشكر كشد سوى مازندران
چنِين كفت باسرفرازان رزم كِه مادل نهادِيم يكسِر ببزم
اكر كاهلى بيشه كيرد دلير نكردد زاسودان وكاه سير

(١) المرجع السابق : حـ٢ ص٣٢٣–٣٢٤ الأبيات بالفارسية :

چنين ياسخ آورد ؟ كاؤس باز كز انديشة تو نيم بى نياز
وليكن مرا فريدون وجم فزونست مردى وفر ودرم
همان از منوچهر واز كيقباد كه مازندران رانكردند باد =

– وجيوشى أقوى من جيوشهم وقلبى أشجع وكنوزى أكثر والدنيا تحت سيفى (حكمى) .

– وإننى لصائر إليها، وموقع بها، ومنفذ فيها أمرى .

– وفارض عليها خراجاً ثقيلا، وغير مبق فيها على أحد .

– وعليك أنت ورستم أن تبقيا هنا لحراسة مملكتنا وعليكَ باليقظة .

– فالله معينى، أما صيدى فهو رؤوس الشياطين الشرسة .

–وإنا لم نكلفك عناء مناصرتنا، فلا تشر علينا بالقعود عنها .

– وعندما سمع زال هذا الكلام منه، لم يرَبادرة لرجوعه عما في رأسه .

– فقال له أنت الملك وما نحن إلا العبيد الناصحون لك .

– ويجب علينا اتباع ما تأمر به، سواء أكنت على حق أو على باطل .

أما عن مسير «كيكاوس» مع أبطال إيران أمثال «جودرز» و«طوس» إلى مازندران، فقد انتصروا فى البداية على الجن الموكلين بحفظها، واستولوا على المدينة، إلا أن ملكها عندما وصلته هذه الأبناء أرسل إلى الجنى الأبيض «سپيدديو» يستعين به، فقصد هذا الجنى فى الليل إلى «كيكاوس» وجنوده، وملأ الأرض عليهم بالظلمات . فعموا وأصبحوا لا يبصرون، وهكذا تركهم ثم[1] :

– أو كل بهم أثنى عشر ألفاً من مردة الشياطين المحاربين

=
سباه ودل ،كنجم افزونترست جِهان زير شمشير تيز اندرست
شوم شان يكايك بدام آورم كِر آيين شمشيز ونام آورم
اكر برنهم ساو وباز كران وكر كس نمانم بمازندران
تو بارستمِ اكنون جهاندرا باش نكهِبان ايران وبيدار باش
جِهان آفرينده يارمنست سرنزه ديوان شِكار منستِ
كر ايدون كه يارم نباشى مجنك مغرماى بركاه كردن درنك
چو ازشاه بشنيد زال ابن سخن نديد ايج بيدا سرشِر ازين
بدِو كفتِ شاهى وما بنده ايم بدلسوزكى باتو كوينِده ايم
اكر داد كوئى همى يا ستم براى تو بايد زدن كام ودم

(١) راجع شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٣٠، والأبيات بالقارسية :
وزان نرّه ديوان خنجر كَذار كزين كرد جنكَى ده ودو هزار

– وحمل كل كنوز لملك والجيش ، من تاج وياقوت وفيروز .

– وأرسل كل هذه الأحمال والاثقال إلى ارزنك قائد مازندران.

– وقال له قل للملك ، ولا تبحث عن خدمة من الجنى الآن .

– فقد أديت كل ما وجب ، ومرغتُ جيش إيران فى الوحل .

– فأصبح كل جيش إيران وأبطاله، لا يرون شمساً ولا قمراً .

– لم نقتلهم ولكن أفزعناهم ، ليعرفوا أقدارهم .

– وليعتبر ذو العقل بما أصابهم ، فلا يُعيرُ أحدهم أذنه لمثل هذا العمل .

أما «زال» فعندما علم بما حدث لكيكاوس والإيرانين معه أمر ابنه «رستم» بالمسير إلى «مازندران» لإنقاذهم، فسار «رستم» ولاقى الكثير من الصعاب، وقطع السبع منازل «هفت خوان» إلى مازندران، وفى أحد المنازل استطاع أن يأسر ملكاً من ملوك الجن اسمه «أولاد» بعد صراع شديد بينهما، وكان هذا الجن خير معين لرستم على معرفة بعض أسرار الجن وأماكن تواجدهم، فقتل الجن الموكلين بحراسة مازندران ثم ذهب إلى المغارة التى بها مستقر الجنى «ديوسبيد» وبعد صراع عنيف مع الجن الذين يحرسون المغارة قتلهم رستم ودخل إلى أعماق المغارة المليئة بالظلمات، هبط رستم بعد أن غسل وجهه بالماء إلى حيث يوجد ملك الجن «ديوسبيد» وبعد صراع بينهما[1] :

– غلبه رستم ورماه على الأرض، فكان كالأسد الهصور عندما تفارقه الروح .

= وزان پس همه كنج شاه وسباه   چه ازتاج یاقوت وپیروزه كَاه
سبرد آنجه دید ازكران تاكران   به ارزنك سالار مازندران
برشاه بركفت واورا بكوى   كز آهرمن اكنون بهانه مجوى
كه من هرجه بایست كردم همه   بخاك آوریدم سراسر رمه
همه بهلوانان ایران سباه   نه خورشید بینند روشن نه ماه
بكشتن نكردم برو برنهیب   بدان تابداند فراز نشیب
بزارى وسختى برایدش آهوش   كسى نیز ننهد برین كار كوش

(١) راجع الشاهنامة فردوسى : جـ٢ ص٣٥٤ ونص الأبيات بالفارسية:

زدش برزمین همچو شیر زیان   جنان كزسن وى برون كرد جان=

– ثم شق قلبه بالخنجر ، وأخرج كبده من الجسد الأسود .

– فامتلأت بجثته المغارة ، وصارت الدنيا كبحر الدماء .

– وجاء إلى أولاد وحل وثاقه ، من ذلك السرج الذى أوثقه به .

– وأعطى أولاد كبد الجنى ، وأمره أن يتجه إلى كيكاوس .

أما «أولاد» فوجد الفرصة مناسبة ليذكر «رستم» بالوعد الذى قطعه على نفسه بتوليته ملك «مازندران» فقال لرستم [1] :

– أيها الأسد الصور ، يا من سخرت العالم بسيفك

– لقد منيتنى بأمنية يتمناها قلبى، وإننى أسألك إياها

– فقال له رستم : سأسلم لك جميع ممالك مازندران

– ولكن ينبغى على «أولا» أن اقتلعَ ملك مازندران من مكانه وألقيه فى البئر

– وأن أقطع بحد الخنجر، رؤوس آلاف السحرة والجن،

– لن أرجع عن عهدى أبداً، إلا إذا وارانى التراب .

وهكذا تبدأ الحلقة الأخيرة من الصراع مع ملك مازندران، وقد بدأوها بإرسال الرسل إليه طالبين منه قبول الجزية والخراج، وإلا فليأذن بحرب لا قبل له بها، وعندما رد بالرفض اقترح رستم على «كيكاوس» أن يرسله بالرسالة التالية حتى تكون فرصة لاختبار القوى بينهم، وقد أظهر رستم من علامات القوة

= فرو برد خنجر دلش بردريد   جكَرش ازتن تيره بيرون كِشيد
همه غار يكسر تن ِ كسته بود   جهان همجو درياى خون كشته بود
بيامد زاولاد بكشاد بند   بفتراك بست آن كيانى كمند
باولاد داد آن كشيده جكر   سوى شاه كاؤس بنياد سر

(١) شاهنامة فردوس : حـ٢ ص٣٥٥، والأبيات بالفارسية :

كَف أولاد كاى نرّه شير   جهانرا بتيغ آوريدى بزير
بجيزى كه دادى دلمرا نويد   همى باز خواهد نويدم اميد
بدو كفت رستم كه مازران   سبارم بتو ازكران تاكران
همى شاه مازندران رازكاه   بيايد ربودن فكندن بجاه
سر ديو ِ جادو هزاران هزار   بيفكند باير بخنجر ِبراز
وزان بس مكر خاكرا بسبرم   وكرنه زبيمان تو نكذرم

والرجولة مما دعا ملك «مازندران» أن يلقاه بالاحترام، ويسأله قائلا :[١]

– أأنت رستم الشديد ، ذو السواعد القوية .

– فأجاب إنني خادم ، إذا ما قبل خدمتي فإنني أسعد بها .

– أين أنا منه فهو الفلك العالي والبطل والإسوار .

وفي النهاية وقعت بينهم وبينه (ملك مازندران» حرباً شديدة انتهت بأن أسره رستم فحوّل نفسه إلى صخرة عن طريق السحر، لكن رستم[٢] :

– حمل تلك الصخرة، وجميع الجيش متعجبين منه .

– ومشى وهو يحمل قطعة الجبل تلك على رأسه ، والخلق وراءه يتعالى صياحهم .

– وأخذوا يهتفون له ، وينثرون عليه الذهب والجوهر .

– فحمله إلى سرادق الملك كيكاوس ، وألقاه أمام الإيرانيين .

– وقل له إن لم تخرج من هذه الصورة ، وتخلع السحر والحيل .

– فإنني سوف أحطمك بالسيف البتار ، وأهيل كل الأحجار على رأسك

– وها قد رجع إلى هيئته الأولى ، عندما سمع أنهم سيقطعون رأسه بالسيف ويحطمون جسمه بالحجر .

---

(١) شاهنامه فردوسی ج۲ ص٣٦٣، الأبيات بالفارسية :

وازن پس بدو گفت رستم توپی   که داری برو بازوی پهلوی
چنین داد پاسخ که من چاکرم   اگر چاکری را خور اندر خورم
کجا او بود من نیایم بکار   که او پهلوانست وگرد وسوار

(٢) نفس المرجع والجزء : ص٣٧٣–٣٧٤ الأبيات بالفارسية :

بران گونه آن سنگ رابر گرفت   گزو ماند لشکر سراسر شگفت
پیاده همی رفت برکتف کوه   خروشان پس پشت او در گروه
ابر گردکار آخزین خواندند   برستم زر وگوهر افشاندند
بیش سراپرده شاه برد   بیفکند وایرانیانرا سپرد
بدو گفت ازایدون که پیدا شوی   بگردی ازین تنبل وجادوسی
وگرنه بپولاد تیز وتبر   ببرم همه سنگ را سربسر
چو بشنید شد همچو یکباره ابر   بسر برش پولاد ودرتنش گبر=

- وضحك رستم البطل وأخذه من يده واتجه للملك .

- فأمر الملك «دزخيم» أن يقطعه بسيفه الحاد إربا إربا .

وبمقتل ملك «مازندران»، تنتهى قصة صراع كيكاوس للسيطرة عليها فيعود الجميع إلى إيران بعد إسنادها للملك أولاد .

والملاحظ أن الخطوط الرئيسية لهذه القصة - كما أوردها الفردوسى - يدور الصراع فيها بين الجن والشياطين والسحرة فى تلك المملكة فالطريق إليها ملئ بهم، كما أنهم موكلون بحمايتها وحراستها، وملكها قد عقد معاهدة مع ملك الجن «ديوسبيد» لحمايته، بل هو نفسه يستخدم السحر فى حروبه.

والقصة بهذا الشكل الذى جاءت به عند الفردوسى تتفق فى خطوطها الرئيسية مع ما جاء عن «كيكاوس» فى المصادر الدينية القديمة والبهلوية أيضاً فكل الروايات التى رويت عن «كيكاوس» تربط بينه وبين الشياطين بصورة من الصور، ففى الأوستا أن «كوى اوسن» قرب القرابين لأناهيتا وطلب منها أن تجعله مسيطراً على كل الممالك بما فيها من إنس وجن، وأنها استجابت له[(١)] فهنا إشارة لسيطرته على الجن ، وفى الفيدا الهندية أنه صنع (المقمعة) التى قتل بها الإله (اندرا) الشيطان (فرتره)[(٢)] وفى هذه الأسطورة كان سببا فى مقتل هذا الشيطان أيضا .

أما المصادر البهلوية فتذكر صراحة علاقته بشياطين مازندران فقد جاء فى الدينكرت أنه بنى قلعة عجيبة ومنها كان يحكم شياطين مازندران، ويمنعها من أفساد العالم[(٣)]، وهنا تصريح بعلاقته بشياطين مازندران .

وجاء عند الطبرى أيضا أن الجن كانت تُسّخر له بأمر سليمان بن داود[(٤)] هنا أيضا إشارة إلى علاقته بالجن .

= تهـــمتن كَرفت آن زمـــان دست اوى بخنِديد وزى شـــــاه بنهــــاد روى
بدزخـــيم فـــرمـــود تاتيغ تيـــز بكيــــــــرد تنش راكنند ريز ريز

(١) نقلا عن حماسة سرائى درايران : ص٤٩٧
(٢) نقلا عن هامش الشاهنامة العربية : حـ١ ص١٠٥
(٣) نقلا عن حماسة سرائى : ٤٩٧
(٤) تاريخ الطبرى : حـ١ ص٥٠٧ .

أما شياطين مازندران بوجه خاص فلها شهرة فى الأساطير الدينية الفارسية، فكلمة شيطان «ديو» تطلق بوجه عام على شياطين مازندران –كما يذكر د.ذبيح الله صفا – وشياطين تلك الناحية ليست مخلوقات خبيثة فقط، لكنها مجموعة من المخلوقات الخطيرة الشيطانية . وقد وصفت فى الأفستا أنها مخلوقات عجيبة عظيمة الجثة تسكن فى المغارات، وأن أكبر شياطينها هو «استوويدات» وهو شيطان الموت [1]. وفى الأفستا أيضا أن الملك(سروش) يحارب كل يوم وكل ليلة جن مازندران، ويذكر أن الملك «هو شنك» أيضا قرب إلى بعض الآلهة لتعينه على تحطيم ثلثى شياطين مازندران[2] .

لعل هذا يوضح سر ربط الأساطير الدينية البهلوية بين «كيكاوس» الذى وصف فى الأفستا بالقوة والمقدرة، والذى سيطر على جميع الممالك بما فيها من إنس وجن وبين «جن مازندران» بالذات التى وصفت هى أيضا بالقوة والشراسة والضخامة والتى تجنبها من قبله «أفريدون» «وجمشيد» «ومنوجهر» «وكيقباد»، فيقول «كيكاوس» فى رده على زال الذى حاول أن يثنيه عن غزوها فقال له[3] :

–ولكننى أكثر من فريدون وجمشيد مالاً ورجالاً وعظمة

– وأنا أقوى من منوجهر وكيقباد اللذين لم يفكرا فى غزو مازندران .

أما عن صفات هؤلاء الشياطين أو الجن – التى جاءت عند الفردوسى – فهى صفات أقرب الى صفات البشر – كما يذكر ذبيح الله صفا، وأوافقه على ذلك – فهم يتجمعون فى جماعات مثل البشر ولهم قائد وملك، ويذهبون للحرب، ويعرفون فنونها – ويتكلمون، ويعرفون السحر والحيل، كما أنهم ينامون، ويجرحون، ويقتلون وتسيل دماؤهم ويخافون، ويفرون، كل هذا يتضح من خلال تحارب رستم معهم، فقد جاء فى الشاهنامة عن مقتل الجنى ارزنك على يد

---

(١) حماسة سرائى : ص٥٦٦
(٢) نقلا عن هامش الشاهنامة العربية : حـ١ ص١٠٨ .
(٣) شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٢٣، الأبيات بالفارسية :

وليكن مـــرا از فـــريدون وجم   فـــزونست مـــردى وفـــرّ ودرم
همـــان ازمنوچهـــر وازكـــيـــقـــبـــاد   كـــه مـــازندرانرا نكردند ياد

رستم[1] :

– وقد قصد القائد إلى «ارزنك» (الجنى) كما يقصد المحارب الميدان .

– فصرخ صرخة هائلة بين عسكره، كما لو كان البحر والجبل قدانشقا .

– فخرج الجنى «ارزنك» من خيمته، عندما وصله صياح إنسى .

– فلما رآه رستم حمل عليه بالحصان، ووقع عليه وقوع النار .

– وأمسك البطل برأسه وأذنيه وانشب اظافره فى عنقه، فاقتلع كالأسد، رأسه من جسده .

– وألقى الجسد المنزوع الرأس مضرجاً بدمائه، أمام الجماعة السيئة .

– وعندما رأت الجن جسده الفاره، تمزقت قلوبهم خوفاً من قبضته .

هذه الصفات التى أوردها الفردوسى عن الجن وقتالهم مع بنى الإنسان لو لم يُذكر فى بدايتها أنها معركة بين رستم و«ارزنك ديو» لخلناها حرباً بين اثنين من الأبطال أو المتحاربين – ولعل هذا جعل المستشرق «دارمستتر» يرجح أن المقصود بشياطين مازندران هم أهل الحدود فى مازندران، ويقول إنهم ينتسبون إلى قبائل وحشية غير إيرانية، ويؤيده ذبيح الله صفا فى هذا التصور فيقول إن مازندران فى الأساطير الدينية لا تعد كأى ناحية فى إيران، كما أن أهلها يعتبرون من أب وأم غير إيرانيين[2] . وقد تحدثت الشاهنامة عنهم كما لو كانوا من أصول غير إيرانية، يقول الفردوسى على لسان ملك مازندران، مخاطبا رسول

---

(١) شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٢٨، الأبيات بالفارسية :

به ارزنكَ ســالار بنهـاد روى	چو آمـدِ بلشكر كـه جنكَجـوى
يكى نعـره زد درمـيـان كروه	كـه كفـتى بدريد دريا وكـوه
برون جـست ازان خـيـمـه ارزنك ديو	چوا آمـد بكوشش ازانالِ عـريو
چو رستم بديدسى برانكيـخت اسـپـا	بيـامـد برار چو آذركشـسب
سـرو كـوش بكرفت ويالش دليـر	سـر ازتن بكندش بكردار شـير
پر ازخـون سـرديو كنده زتن	بيند اخت زانسـو كـه بد انجـمن
چـو ديـوان بـديـدنـد كوبـال اوى	بدرّيـد دل شـان زچنـكال اوى

(٢) حماسة سرائى : ص٥٤٧ .

كيكاوس[١] :

– قل لكيكاوس إن كنت ملك إيران، ولك قلب الأسد وقبضته .

– فأنا ملك مازندران وقائد جيشها، الجالس على عرشها والمتوج بتاجها الذهبى .

– ومن الضلال أن يستدعى مثلى إلى حضرته، فهذا ليس من رسم العظماء وطريقهم .

– فتفكر فى مقامك؛ ولا تتطلع لعرش العظماء فنتيجة هذا الطمع الهلاك لك .

ويفسر الدكتور عبد الوهاب عزام سبب إطلاق الأساطير الإيرانية على أهل مازندران اسم الجن، أو الـ «ديوسبيد» الجن الأبيض أن هواء البطائح فى مازندران يبيض أجسامهم لهذا سموا باسم الجن الأبيض . كما يضيف إلى هذا أن الطريق من إيران إلى مازندران شعاب قليلة وعرة ضيقة عالية، وهو عبارة عن شعب سعته أذرع قليلة ويسيل الماء على جوانبه، وينفسح أحيانا عن أودية ومغارات، وفيها كثير من السباع مثل النمر والفهد والدب والذئب وبسبب وعورة طريقها أمتنعت «مازندران» على الفاتحين[٢] . حدث هذا بالنسبة للمهاجرين الآريين القدماء الذين خاضوا حروبا شديدة مع سكان هذه الحدود الذين كانوا نصف متوحشين، ويرتدون جلود الحيوانات، وكانوا أيضا أقوياء أشداء، وقد استمرت هذه الحروب فترة من الزمن لهذا السبب أصبح لها فى الأساطير الدينية الإيرانية مكانه كبيرة –كما يذكر د.ذبيح الله صفا[٣] – وحدث هذا أيضا بعد الاسلام فامتنعت

(١) شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٦٤، الأبيات بالفارسية :

بكَويش كه سالار ايران تويى — اكَر چه وچنگ شيران تويى
منم شاه مازندران باسپاه — براورنك زرين وبرسر كلاه
مرا بيهده خواندن بيش خويش — نه رسم كيان باشد وراه كيش
برانديش وتخت بزركان مجوى — كزين جستنت خوارى آيد بروى

(٢) هامش الشاهنامة العربية : حـ١ ص١٠٧ –١٠٨
(٣) حماسة سرائى : ص٥٦٣ .

فامتنعت بلاد مازندران على المسلمين زهاء مائتى عام من الفتح العربى لإيران . وقد سار إليها جيش مصقلة بن هبيرة فى زمان معاوية بن ابى سفيان ومعه عشرون ألف رجل، فأوغل بهم فى البلد، فلما تجاوز المضيق والعقاب أخذها عليه وعلى جنوده العدو عند انصرافه للخروج، فدهدهوا عليه الحجارة والصخور من الجبال حتى هلك أكثر الجيش، وهلك مصقلة ولعل قصة حبس «كيكاوس» وجيشه فى مازندران فى الظلمات، وإمطار الحجارة عليهم من السماء - كما جاءت عند الفردوسى - تشبه ما حدث للقائد المسلم مصقلة بن هبيرة وجنوده[1]، كما أن الطرق التى سلكها رستم إلى مازندران والمنازل السبعة التى قطعها إليها تشبه تلك الأوصاف المذكورة المؤدية إلى مازندران عبر جبال البرز .

وقصة حرب «كيكاوس» فى مازندران لم تذكر عند الطبرى ولا عند المسعودى، كما لم يذكرها الثعالبى فى الغرر أيضا .

فإذا تركنا قصة مازندران وشياطينها، فإننا ننتقل إلى قصة :

حرب كيكاوس فى هاماوران :

والإشارة لهذه الحرب مذكورة فى جميع المصادر من بهلوية وإسلامية مع اختلاف فى اسم البلد واسم مليكها، فيذكر الفردوسى فى الشاهنامة أنها هاماوران، وأن ملكها هو ملك ملك «هاماوران» أما المصادر البهلوية فتذكر أنه ذهب لمحاربة «شميران» وقد رجح ذبيح الله صفا أن المقصود بهاماوران أو «شميران» بلاد اليمن[2] . بينما يذكر الطبرى والمسعودى الثعالبى أنه ذهب لحرب ملك اليمن مع اختلاف فى اسمه أما الطبرى والثعالبى فيتفقان على أن اسمه ذو الأذعار ويذكر الطبرى أنه ذو الأذعار بن أبرهه ذى المنار بن الرائش[3] كما أن الثعالبى فيقول إنه ذو الأذعار ذى المنارين الرائش الحميرى[4] أما المسعودى فيخالف تلك الرواية ويذكر أنه شمر بن فريقس[5] . لهذا يرى ذبيح

---

(١) الشاهنامة العربية : حـ١ ص١٠٨
(٢) حماسة سرائى : ص٣٤٧١
(٣) تاريخ الطبرى : حـ١ ص٥٠٧
(٤) الغرر فى أخبار ملوك الفرس : ص١٥٨
(٥) مروج الذهب : حـ١ ص٢٢٧

الله صفا – أن رواية المسعودى تتفق مع ما جاء فى البندهشن التى تذكر أنه ذهب لمحاربة شميران أى بلاد شمير والألف والنون المضافه فى آخرها هما للنسبة وفقا لما كان مستعملاً فى البهلوية . يكون معناها بلاد شمير[1] .

فإذا تركنا هذه الاختلافات حول الاسم، ورجعنا إلى الشاهنامة لنرى كيف تحدثت عن مسير كيكاوس لحرب «هاماوران» (حمير) أو اليمن، فإنه يرويها على النحو التالى[2] :

– ثم عرض لكيكاوس رأى، ففارق ملكه .

– ومضى من إيران إلى توران والصين، وعبرهما إلى مكران .

– ومن مكران مضى مزدانا إلى زره، ولم يرفيها مشكلة ولا ضائقة .

– وقد قبل الجميع دفع الخراج والجزية، ولم يجربوا قوة الأسد الشجاع .

– هكذا وصلوا متبخترين إلى البربر، مع الملك الفاتح ذى التاج والأكليل.

– واستعد ملك البربر للمحاربة ، فضاق صدر العالم من خشيتها .

– وتدافعت الجيوش من البربر للحرب فتهلل جيش الملك من الفرح .

–وثار الغبار فلا يرى الفارس كفه ولا عنان فرسه، ومن غبار الجيش لا يظهر الفيل .

– وقد جاءوا للحرب فوجاً وراء الآخر، كما تتدافع الأمواج فى البحر .

١ـ حماسة سرائى : ص٤٧١ .

٢ـ شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٧٩، الأبيات بالفارسية :

كز ان پس چنان كرد كاؤس راى — كِه در پاد شاهى بجنبد زجاى
از ايران بشد تابتوران وچين — كذر كرد ازان پس بمكران زمين
زمكران شد آراسته تا زره — ميانها نِديد ند بند وكره
بپذيرفت هرمهترى باز وساو — نكرد آزمون كاو باشير تاو
چنان هم كرازان ببربر شدندِ — جها نجوى باتاج برخاستِ شدندِ
شه بربر بياراست جنك — كزانبوه ايشان جهان كشت تنك
سباهى بيامد وبربر برزم — كِه از لشكرشاه برخاست بزم
كس از خاك دست وعنانرا نديد — زكرد سپه بيل شد نايدير
بزخم اِندر آمِد همى فوج فوج — بران سان كه برخِيزدا ازاب موج
چو كودرز كيتى بران كونه ديد — زكوهه عمود كران بركشيد=

- وعندما رأى جودرز ذلك، سحب عموده الثقيل من السرج .
- وحمل مع ألف من الفرسان المشهورين،فضربوا بالسنان والنبل والدروع.
- وتصارع وشق قلب الجيش، ووراءه الملك كيكاوس مثيراً للفزع .
- فلم يبق من البربر فارس ، وكأن لم يكن بينهم ذو رمح .
- وخرج الكهول من المدينة ، لما رأوا دائرة الحرب عليهم تدور .
- ومثلوا أمام كيكاوس مهمومين ، وأخذوا يعتذرون إليه .
- وقالوا نحن خدم الملك وعبيده ، وقد قبلنا الجزية والخراج .
- فارتضى منهم الملك ذلك وسن لهم نمطا وقانونا جديدا .

تلك هى قصة محاربته الأولى مع ملك البربر، وبلاد البربر المذكورة فى هذه القصة قريبة من بلاد مكران . وقريبة أيضا من ازابلستان . ووفقاً لما رواه الفردوسى فإن «كيكاوس» ، لما فرغ من فرض الجزية على توران والصين عبر إلى مكران، ولما انتهى منها عطف إلى «بربر ستان» وبعد أن فرغ من أمرها على النحو الذى رأيناه اتجه إلى «زابلستان» وقضى شهراً فى نيمروز فى ضيافة «رستم بن دستان» . وكل هذه المناطق قريبة من ناحية الهند، فأقليم «زابلستان» هذا يقع فى شرق سيتان بين الهند وإيران، وثقافة أهلها خليط من الإثنين . أما مكران فتحد من الشمال بكابلستان وقندهار ومن الشرق بالسند ومن الغرب بكرمان ومن الجنوب ببحر الهند . وهى من حيث الثقافة تنسب للثقافة الهند وإيرانية أيضا، وهى على حدود سيتسان[1] .

من هنا - فإننى أعتقد - أن المقصود بالبربر ستان فى هذه الحملة، مكان

بزد سپاه بانامداران هزار — ابا نیزه وتیر جوش گذار
براویخت بدرید قلب سپاه — دمان ازبس او همی رفت شاه
تو گفتی ببربر سواری نماند — بگرد اندرون نیزه داری بماند
بشهر اندرون هرکه سال خورد — چو برگشته دیدند باد نبرد
همه بیش کاؤس شاه آمدند — جگر خسته وعذر خواه آمدند
که ماشاه راجاکر بنده ایم — همان باز را گردن افکنده ایم
بخشود کاؤس وبنواخت شان — یکی راه وآیین نوساخت شان

(١) عباس پور محمد شوشترى : كارنامه ايرانيان : جـ٢ ص٦٠، ٧٨ تهران سنه ١٣٢١هـ س ٨.

فى الهند أو قريباً منها، وهو غير «بربر ستان» المذكورة فى الحملة القادمة، وتقول الشاهنامة عنها، إن «كيكاوس» بعد أن قضى شهراً فى «نيمروز» بزابلستان فى ضيافة ابن دستان علم أن أحد الملوك من جهة مصر والشام قد رفع راية العصيان، وخلع ربقة الطاعة وعندما وصله هذا[1] :

- قرع الطبول، ورحل عن نيمروز، واشتعل قلب ملك العالم المظفر بالسعادة .
- تمنطقت الجيوش بالدروع ، وجاشت السيوف فى الأغماد .
- وقد عبر بالجيش من الصحراء عن طريق البحر، حتى لا يراه العدو .
- وقد هيأ سفناً وزوارق بلا عدد ، وأجلس الجيش المظفر فيها .
- وأخذ يحث السير حتى وصل إلى مدينة بين ثلاثة مدن .
- عن اليسار مصر، والبربر عن اليمين، وأمامه بحر زره على ذلك النحو الذى يريده .
- وكان هذا بالقرب من مدينة هاماوران ، وجاء جيش جرار من كل إقليم .
- وقد وصلهم أن «كيكاوس» قد جاء من بحر زره، مع جيشه .
- فضاقت الصحراء والجبال والبحار بالجيوش .

---

(١) شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٨١-٣٨٣، الأبيات بالفارسية :

بزد كوس وبرداشت از نيمروز	شده شاد دل شاه كَيتى فروز
سبه برسيرها نبشتند نام	بجوشيد شمشيرها در نيام
سبه را زهامون بدريا كشيد	بدان سان كجِا دشمن اورا نديد
بى اندازه كشتى وزورق بساخت	بيِاراست لشكِر بدو در نشاخت
همى راند تادر ميان سه شهر	زكيتى برين كونه جوينده بهر
بدست جبش مصر وبربر براست	زره برميانه آنو كه خواسِت
بيش اندرون شهر هاماوران	بهر كشورىَ در سباهى كران
خبرشد بديشان كه كاؤس شاه	برآمد زآب زره باسياه
سباهى كه دريا وصحرا وكوه	شد ازنعل اسبان ايشان ستوه =

– وكأن الدنيا عبارة عن درع وجوشن، وكأن النجوم تستمد ضوءها من أسنة الرماح .

– كأن الدنيا قد صارت ميدان قتال، من دق الطبول في بربرستان .

–وعندما قرع الإيرانيون طبولهم ونفخوا البوق، برز بهرام وجرجين وطوس.

–ومن الجناح الآخر كان هناك جودرز الفاتح ومثل جيو وشيدوش وفرهاد.

– وتقدم كيكاوس إلى قلب الميدان، وتلاقت الجيوش .

– وتناثرت النيران من الأسنة، وصارت الدنيا مثل بحر الدماء .

–وقد أصبحت هذه الجيوش الإيرانية الثلاث، في صورة لم يعد يعرف فيها الجندي من غير الجندي

وكانت نتيجة هذه المعركة كما يذكر الفردوسي هزيمة ملك هاماوران وما جرى له فقد[1] :

– ألقى ملك اليمن، سيفه وجرزه الثقيل أولاً .

– ثم طلب الأمان ، بعد أن صار مغموماً ، وعرف أن هذا يوم البلاء .

– وتعهد بأن يدفع الجزية والخراج الثقيل عن مدينة هاماوران .

– وأرسل كثيراً من الخيل والأسلحة ومن التخت والتاج للملك كيكاوس.

وانتهت هذه الحرب بقبول ملك «هاماوران» أو اليمن لدفع الجزية والخراج

= جهان كِفتى ازدرع وازجوشن است ستاره زنوك سنان روشن است
جهِان كفتى ازدرع وازجوشن است ستِاره زنوك سنان روشن است
زبانك تبيره ببرستِان تو كَفتى زمين كشت لشِكر ستان
برآمد زايران سِبه وبوق وكوس برون رِفت بهرام وكركين وطوس
وزان سو كه كودرز كشواد بود چو كيو وچو شِيدوش وفرهاد بود
بجنبيد كاؤس در قلب كاه سباه اندر آمد بيش سباه
زچشم سنان آتش آمد برون زمين شد بكردار درِياى خون
سه لشكر چنان شد ازايرانيان كه سرباز نشناختتد از ميان

١ـ شاهنامه فردوسى : ص٣٨٤ الأبيات بالفارسية :
نخستِين سيهبدار هاماوران بيفكَند شمشير وكَرز كَران
غمين كشت وازشاه زنهار خواست بدانست كان روز روز بلاسِت
بپيمان كه ازشهر هاماوران سبهبد دهد ساو وباز كَران
زاسب وسليح زتخت وكلاه فراوان فرستد بكاؤس شاه

وتعاهد مع «كيكاوس» على ذلك .

وما ذكره الفردوسى هنا عن هذه النهاية يتفق مع ما جاء في المصادر البهلوية التى تقول إنه ذهب لحرب اليمن، ثم سقط فى الأسر نتيجة لوقوعه فى مكيدة[١] . أما مصادر التاريخ الإسلامية[٢] فتذكر أن ملك اليمن انتصر على «كيكاوس» فى المعركة وأسره واستباح عسكره، وحبسه فى أضيق محبس . هذا ما يذكره الطبرى والمسعودى أيضا أما الثعالبى فهو يذكر نفس الرّواية التى يذكرها الفردوسى تقريباً عن انتصار «كيكاوس» على ملك اليمن، ثم وقوعه فى الأسر بعد ذلك نتيجة للمكيدة التى دبرها له ملك اليمن .

أما عن قصة زواجه من سواذبه ووقوعه فى الأسر، فيرويها الفردوسى على النحو التالى : أن «كيكاوس» وصفت إليه سودابه ابنة ملك «هاما وران» فتاقت نفسه إليها، وأرسل إلى أبيها من يقول[٣] : –

– سمعت أن خلف ستورك فتاة تليق بعرشنا .

– صبيحة الوجه بديعة الجسم، ممدوحة فى كل البلاد ومن كل الناس.

– فإن وجدت صهراً مثل ابن قباد، فاعلم أن الشمس قد اعطتك الأمان.

أما ملك هاماوران فإنه[٤] :

– عندما سمع هذا الكلام، امتلأ قلبه ألماً ودارت رأسه .

– وقال لنفسه إن كل ما قاله الملك حق، فقد امتلك العالم وانتصر، وصار نافذ الأمر .

١ـ راجع ما جاء فى حماسة سرائى نقلا عن البندهشن : ص

٢ـ راجع تاريخ الطبرى : حـ١ ص٥٠٦، مروج الذهب : حـ١ ص٢٢٧ الغرر فى أخبار ملوك الفرسى : ص١٥٨ – ١٥٩ .

٣ـ شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٨٥–٢٣٦، الأبيات بالفارسية :

پس برده تو يكى دختـــــــرست   شنيـــدم كـــه تخت مـــرا درخـــورست
كـــه باكـــيزه چهـــرست وياكـــيزه تن   ســـتـــوده بهـــر شـــهـــر.وهر انجـــمن
تـــو د امـــــاد يابى چو پور قــــبــــاد   چنان دان كـــه خـــورشـــيـــد داد تو داد

٤ـ شامناهة فردوسى : حـ٢ ص٣٨٥–٣٨٦ الأبيات بالفارسية

چوبشـنيـــــــد ســـــــالار هـــاوران   دلش كَشت بردرد وســـرشـــد كَران=

– أما أنا فليس لى فى الدنيا غير هذه الابنة، وهى عندى أغلى من روحى.

– وصار مهموماً، ونادى سودابه، وحدثها عن كاؤس .

– فقالت له سودابه إن كان هذا ضرورياً، فلاتهتم فلن تجد أحسن منه .

– فعلم ملك هاماوران، أن سودابه لا تستثقل هذا الأمر .

– فاشتغل بتجهيزها بما يليق ، وأرسلها إلى حضرة كيكاوس .

– وعندما نظر إليها «كيكاوس» بُهت، وسمى عليها باسم الله[1].

هذا عن زواج «كيكاوس» من «سودابه» التى يُصرح الفردوسى أنها ابنة ملك هاما وران، وهذا موجود أيضا فى البندهشن، حيث جاء اسمها سوتاك، وصورة هذا الاسم قريبة مما ذكره السعودى أن اسمها «سُعدى» وانها ابنة شمر ملك اليمن، وجاء هذا أيضا عند الثعالبى، أما الطبرى فلم يذكر اسمها وقال أنها ابنة افراسياب ملك الترك أو ابنة ملك اليمن[1] .

أما عن وقوع «كيكاوس» فى أسر ملك اليمن فيحكيها «الفردوسى، لنا على النحو التالى[2] :

– إن ملك هاماوران الخبيث صار مغموماً، وأخذ يبحث عن حيلة

= بدل كـــفت هر چند كـــو باشـــاست　　　چهـــا ندار وپيـــروز وفـــرمـــان رواست

مـــرا درجـــهـــان اين يكى دخـــتـــرست　　　كـــه ازجـــان شـــيـــرين كَرامـــيـــتـــر ست

غـمـينى كـشت وسودابه رابيش خـواند　　　زكـــــاؤس چندى ســـــخنهـــا براند

بدو كـــفت وســـودابه كَرچاره نيـــست　　　ازو بهـــتـــر امـــروز غم خـــواره نيـــست

بدانـسـت ســـــالار هامـــــاوران　　　كـــه ســـودابه را آن نيـــامـــد كَران

تكَه كـــرد كـــاؤس وخـــيـــره بماند　　　بســـــودابه برنام يزدان بخـــــواند

(١) لمزيد من التفصيل راجع :
حماسه سرائى : ص٤٧٢ ، مروج الذهب : حـ١ ص٢٢٧ ، الغرر فى أخبار ملوك الفرسى : ص١٥٨ ؛ تاريخ الطبرى : حـ١ ص٥٠٧ .

(٢) شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٨٧-٣٨٨ ، الأبيات بالفارسية :

غـــمين بد بدل شـــاه هامـــاوران　　　زهـر كَونـه چاره جـــــــست أندران=

– وقد أرسل رسولاً إلى الملك، بعد مضى أسبوع من الزواج .

– قال له : إن رأى الملك أن يشرفنى بضيافته فى منزلى .

– فيجيئ إلى مدينة هاماوران، لتتفاخر برؤية محياه .

– وهو يحتال فى كل ذلك، ليخفى سوء طويته وغرضه الحقيقى .

– أما سودابه فقد فهمت غرض والدها، الذى يضمر الشر .

– فقالت لكيكاوس ليس من الرأى الحصيف ذهابك لضيافته .

– فلم يلتفت لكلامها، ولم يكن هناك من ينصحه من الرجال .

– فذهب إلى ضيافة ملك هاما وران، مع أبطاله وقادة جيشه .

– وكان لهذا الملك السيئ مدينه اسمها «شاهه» زينها بالدر وزخرفها للحفل .

– وعندما دخلها كيكاوس ، جاء الجميع وسجدوا أمامه .

– وأخذوا ينثرون الجوهر والزعفران . والمسك المختلط بالعنبر .

– أماملك هاما وران فعندما رآه . ترجل أمامه مع كافة العظماء .

– وقد نثر الدر والياقوت والذهب، من ايوان الملك وإلى الباب .

= چو يكِ هفته بكذشت هشم يكاه　　فرستاده آمد بنزديك شاه
كه كرشاه بيند مهمانِ من　　بيايد خرامان سوى خان من
شودِ شهر هاماوران ارجمند　　چو بينند رخسار شاه بلند
بران كونه بااوهمى چاره جست　　نهانيش بد بود ورايش درست
بدانست سِودابه راى بدر　　كه باسور پرخاش درد بسر
بكاؤس كى كِفت كين رأى نيست　　ترا خود بمهمان اوجاى نيست
زسودابه كفتار باور نكرد　　نميداشت زيشان كسيرا بمرد
بشد بادليران وكنداوران　　بمهمانى شاه هاما وران
يكى شهر بد شاهرا شِاهه نام　　همان از در سور وجشن وخرام
چو در شاهه شد شاه كردن فراز　　همه شهر بردند بيشيش نماز
همى كوهر وزعفران ريختند　　بمشك وبعنبر برامیختند
چو ديدش سبهدار هاماوران　　پياده شدش بيش بامهتران
ازايون سالار تاپيش در　　همه درّ وياقوت باريد وزر=

– وقد جلس كيكاوس على تخت ذهبى وضع له فى القصر .

– وقد تشمر ملك اليمن فى خدمته صباح مساء مثل الخدم .

– وجعل كل جيشه كالعبيد بالنسبة للإيرانيين .

– وهكذا حتى أمنوا، وأبعدوا من رءوسهم جميع التساؤلات

– وأول الأسبوع الثانى، كان مزيناً بمؤامرة تشمر لها .

– وعلم بها كل جيش البربر، ومضوا إليه .

– ولما جاء الجيش من بربرستان، ارتاح قلب ملك إيران .

– وذات ليلة نُفخ البوق، وبدأت الغارة، فلم يُدبِّر أحد مؤامرة سيئة مثل هذه .

– فقبضوا على «كيكاوس» وعلى جيو وجودرز وطوس أيضا .

– كما أسروا كل المشهورين من أمثال كَركَين وزنجه شاوران .

– قيدوهم جميعا بقيود متينة، فانقلبت عنهم كل العظمة والتاج .

– وكان «الملك هاماوران» قلعة على جبل عالٍ، كأنها فى أعنان السماء.

– فأُرسل كيكاوس إلى هذه القلعة، ومعه جيوو جودرز وطوس.

= بكاخ اندرون تخت زرين نهاد　　نشست ازبرتخت كاؤس شاد

شب وروز دربيش چون كهتران　　ميان بسته بد شاه هاماوران

بستِه همه لشكرش را ميان　　پرستنده در پيش ايرانيان

بدين كونه تايكسرا يمن شدند　　زچِون وچرا وزبيم وكزند

سر هفته بودند آراسته　　سكالِيده وز جاى برخاسته

زبربر همه لشكر آكه شدند　　سكالش چنين بود در ره شدند

زبربرستان چون بيامد سپاه　　بهاماوران شاد دل كشت شاه

شِبى بانك بوقِ آمد وتاختن　　كسيِرا نبِد آرزو ساختن

كرفِتند ناكاه كِاؤس را　　همان كيو وكودرز وهم طوس را

چِو كَركين وچون زنكة شاوران　　همِه نِامداران كنند آوران

كرفتند وبستند دربند سخت　　نكونسار كشته همه فرّ وبخت

يكى دِز براَورده در كوهسار　　توكفتى سِپهِر ستش اندر كنار

بدان دز فرستاد كاؤس را　　همان كيو وكودرز وهم طوس را =

- وأرسل إليها كل العظماء الآخرين الذين وقعوا مع كيكاوس فى الأسر

وقد أرسل لسودابة عدداً من صاحبات الخدور ليحملنها إليه لكنها[1].

- عندما رأت صاحبات الخدور، مزقت ثوبها الخسروى على جسدها

- وقالت لست أريد فراق كيكاوس، حتى وإن واراه التراب .

- فإذا كنتم قد أسرتم كيكاوس، فيجب أن تقطعوا رأسى أيضا

- وقد نقلوا كلامها هذا لأبيها، فامتلأ قلبه حقداً وتملكه الضيق والحزن

- فأرسلها عند كيكاوس فى الحصن، وكبده بالغم محترق ، ووجهه بالدم مخضب .

هذه هى قصة المؤامرة التى حاكها ملك اليمن للإيقاع بـ«كيكاوس» فى أسره - كما جاءت فى الشاهنامة - وهى فى فكرتها الأساسية تتفق مع ما جاء فى المصادر البهلوية التى ذكرت أن «كيكاوس» وقع فى الأسر نتيجة لمكيدة تعرض لها، وهذا يخالف ما جاء فى المصادر الاسلامية - كما أشرنا من قبل - وقد ذكرت الشاهنامة أن «كيكاوس» حبس فى قلعة على قمة جبل، أما الطبرى والثعالبى فيذكران أنه حبس فى بئر[2]، ولا يحدد المسعودى المكان الذى حبس فيه، وإن كان يقول إنه حبس فى أضيق محبس، ويضيف إلى هذا أن سعدى كانت تحسن إليه فى خفية من أبيها[3]، وهذا يخالف ما جاء فى الشاهنامه وماجاء عند الثعالبى أيضا الذى يذكر أن «ملك اليمن عندما أراد أن يرد سودابه

= همـــه مـــــهـــــرَان دكَررا ببند　　　اباشـــــاه كـــــاؤس دردر فكنـد

(١) شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٩٠ الأبيات بالفارسية :

چو ســـودابه بوشـــيـــد كَانرا بِديد　　　بتن جـــامـــة خـــســـروى بر دريد
جـــدايى نخـــواهم زكـــاؤس كفت　　　اكرچه ور اخـــاك باشـــد نهـــفت
چو كـــاؤس رإبند بايد كـــشـــيـــد　　　مـــرا بى كنه ســـربيـــا بد بريِد
بكفـــتـند كفـــتـــار او با پدر　　　پر از كين شـــدش ســـر پراز خـــون جكر
بحـــصنش فـــرســـتـــاد نزديك شـــوى　　　جكر خـــســـتـــه ازغم زخـــون شـــسنه روى

(٢) تاريخ الطبرى : حـ١ ص٥٠٧، الغرر : ص١٥٩ .
(٣) مروج الذهب : حـ١ ص٢٢٧

إلى قصره امتنعت عليه ومزقت ثيابها وقالت والله لئن منعتنى من المسير كل يوم إلى رأس البئرِ ، لاقتلن نفس» ، فكانت كل يوم تزور كيكاوس وتلقى إليه وإلى الذين معه ما يصلحهم ويمسك أرماقهم»[١] ورواية الثعالبى هذه توافق ما جاء فى الشاهنامة من ناحية أنها كانت تصير إليه بعلم أبيها، وتخالفها فى أنه حُبس فى بئر .

أما عن حال «إيران» وما جرى لها بعد تناثر الأخبار بوقوع كيكاوس فى الأسر، وخلو عرشها من الملك، فتذكر الشاهنامة[٢] أنه :

– عندما حُبس هذا الملك صاحب التاج، مضت جيوشه إلى إيران.

–فعبروا البحر بالسفن والزوارق،وسلكوا طريقهم عبراك الصحارى والجبال.

– وعندما وصلت جيوشه إلى إيران، تفرقت فى كل البلاد .

ويضيف أيضا عن إغارة الأمم المجاورة لإيران عليها أنهم[٣] .

– عندما لم يروا ملكاً جالساً على العرش الذهبى، وثبوا عليها لاغتصاب التاج .

– فجاءت جيوش جرارة من كل ناحية، من الترك ومن الصحراء جاء العرب .

– وتعالت الصيحات فى كل إيران، وصارت المملكة الآمنة ميدان وغى .

---

(١) الغرر : ص١٥٩ –١٦٠

(٢) شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٩٠–٣٩١، الأبيات بالفارسية

چو بسته شد آن شاه ديهيم جوى   سپاهش بايران نهادند روى
زدريا بكشتى وزورق شدند   وزين رو بصحرا وهامون زدند
چو آمد بايران زمين لشكرش   پراكنده شد درهمه كشورش

(٣) شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٩١ : الأبيات بالفارسية :

چو برتخت زرين نديدند شاه   بجستن كَرفتند هركس كلاه
زتركان وازدشت نيزه وران   زهر سو بيامد سپاهى كران
ازايران برآمد بهر سو خروش   شد آرام كِيتى پر ازجنك وجوش =

- فهب جيش افراسياب سريعاً من بينهم، واشتبك مع جيش العرب.
- واستمر القتال بينهم ثلاثة أشهر، وقتل الكثيرون من أجل التاج .
- وانهزم العرب على يد الأتراك، وفروا سريعاً، وقد خسروا .
- وقد تبعثر الجيش فى إيران، وصار الجميع أسرى .

وهذه الحادثة التى ترويها الشاهنامة عن إغارة العرب والأتراك على إيران أثناء أسر كيكاوس فى اليمن تتفق أيضا مع ما جاء فى البندهشن الذى تقول روايته إن هناك رجلاً اسمه رنكياب (ذو عين مسمومة) جاء من بلاد العرب ليستولى على ملك إيران[1]، وفقا لرواية البندهشن يعلم أن الفرس هم الذين استعانوا بأفراسياب لطرد العرب من إيران[2]. أما الفردوسى فيذكر أن أفراسياب هب من نفسه لطرد العرب والاستيلاء على إيران .

فإذا جئنا إلى قصة فك أسر «كيكاوس» نجد الشاهنامة تذكرها على النحو التالى[2] :

- أن الإيرانيين اتجهوا فى مجموعتين إلى زابلستان، راغبين فى لقاء ابن دستان .
- وقالوا إننا نحتمى بك من المصائب، فقد فقدنا الآن عظمة الملك كيكاوس .
- فياحسرة على إيران التى خربت، وصارت وكراً للثعابين والأسود .

= بشد تند افراسياب ازميان ... براويخت بالشكر تازيان
بجنك اندرون بود لشكر سه ماه ... بدادند سرها زبهر كلاه
شكست آمد ازترك برتازيان ... زجست فزونى سر آمد زيان
سپاه اندر ايران پراكنده شد ... زن ومرد وكو دك همه بنده شد

(١) حماسة سرائى : ص٤٧١
(٢) شاهنامة فردوسى : حـ٢ ص٣٩٢، الأبيات بالفارسية :

دو بهره سوى زابلستان شدند ... بخواهش پور دستان شدند
كه مارا زبدها تو باشى يناه ... چوكم شد كنون فرّ كاؤس شاه
دريغست ايران كه ويران شود ... كنام پلنكان وشيران شود

وعندما سمع رستم هذا الكلام [1] :

– امطرت عيونه وابلاً من الدموع، واشتعل قلبه ناراً، وامتلأت روحه ألما.

– وهكذا فقد أجابهم : إننى وجيشى قد عقدنا العزم على الأخذ بالثأر.

– وعندما أفرغ من أمر كيكاوس، سوف أُخلص إيران من الترك .

– وأرسل فى كل أنحاء إيران، فجاءه جيش من كل إقليم .

– فتوافدت عل البطل جيوش من زابل ومن كابل ومن الهند أيضاً .

ثم أرسل رسولاً إلى كيكاوس يقول له[2] :

– إننى آت بجيش جرار، لمحاربة ملك هاماوران .

– فاهنأ ولا تغتم، فها قد وصلت إلى حدود ذلك البلد .

– كما أرسل الى ملك اليمن، واحداً من المشهورين الشجعان .

– وكتب رسالة محكمة، مليئة بالتهديد والوعيد .

– وقال إن أطلقت سراح الملك كيكاوس، فإنك تنجو من قبضة الثعابين.

– واذا لم تفعل فهيا لمحاربتى، واستعد لملاقاة جيوشى .

١ـ شاهنامه فردوسى : حـ٢ ص ٣٩٢، الأبيات بالفرسية

ببـاريـد از ديـدكان آب زرد — دلش كَشت پرتاب وجـان پرزدرد
چنين داد باسخ كـه من باسـپاه — ميـان بستـه ام جنك راكـينه خـواه
چو يابم زكـاؤس كى أكـهى — كنم شـهـر ايران زتركـان تهى
فـرسـتـاد هرسـوا بهـر كـشورى — بيـامـد بهـر جـايكه لشكرى
ز زابـل هـم از كـابـل وهـندوان — سـپـه جـمله آمـد بر بهلوان

٤ـ شاهنامه فردوسى : حـ٢ ص٣٩٣ : الأبيات بالفارسية :

كـه من آمـدم باسـپـاه كَران — سـوى رزم سـالار هامـاوران
تو دل شـادمـان دار وانده مـخـور — كـه اينك رسـيـدم بدان بوم وبر
همـان نزد سـالار هامـاِوران — بشـِيد نامـدارى زكـند أوران
يـكِـى نامـة بنوشت باكرودار — براز كَرز وشـمـشـيـر وپركـار زار
اكر شـاه كـاؤس يابد رها — تورسـتى زچـنـك بد اردهـا
وكرنـه بيـاراى جنك مـرا — بكردن پيـمـاى هنك مـرا

أما ملك هاماوران فقد أجابه بقوله[1] :

– إنك إن أتيت إلى بربرستان، سوف تحيط بك الفرسان من كل ناحية.

– وها هو القيد والسجن معدان لك، إذا كانت هذه رغبتك وهذا رأيك.

وبعد هذه المراسلات لم يتبق إلا خوض غمار الحرب، وقد سار رستم فى الطريق نفسها التى سار فيها «كيكاوس» ففضل طريق البحر كما تذكر الشاهنامه[2] :

– فجاء من طريق البحر العميق، ليبعد طريق البر.

– وعبر الجيش الجرار إلى هاماوران بالسفن والزوارق.

– وعندما علم ملك هاماوران بمجيئ هذا الجيش ورغبة رستم فى الثأر.

– فكان عليه وواجبه أن يستعد للحرب، فليس هذا أوان السكون والكسل.

– غضب وثار البلد مليئا بالجلبة، وأخذت الدنيا تغلى من الغاره وإسالة الدماء .

– وعندما خرج من المدينة مع جيشه، أسود النهار عليه وصار كالليل البهيم .

١ـ شاهنامه فردوسى : حـ٢ ص ٣٩٤، الأبيات بالفارسية

تو هر كه آيى ببربرستان ... سواران همه كَرد كرده عنان
همين وزندانت آراستست ... اكررايت ابن ارزو خواستست

٢ـ شاهنامه فردوسى : حـ٢ ص٣٩٥ – ٣٩٦ : الأبيات بالفارسية :

سوى زرف دريا بيامد بجنِك ... كه برخشك بربود ره بادرنكَ
بكشتى وزورق سباهى كران ... برفتِند برسوى هاماوران
چو سالار هامِاوران زين سپاه ... شد آكاه واز رستِم كينه خواهِ
ببايست بركاهش آمد بجنك ... نبد روزكار سكون ودرنك
براشفت زان مرز اپرشد خروش ... جهان آمد ازغارتِ وطون بجوش
چو بيرون شد از شهر خود باسپاه ... برو روز همچون شب آمد سياه=

–وتراصت الجيوش عن اليمين وعن الشمال، يريدون حرب ذلك المشهور.

– وكأن البطل رستم قال أنا رجل الحرب، ورجل الجلبة والصياح.

– وارتدى درع الحرب، وامتطى رخشه السريع.

– وحمل على كتفه عموده الثقيل، وألهب فرسه، فجاء يفور.

– فلما رأى الجيش صدره وجسمه، والعمود بيده وقوة عضده.

– تفرقت الجماعات خوفاً منه، وطارت من الوجل قلوبهم.

– وفرت الجيوش الجرارة من أمام البطل، واحتموا بمدينة هاماوران.

وهكذا انتهت هذه المعركة كما تحدثنا الشاهنامة بهزيمة ملك هاما وران، وفرار جيوشه أمام رستم، وتحصنها بمدينة هاماوران.

= چپ وراست لشکر بیارا ستند ‏ ‏ بجنك اندرون نامور ساختند
کو بیلتن کفت جنکی منسم ‏ ‏ بآورد که بردرنکی منم
بپوشید بس جوشن کارزار ‏ ‏ برخش دمنده برآورد بار
براورد کرز کرانرا بدوش ‏ ‏ برانکیخت آسب وبرآمد بجوش
چو دیدند لشکر بروپال اوی ‏ ‏ بدست اندرون کرز وکوپال اوی
توکفتی که دلشان برامد زتن ‏ ‏ زهولش پراکنده کشت انجمن
کریزان بیامد بهاماوران ‏ ‏ زبیش تهمتن سپاهی کران

ولم تكن هذه هى المعركة الوحيدة التى خاضها رستم لتخلص «كيكاوس» كما تحدثنا الشاهنامة ، بل كانت هناك معركة أخرى أشد ضراوة ، اجتمعت ضده فيها ثلاثة جيوش ، فقد أرسل ملك «هاماوران» يطلب مساعدة ملك مصر وملك البربر ، وهذه الممالك متجاورة كما تحدثنا الشاهنامة فتقول[1] .

ـ عندما جلس ملك اليمن مع صاحب رأيه ، طلب شابين من الجماعة.

ـ ليرسلهم بسرعة إلى ملك مصر والبربر ، كأنهم الريح العاصفة.

ـ ويسلمان رسالة لكل منهم ، مكتوبة بدم العين وحرقة القلب.

ـ فهذه الممالك ليست بعيدة عنهم ، ولهم معاهدات معاً فى السلم والحرب.

ـ وقال لهم لو كنتم معى متحدين ، فلن أخاف من رستم أبداً.

ـ وإذا لم تكونوا فسيعم الهلاك على جميع ، فسوف تصل يد السوء إلى كل ناحية.

ـ وعندما وصلتهم الرسالة ، بأن رستم قد أغار على هذا الوادى.

ـ نهضوا جميعاً وقلوبهم وجلة ، واستعدت جيوش البلدين للنزال.

ـ واتجهوا إلى هاماوران وصارت الأرض كالجبل من أولها إلى آخرها

---

(١) شاهنامة فردوس: حـ٢ص٣٩٦ ـ ٣٩٧ الأبيات بالفارسية:

چو بنشت سالار باراى زن   دو مرد جو ان خواست از انجمن
بدان تافر ستد هم اندر زمان   بمصر وببربر ر چو باد دمان
يكى نامه هريك بدست اندرون   بنشته بدرد دل ازآب خون
كِزين پادشاهى بدان نيست دور   بهم بود نيك وبد وجنك وسور
كرايدون كه باشيد بامن يكى   زر ستم نترسم بجنك اندكى
وكرنه ازين برهمة بدرسد   دراز ست برهر سو يى دست بد
چونامه بنزديك ايشان رسيد   كه رستم بد ان دشت لشكر كشيد
همه دل پراز بيم برخا ستند   سپاه دو كِشور بيارا ستند
نهادند سرسوى هاما وران   زمين كوه كشت ازكران تاكران

أما رستم فقد أرسل رسالة فى السر إلى الملك «كيكاوس» قال فيها [1]:

ـ لقد اجتمع ثلاثة ملوك فى جيوشهم لمحاربتى.

ـ وإننى إذا حاربتهم لن أبقى من أبطالهم أحداً.

ـ لكننى لا أريد أن يلحق بك أذى ، فمن أهل السوء يأتى السوء.

ـ وماذا أصنع بعرش البربر ، إن لحقك أذى.

ـ وقد أجابه كيكاوس لا تفكر فى هذا ، فقد مُهدت الأرض لملكى

ـ فلا تبق منهم أحداً حياً ، لا ظاهراً ولا مخفياً.

ـ وعندما سمع البطل رده ، تهيأ ولبس لباس الحرب.

ثم تزاحفت الجموع، وتلاقت الجيوش ، وقامت الحرب ، وفيها رمى رستم ملك الشام بالوهق فى حلقه : كما أنه[2]:

ـ اختطفه من فوق سرجه ، كما لو كان كرة أصابها الصولجان.

ـ وألقاه، فأوثق بهرام يديه ، وأخذه أسيراً مع ستين من قواده المشهورين.

ـ كما أسر ملك البربر فى قبضة قوية ، هو وأربعون من القادة.

ـ أماملك اليمن فقد رأى ، القتلى فى كل مكان.

(١) شاهنامة فردوسى: حـ٢ ص٣٩٧ ـ ٣٩٨ ، الأبيات بالفارسية:

كِه شاه سِهِ كشور همه جنكجوى   بيك ره سوى من نهادند روى
اكرجنك رامن بجنبم زجاى   دليران ندانند سررا زپاى
بنايدكزين كين بتو بدرسد   كه كار بد از مردم بد سزد

مرا تخت بربر نيايد بكار   اكَر بِد رسد برتن شهر يار
چنين داد پاسخ كه منديش ازين   نه كسترده ازبهر من شد زمين
واز ايشان يكى زنده اِندرجهان   مَمان أشكارا نه اندر نهان
تهمتن چو بشنيد كفتا راوى   بسيچيد وزى جنك بنهاد روى

(٢) شاهنامة فردوسى: حـ٢ ـ ٣٩٨:

ززين بركَر فتش بكر داركَوى   كِه چو كَان بزخم اندر آيد بردى
بيفكند وبهرام دستش ببسِت   كِرفتار شد نام بردار شصت
شِه بربر ستان بچنك كراز   كرفتار شد باجهل سرفراز
نكَه كرد پس شاه هاما وران   همه كشته ديد ازكران تاكران =

ـ ورأى جماعة من المشهورين مجروحين ، وجماعة واقعة فى الأسر.

ـ ورأى رستم ومعه سيفه البتار وقد جعل الميدان كما لو كان يوم القيامة.

ـ فعلم أن هذا اليوم يوم بلاء ، فأرسل إلى رستم وطلب الأمان.

ـ وتعهد أن يطلق سراح كيكاوس وقادته ، ويحضرهم إلى رستم من هاماوران.

وهكذا يطلق رستم سراح «كيكاوس» بعد أن يحارب ملك هاما وران في البداية ويهزمه ، ثم يحارب ملوك الممالك الثلاثة مصر والبربر وهاما وران ، ويهزمهم أيضا ، ويرغمهم على إطلاق سراحه ، وعلى دفع الجزية والخراج له. وما قاله: الفردوسى فى فكرته الأساسية يتفق مع ما جاء فى «البندهشن» الذى يقول إن رستم تحارب مع ملك شميران وأسره وفك أسر كيكآوس والأخرين[(١)] .

وما جاء عند المسعودى أيضاً يتفق مع هذه الرواية ، إلاّ أن المسعودى يذكر أن رستم قتل ملك اليمن[(٢)] .والفردوسى يذكر فى موضع آخر من الشاهنامة أن «كيكاوس» لما تأكد أن «سودابه» كاذبة بالنسبة لما تدعيه على ولده سياوش وأراد قتلها [(٣)].

ـ تذكر ما سوف يثور من هاماوران من فتن ومنازعات وحروب بسببها. وهذه إشارة لاستمرار والدها حياً إلى ذلك الوقت.

أما الطبرى فيذكر أن رستم أخرج كيكاوس من محبسه وأخذه ، وأن ملك اليمن أراد محاربته لكنه خشى البوار فاصطلحا على أخذ كيكاوس والعودة إلى بلاد الفرس[(٤)] .

وبالنسبة لسودابه فقد أرسل إليها محملاً مغطى لتأتى فيه إليه ، وأكرمها وقد ذكر المسعودى شيئا قريبا من هذا أيضا وكذلك الثعالبى.

=كروهى زنام اوران خسته ديد — كَروهى بند كَرانِ بسته ديد
كو پيلتن ديد باتيغ تيز — فكنده بران رزمكه رستخيز
بدانست كان روز روز بلاست — برستم فرستاد وزنهار خواست
بپيمان كه كاؤس كى باسران — بررستم أرد ز هاماوران

.(١) نقلا عن حماسة سرائي : ص٤٧٠

(٢)مروج الذهب: حـ١ ص٢٢٧

(٣)شاهنامة فردوسي: حـ٣ ص٥٤٥ ، البيت بالفارسية:
ز هاماوران زان بس انديشه كرد — كه برخيزد آشوب وجنكَ ونبرد

(٤)تاريخ الطبرى: حـ١ ص٥٠٧

إجلاء أفراسياب عن إيران:

فإذا جئنا لإجلاء أفرا سياب عن أرض إيران لنبين كيف سجلته الشاهنامة: نرى الفردوسي يذكر أن جمعاً من جيوش البربر ومصر وهاما وران يبلغ مائة ألف قد انضم لجيش كيكاوس، وأن جيوشه بلغت أكثر من ثلاثمائة ألف، لكنه لم يكتف بهذا بل استعان أيضا بجيوش الروم، فأرسل رسالة لقيصر الروم يأمره فيها أن يرسل إلى إيران من مشاهير أبطال الروم من يقض راحة أفرا سياب إلى أن يلحق بهم في جيوشه، أما ملك الروم فإنه(٥).

- لما علم بما حدث لها ما وران، وبلاد العرب.
- وسمع بفعل رستم في مصر والبربر، وماجرى لملوكهم في الحرب.
- فإنه أرسل فارساً شجاعاً ومحارباً سريعاً.
- وكتبو ا له رساله تليق بمكانته وكلاماً يرضيه.
- وقالوا نحن عبيدك، ولا نتصرف في الدنيا إلا طوع أمرك.
- وإننا عندما جاءت الذئاب متطلعة إلى عرش الملك.
- تألمنا من عملهم، فهم دوماً يطمحون إلى تلك المكانة العالية.
- ولقد استعنا بكل الأقوياء المحاربين، وتجمعنا لإدراك هذا الثأر.
- ومضينا إليه بحراب طويلة، وكدرنا صفوه وهناءه.

(٥) شاهنامة/فردوسي: حـ٢ ص٤٠٣، الأبيات بالفارسية:

پس آ كا هی آمـد زهامـا وران	بدشت سـواران نيـزه وران
كه رستم بمصر وبير بر چه كرد	بران شـهـر يارانِ بروز نبـرد
دليـری بجـستند كـرد سـوار	عنان پيچ اسب افكن ونيـزه دار
نبـشتند نامـه يكی شـاهوار	سـخنهـای شـايستـه آبد ار
كه ما شاهرا سربسر چا كريم	جـهـان جـز بفـرمان.او نسـپريم
چو ازكَر كـساران بيامـد سپاه	كه جويند كاه كان سرافراز شاه
دل مـا شـد از كـار ايشـان بدرد	كـه دلشـان چنين برتری يادكـرد
همـه نامـداران شـمـشيـر زن	برين كـينه كه برشـديم انجـمن
برفـيـتم باتيـزهای دراز	بـرو تلـخ كـرديم آرام وناز=

ـ فسقط منا ومنهم قتلى كثيرون ، ومرّ زمان على هذا الحال.

ـ والآن جاءتنا بشارة بأمرك ، وبتجدد العظمة الكيانية.

ـ وإنك عندما تلوى عنانك من البربر ، نضع نحن السيوف فى أعناقهم.

ـ ونملأ الأرض بدمائهم ، ونجعلها تجرى كأنها نهر چيحون.

وقد كتب «كيكاوس» رسالة إلى «أفراسياب أيضا ، يأمره فيها بالخروج من إيران ، والرجوع إلى توران ، فاغتاظ أفر اسياب ورد عليه بما يأتى[1] :-

ـ إنك لو كنت جديراً بعرش إيران ، فما حاجتك لهاما وران.

ـ إن إيران كلها منزلى ، فأنا انتسب لتوربن أفريدون.

ـ ومن ناحية ثانية ، إننى قد أخليتها من العرب بقوة السيف.

ـ وعندما سمع كيكاوس رده ، جهز جيشا لمحاربته.

ـ وجاء من البربر ناحية العرب ، جيش لا حصر له.

وقد انتهت هذه المعركة كما تحدثنا الشاهنامة بهزيمة أفراسياب وفراره إلى توران . أما كيكاوس[2]:

ـ فرجع إلى فارس، وتجددت سعادة الدنيا به.

ـ فزين العرش ، وبسط العدل ، ومد بساط السرور والشراب.

= ازيشان وازمابس كشته شد — زمانه بهر نيك وبدكَشته شد
كنون أمدِ ازكارتو آكهى — كِه تازه شد آن فرّ هنشهى
چوتو بركرايى ز بربر عنان — بكردن بر آريم يكسر سنان
زمين كوه تاكوه پرخون كنيم — زخون شان جهان رود جيحون كنيم

(١)شاهنامة فردوسى حـ٢ص٤٠٥ ـ ٤٠٦ الأبيات بالفارسية:

تراكَر سزا بود ايران بدان — نيازت نبودى بها ما وران
همهِ شهر ايران سراى منست — كه تور فريدون نياى منست
وديكر ببازوى شمشير زن — تهى كردم ازتازيان اِنجمن
چو بشنيد كاؤس كفتاراوى — بياراست لشكر پيكار اوى.
زبربربيا مد سوى تازيان — يكى لشكر بى كران وميان

(٢)شاهنامة فردوسى:حـ٢ص٤٠٨ ، الأبيات بالفارسية:

بيامد سوى پارس كاؤس كى — جهانى بشادى نو افكَندِ پى
بياراست تخت وبكسترد داد — بشادى وخوردن درانددر كشاد

هذا هو ملخص رواية الشاهنامة عن إجلاء أفراسياب عن عرش إيران، وعودة «كيكاوس» إليها، وهي تتفق بهذا الشكل مع ما جاء في البندهشن، حيث يذكر أن رستم لما فك أسر «كيكاوس» والآخرين شن حربا على «أفراسياب» بالقرب من أصفهان ثم تحاربوا معه ثانية حتى أجلوه عن إيران إلى تركستان وقاموا بعدها بتعمير إيران(١) وقد ذكر الثعالبي(٢) أيضا رواية تتفق مع ما جاء في البندهش وما جاء عند الفردوسي، أما الطبري والمسعودي فلم يذكرا شيئا عن هذه الحرب.

قصة قصر كيكاوس العجيب:

من أخبار «كيكاوس» الأخرى التي دار حولها كثيرٌ من الكلام قصة ذلك القصر العجيب الذي بناه له الجن ، وقد ذكرت قصة هذا القصر في كل المصادر تقريبا ، أما الفردوسي فيقول: (٣)

- إنه شيد منزلا في جبل البرز ، لاقت الشياطين كثيرا من التعب في بنائه.

- فقد أمر بنقر الحجر ، وبنوا له منزلين كل واحد من عشرة طوابق.

- وبنى فيه اصطبلا من الحجارة ، وسمروها بالفولاذ وبحجر الجرانيت.

- وجعلوه اصطبلاً لخيول الحرب ، وللجمال وحاملات العماريات وخيول البريد.

- ثم ابتنى منزلاً من الزجاج ، ورصعه بالزبرجد في كل موضع.

---

(١) نقلا عن حماسة سرائي: ص٤٧٠

(٢) الغرر: ص١٦٤

(٣) شاهنامة فردوسي: جـ٢ ص٤٠٨ ـ ٤٠٩ ، الأبيات بالفارسية:

یکی جای کرد اندر البر کوه — که دیو ازچنان رنجها بدستوه
بفرمود تاسنك خسارا كنند — دو خانه برو هريكى ده كمند
بیاراست آخر بسنكِ اندرون — زپولاد میخ وزخارا ستون
ببستند اسپان جنكى دروى — هم اشتر عمارى كش وراه جوى
یکی خانه را ز ابکینه بساخت — زبرجد بهر جای اندر نشاخت=

ـ وكان هذا المكان منزلاً لسروره ويشرابه ، فيجب أن يسرا بالشراب ويهناً.

ـ ومن الجزع اليمانى بنى قبة ، جعلها مجلساً للموبد المشهور.

ـ لأن منزلا كهذا صنيعه ، لا يكون العلم فى مضماره وصيفاً.

ـ وبنى له منزلين برسم السلاح ، وجعلها من الفضة الخام.

ـ كما بنى له منزلا ذهبياً ليكون مجلساً له ، يبلغ ارتفاعه مائه وعشرين ذراعاً.

ـ وزينه بالفيروز ، ونقش باب ايوانه بالياقوت.

ـ وفى هذا المكان الذى يتمناه القلب حقاً ، لا يطول النهار ولا يقصر.

ـ لا أثر فيه للصيف ولا للشتاء ، هواؤه عنبر ، وأمطاره خمر.

ـ كل أيام عامه ربيع دائم ، والورود به مثل وجوه العذارى.

ـ استراح القلب فيه من الألم والتعب ، وكان التعب فيه من نصيب الجن.

هذا هو وصف القصر كما جاء فى الشاهنامة ، وهذا الوصف قريب مما جاء فى المصادر الپهلوية من «دينكرت» و«بندهش» مع بعض اختلافات فى

=چنین جای بودش خرام وخورش   که باشدش ازخوردنی پرورش
زجزع یمانی یکی کَبندی   نشتنکه نامور مِوبدی
از ایرا چنین چایکَه کردراست   که دانش ازان جای هرکز نکاست

دو خانه زبهر سلیح نبرد   بفرمود از نقره خام کرد
یکی کاخ زرین زبهر نشست   برآورد بالاشرا بردو شست
زبیروزِه کرده براو برنکار   ایوانش یاقوت برِده بکار
چنین جایکَاهی که دل خواست راست   که روزی بیفزود وهرکز نکاست
نبودی تمور ایچ پیدا به دی   هِوا عنبرین بود وبارانش می
همه ساله روزش بهاران بدی   کَلان چون رخ کَل عذاران بدی
زدرد وغم ورنج دل دور بود   بدیرا تن دیو رنجور بود

التفاصيل ، فقد جاء فى الـ «دينكرت» أن «كى اوس» بنى سبعة قصور فوق جبل البرز أحدها من الذهب واثنان من الفضة واثنان من النحاس واثنان من الزجاج ، ومن تلك القلعة كان يحكم شياطين مازندران ويمنعها من إفساد العالم. وإذا ما دخل شخص مسن يعانى سكرات الموت أحد هذه القصور فإنه يعود إلى صورة فتى فى الخامسة عشرة من عمره[١]. وعن هذا القصر أيضا جاء فى البندهش أن قصر «كى او س» عبارة عن عدة منازل ، أحدها من الذهب كان يعيش فيه ، وقصر ان من الزجاج اتخذت اصطبلا لخيله ، واثنان الحديد من أجل قطعان ماشيته. وكل ما يؤكل أو يشرب فيها يمنح الخلود للإنسان، وإذا دخل شيخ من باب يخرج من الباب الثانى فتى فى الخامسة عشرة من عمره[٢]. وهكذا تتفق الخطوط العامة وتختلف بعض التفاصيل بين الشاهنامة وبين المصادر البهلوية ، أما تاريخ الطبرى فيذكر قصة بها كثير من الاختلاف مع القصة السابقة وقليلاً من التشابه ، فيقول عن هذا القصر إن الشياطين بنت له مدينة طولها ثلاثمائة فرسخ ، وبنوا عليها سوراً من صفر ، وسوراً من شبه ، وسوراً من فضة ، وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والأرض ، وكان كيكاوس لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث فيها ، ثم أن الله أرسل من يخربها ، فعجزت الشياطين عن المنع عنها ، فقتل كيكاوس جماعة من رؤسائهم ، ويضيف الطبرى إلى هذا أن بعض العلماء بأخبار المتقدمين قالوا: إنما سخر له فعل الشياطين بأمر سليمان بن داود[٣]. وبهذا نلاحظ انتقال التأثيرات السامية إلى هذه القصة.ويتضح هذا أيضا من قول المسعودى إنه «كيكاوس» بنيانا لحرب السماء (فى العراق).[٤] وبهذا تتشابه قصته مع قصة بختنصر مرزبان العراق فى بعض نواحيها كما جاءت فى المصادر الإسلامية.

قصة صعوده إلى السماء:

هناك قصة أخرى أثارت كثيراً من الجدل حول«كيكاوس» وهى قصة محاولته الصعود إلى السماء ، يذكر الفردوسى هذه الحادثة على النحو التالى:

---

(١)نقلا عن حماسة سرائى:ص ٤٩٧.
(٢)نفس المرجع والصفحة.
(٣) تاريخ الطبرى: حـ١ص٥١٠
(٤)مروج الذهب: حـ١ص٢٢٦

أن الشياطين لما تعبت من تسخير كيكاوس لها ، اتفقت فيما بينها أن تخدع كيكاوس وتجعله يخرج من طاعة الله ، حتى تسقط عنه العظمة الكيانية (البهاء الملكي) فيستريحون منه ، ولهذا تصور له أحدهم في صورة غلام فصيح ولزم خدمته وأخذ يزين له الصعود إلى السماء ويقول له[1].

ـ إنك بعظمتك الجميلة هذه ، تستحق أن يكون الفلك كله عرشاً لك.

وقد ظل هذا الشيطان يغويه حتى تمكنت الفكرة من رأسه ، فكرة الصعود إلى السماء ، فأمر[2]:

ـ أن يذهبوا إلى وكر العقبان ، أثناء نومها.

ـ وأحضروا صغارها ، وجعلوا كل واحد أو اثنتين منها في المنزل.

ـ وأخذوا يربونها ويطعمونها بالطيور والحملان لمدة ثلاثة عشر شهراً.

ـ حتى ترعرعت وصار الواحد منها في حجم التيس وفي قوة الأسد.

ـ صنع تختا من العود القماري ، وسمره بمسامير من الذهب.

ـ وثبت في جوانبه الحراب الطوال ، هكذا أعدت.

ـ وعلقوا على كل حربة فخذ حمل ، وربطوا بحيث تنشغل بها.

ـ وقد اختاروا أربعة عقبان قوية ، وربطوا العرش على أجنحتها.

---

(١) شاهنامة فردوسي: حـ٢ ص٤١٠ ، الأبيات بالفارسية:

چنين كـفت كين فـرّ زيبـاى ... همـى چرخ كَردان ســـــزد

(٢) شاهنامة فردوسي: حـ٢ ص٤١١ ، الأبيات بالفارسية:

بفـرمـود بس تا بهنكَام خـواب ... برفـتند سـوى نشيم عـقـاب
از آن بچـه بسـيـار برداشـتند ... بهـر خـانه يك دو بكذاشـتند
همى پرورانيـد شـان سـال ومـاه ... بمرغ وكـبـاب وبره چند كَاه
چو نيـرو كَرفـتـذ هريك چوشـيـر ... بران سـان كـه غـرم اندر آرند زير
زعـود قـمـارى يكى تخت كـرد ... سر تختـهـا را بِزر سخت كـرد
بپـــهلو وش برنيـــزهاى دراز ... ببـست وبران كَونه پركـرد سـاز
بيـــاويخت برنيـــزه ران بره ... ببـست اندر انديشـه دل يكسـره
ازان پس عــقــاب دلاور جــهـــار ... بيـاورد وبرتخت بست استـوار=

ـ ثم جلس كيكاوس على العرش، وأمامه جام الخمر.

ـ وعندما اشتد الجوع بالعقبان، أسر عن نحو اللحم.

ـ فارتفعن بالعرش عن الأرض، محلقات فوق السحاب.

ـ وطالما كن قويات، قصدن اللحم هاشات.

ـ وقد سمعت أن كيكاوس كان يذهب للفلك، ليمضى إلى الملك.

ـ وقال آخر إنه ذهب للسماء، ليشن حربا بالقوس والنبال.

ـ وقد طرن كثيراً حتى تعبن، كما هو حال من يلهبه الطمع.

ـ وعندما أدركهن التعب، اغتممن وغرقت أجنحتهن فى العرق.

ـ وانقلبن خاسرات من السحاب الأسود، فانفصل السنان من التخت بفعل الهواء.

ـ ووقعوا فى ناحية من الصين، وجلسوا على الأرض فى أمل.

ويكمل الفردوسى هذه القصة بقوله(١):

ـ ومن عجب الدنيا أنه لم يهلك، إذ كان هناك وجود خفى فيه.

ـ فكان يُراد منه أن يعقب سياوش، فمد له فى أجله.

=نشستِ ازبرتخت كاوس كى نهاده بپيش اندرون جام مى
چوشدكرسنه تير پران عقاب سوى كوشت كردند هريك شتاب
زروى زمين تخت برداشتند زهامونِ بابراندر افراشتند
بدان حدكه شان بودنيرو بجاى سوى كوشت كردند آهنك وراى
شنيدم كه كاوس ازان فلك همى رفتِ بكذرد از ملك
دكركفت ازان رفت برآسمان كه تاجنك سازد بتيرِ وكمان
پريدند بسيار وماندند باز چنين باشد آنكس كه كيردش آز
چوِ بامرغِ پرنده نيرو نماند غمين كشت ويرها بخوى درنشاند
نكونسار كشتند از ابرسياه كشان ازهوا نيزه وتخت شاه
سوى پيشه شهر چين آمدند بامل روى زمين آمدند

(١)شاهنامة فردوسى: حـ٢ص٤١٢ الأبيات

نكردش تياه از شكفيتي جهان همى بودنى داشت اندر نهان
سياوش ازو خواست آمد بديد بيايست لختى چميد وچريد

ـ وبدلاً من العظمة والتاج، كان الندم والتعب قريناً له.

ـ وبقى فى هذه الناحية يدعو الله فى ذلة وخنوع.

أما عن إعادته إلى إيران فيذكر أنه عندما علم رستم وكَيو وطوس بالخبر عنه، أسرعوا إليه بالجيش ، وهم فى دهشةٍ منه ومن أفعاله، وعندما وصلوا إليه قال له جودرز[١]:

ـ إن مستشفى المرضى أولى بك من العاصمة.

ـ فأنت كل وقت تفسح مكانك للأعداء، كما لو كنت شخصا مجنونا.

ـ وقد تسببت فى هذه المشاكل ثلاث مرات، ولم تتعلم من التجارب.

ـ إنك قَدت الجيش إلى مازندران، فانظر ما لاقيت فيها من محنة:

ـ وفى المرة الثانية كنت ضيفا على عدوك، فصرت كالصنم وقد اجتمعوا عليه.

ـ ولم يسلم أحد فى الدنيا من محاربتك له، إلا الخالق.

ـ وقد أغرت على الدنيا كلها، والآن تغير أيضا على السماء.

بجـاى بزركى وتخت نشـست　　　پشـيـمـانى ورنج بودش بدستِ
بمانده بـبيشـه درون خـوتر وزار　　　نيـايش همى كـرد باكـردكار

(١) شاهنامة فردوسى: حـ٢ ص٤١٣ الأبيات بالفارسية.

بدو كَفت كَودرز بيـمـارسـتـان　　　تراِجـاى زيبـاتر از شـار سـتـان
بدشمن دهى هرزمان جاى خويش　　　نكويى بكس بيهدهِ راى خويش
سه بارت چنين رنج وسختى فتاد　　　سِرت زازمايش نكَشت اوستاد
كـشـيـدى سـپـه بمازندران　　　نكر تاچه سختى رسيداندران
دكِر باره مـهـمـان دشـمن شـدى　　　صنم بودى اورا برهمن شـدى.
بكيـتـى جـز از پاك يزدان نماند　　　كـه منشـور تيغ ترابر نخـواند
بجنك زمين سـربر تاخـتـى　　　كنون باسـمـان نيـز پرداخـتـى

وبإعادة «كيكاوس» إلى إيران تنتهى هـذه المغامرة ، وجوهر هـذه القصة - كما أوردها الفردوسى - يتفق مع ما جاء فى المصادر البهلوية لكن يبقى الاختلاف فى التفاصيل. فقد جاء فى الدينكرت أن كيكاوس جهز للهجوم على السماء ، ومضى مع جيش من الشياطين والسيئين إلى قمة جبل البرز ، ووصل إلى آخر حد بين الظلمة والنور ، وهناك انفصل فجأة عن مرافقيه ، لكنه ظل على عناده ولجاجته ، فسلبه «اورمزد» البهاء الملكى ، «فركيانى» وأسقط جيشه من قمة الجبل المرتفع إلى الأرض ، وفر «كيكاوس» نفسه إلى بحر«ورو كش» وفى تلك الأثناء اقترب منه مَلَكٌ كيخسرو الذى لم يكن قد جاء للدنيا بعد وسار فى إثره ، كما أسرع إليه رسول «اهورمزدا» نيريو سنك ، وعمل على أن يبعد عنه هذا الملك، ولكن فجأة صاح هذا الملك قائلاً : لا تقتله يا «نيروسنك» فإنك إن قتلته لن يولد الشخص الذى يخرب توران. فمن هذا الرجل«كيكاوس» سيأتى شخص اسمه«سياوش» وسآتى أنا لسياوش، أنا «كيخسرو» أشجع وأقوى من كل أهل توران، وسأجعل ملك توران يفرمنى إلى بلاد بعيدة. وعندما سمع «نيروسنك» هذا الكلام من «كيخسرو» استراح ورفع يده عن «كاوس» وتركه لحاله وعلى إثر هذه الحادثة أصبح «كيكاوس» قابلاً للفناء(١).

وقد جاء فى البندهش أن «كى اوس» سيىء الطبع مضى لحرب السماء، وانقلب على الأرض ، فانفصل عنه البهاء الملكى»(٢).

ومما جاء فى هذين المصدرين وعند الفردوسى يتضح اتفاق الجميع فى الخطوط العامة من صعود للسماء وانقلاب للأرض ثم فى عدم إفنائه حتى يولد له سياوش ثم يولد كيخسرو لسياوش وكل هذا ذكره الفردوسى، لكن الفردوسى تفرّد عن هذه المصادر بذكر تفاصيل الرحلة، وكيف أتوا بالعقبان وربوها، وربطوا التخت فى أرجلها إلى آخر هذه التفاصيل التى لم تذكر فى المصادر البهلوية، ولا فى المصادر الإسلامية بخصوص «كيكاوس» لكنها ذكرت عند الطبرى فى

(١) نقلاعن حماسة سرائى: ص٤٦٩

(٢) نفس المرجع: ص٤٧٠

قصة (نمرود الجبار)، فيذكر أن نمرود حلف أن يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة أفرخ نسور ورباهن باللحم والخمر حتى كبرن وغلظن، فقرنهن بتابوت، وقعد فى ذلك التابوت فأخذ معه رجلاً ومعه لحم لهن، فطرن به حتى إذا ذهبن، أشرف ينظر إلى الأرض، فرأى الجبال تدب كالنمل، ثم رفع طويلاً فوقع فى ظلمه فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع وألقى اللحم فاتبعته النسور منقضات فلما نظرت الجبال إليهن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفعلن..... وكان طيرا نهن من بيت المقدس ووقوعهن فى جبل الدخان[1]. وهكذا يتضح أن الشاهنامة فيما يخص تفصيل هذه الرحلة وكيفيتها متأثرة بمصادر سامية.

ولعل هذا يوضح لنا كثرة التفاصيل التى أُضيفت إلى هذه الشخصية فى المصادر البهلوية عن أشياء لم تذكر له فى الأفستا من قبل ومنها القصة السابقة.

قصة سياوش:

من القصص الطويلة التى جاءت فى الشاهنامة قصة «سياوش بن كيكاوس» وأخباره وعلاقته بوالده «كيكاوس» وبزوجه أبيه «سودابه» وقد اهتم الفردوسى جداً بتفصيل هذه القصة وتقع عنده فى نحو ألف وخمسمائه بيت. وقد ذكرت هذه القصة عند الطبرى والثعالبى وأشار إليها المسعودى أيضا. ولهذه القصة أصل أيضا فى المصادر البهلوية ، وإن كانت لم تحظ بذلك التطويل والتفصيل الذى حظيت به فى الشاهنامة وفى المصادر الإسلامية أيضا.

وخلاصة قصة سياوش كما جاءت عند الفردسى أنه ذات يوم كان

(١) تاريخ الطبرى: حـ١ ص٢٨٩

طوس وجودرز وجـيو فى متصيد بالقـرب من توران، وعثروا على فتاة من أقرباء كـرسيوز(أخى أفـراسياب) فنشب نزاع حـول الفتاة ثـم قرروا الاحتكام إلـى «أفراسياب» لدرء للنزاع بينهم. أما أفراسياب فإنه عندما رآها أعجب بها وقال لهما[١]:

ـ قصرا على نفسيكما الطريق ، هكذا قال الملك للقائدين.-

ـ فإن هذا الغزال، لا يليق به إلا أن يكون صيداً للملك .

ودخـل بـها الملك فلم يمض وقـت طويل حتى ولدت «سياوش» وكـان جـميلاً كـأنه القـمـر، إلا أن والـده عندمـا نظـر فى طالعه وجـد أمـوره مضطربه، فحـزن لذلك، ومضت مـدة على هذا إلى أن قـدم «رستم» على الملك وقال له[٢].

ـ يجب أن يُعهد إلىّ بتربية هذا الصغير شبيه الأسد.

ـ مع أن أتباعك كثيرون، لكن لن يكون من هو أكثر إشفاقا عليه منى.

ـ وقد تفكر الملك كثيراً فى هذا الكلام، ولم يجد فيه غضاضة .

ـ فسلم لرستم الأمير، ليضعه فى قلبه وعينه.

---

(١) شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٥٢٦ ، الأبيات بالفارسية:

بهر دو سپهبد جنين كفت شاه   كه كوتاه شد برشما رنج راه.
كوزنست اكر أهوى دلبـرست   شكارى چنين درخور مهترست

(٢) شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٥٢٨ ، الأبيات بالفارسية:

چنين كفت كين كودك شيرفش   مـــرا پرورانيــــد بايد بكش
چو دارند كان ترا مايه نيست   مراورا بكيتى چو من دايه نيست
بس مهتر انديشه كرد اندران   نيـــامـــد همي بردلش بركران
برستم سـپردش دل وديده را   جـهـــانجـوى پور پسنديده را

أما رستم فإنه عندما تسلم الأمير فقد[1]:

ـ حمله البطل إلى زابلستان، وأعد له مجلساً فى البستان.

ـ وعلمه الفروسية والرماية والصيد، والقنص والطرد والكرو الفر.

ـ كما علمه آداب المجالس والمحافل، وفنون الصيد بالبازو الشاهين والفهد.

ـ كما وعاه بالعدل والظلم والمُلْك، والتكلم فى المحافل وقيادة الجيوش.

ـ وقد اجتهد كثيراً، حتى علمه الفنون.

ـ وصار سياوش، بلا نظير فى الكمال بين العظماء.

ـ وعندما كبر سياوش، وطال قده وصار يصيد الأسود بقوسه.

ـ قال لرستم إننى، محتاج لرؤية مليكى.

ـ إنك تعبت كثيراً حتى علمتنى الأداب الملكية.

ـ والآن يجب أن يرى والدى، تلك الأداب والفنون التى تعلمتها.

فوافقه رستم على ذلك وجهز له ما يليق به من هدايا، وسار معه وفى الطريق كانت المدن التى يمر بها تنثر عليه نثارات الذهب المخلوط بالعنبر، وأرسل كيكاوس جيو وطوس على رأس جيش لاستقباله بالبوق والطبول، وعند ما جاء إلى مجلس الملك أُعجب كثيراً به وبذلك البهاء البادى عليه،

(١) شاهنامة فردوسى: حـ٣ ص٥٢٦ ، الأبيات بالفارسية.

= تهمتن بپردش بزا بلستان   نشتستنكهى مباخت در كَلستان
سوارى وتير وكمان وكمند   عنان وركيب چه وچون وچند
نشستنكه ومجلس وميكسار   همان باز وشاهين ويوز وشكار
زداد وزبيداد وتخت وكلاه   سخن كفتن ورزم وراندن سپاه
هنرها بياموختش سربسر   بس رنج برداشت كامد ببر
سياوش چنان شد كه اندرجهان   بمانند او كس نبود ازمهان
چو يكچند بكذ شت اوشد بلند   بنخچير شير آوريدى ببند
چنين كفت بارستم سرفراز   كه أمد بديدار شاهم نياز
بس رنح بردى ودل سوختى   هنرهاى شاهانم آموختى
پدر بايد اكنون كه بيند زمن   هنرها وآموزش پيلتن

يقول الفردوسى أيضا إن كيكاوس[1]:

ـ أمر بإقامة احتفال له، لم يجر لأحد من العظماء من قبله.

ـ وأنهم ظلوا فى هذا الاحتفال أسبوعاً كاملاً، وفى اليوم الثامن فُتحَت أبواب الكنوز.

ـ فأمر الملك بإعطائه من كل شيء فى الكنوز، من خواتم وسيوف وعرش وتاج.

ـ ومن الخيول العربية بسر وجها الخشبية ومن الدروع وثياب الحرب.

ـ ومن الدنانير وبدر الدراهم، والحرير والجوهر ما قل وما كثر.

ـ إلا التاج لأنه فى هذه السن الصغيرة لم يكن مستحقا لها.

ـ فأخذ يجربه سبع سنوات، فلم يرمنه إلا كَرم المحتد فى كل أمر.

ـ وفى السنة الثامنة أمر بتتويجه بالتاج الذهبى والطوق والكمر الذهبى.

ـ وكتبوا له منشوراً على الحرير، وفقا لرسم العظماء والبهاء الملكى.

ـ بتقليده ولاية كهستان، فقد كان مستحقا للعظمة والجاه.

وبعد هذا تبدأ قصة عشق «سود ابه» زوجة «كيكاوس» لسياوش،

---

(١) شاهنامة فردوسى: حـ٣ ص٥٣٠ ـ ٥٣١ ، الأبيات بالفارسية:

یکی سور فرمود کاندرِ جهان — کی پیش ازان خِود نکرد ازمِهان
یکی هفته بِودند ازان کونه شاد — بهشتم درکنجها برکشاد
زهر چیز کنجی بفرمود شاهِ — زمهِر وزتیغ وزتخت وکلاهِ
زاسپان تازی بزین خدنك — زبرکستوانها وخفتان جنك
زدینار وار بدِرهای درم — زدیبا وازکَوهران پیش وکم
جز فسر که هنکام افسرنبود — بدان کودکی تاج درخور نبود
چنین هفت سالش همی آزمود — بهرکار جزپاك زاده نبود
بهشتم بفرمود تاتاج زر — همان طوقِ زرین وزرین کمِر
نبشتند منشور بر پرنیان — برسم بزرکان وفرِّ کیانِ
زمین کهستان ورا دادشاه — که بود او سزای بزرکی وکاه

ويحكيها الفردوسى على النحو التالى[١]:

ـ ذات يوم كان كيكاوس جالساً مع ولده، فدخلت سود ابه من الباب.

ـ وعندما رأت وجه سياوش، انشغل بالها ودق قلبها.

ـ فأرسلت له شخصاً، وطلبت منه أن يخبر سياوش فى السر.

ـ أن يحضر إلى حرم ملك العالم، ولا يتعجب من المفاجأة.

ـ فقال له (سياوش) لست رجل حريم، ولا باحثا عن مكرو حيل.

ـ وفى اليوم التالى جاءت سودابه متبخترة عند ملك إيران وهى تغلى عشقا.

ـ وقالت له ليتك ترسله (سياوش) عند اخواته وقريباته.

ـ قل له اذهب إلى الحرم، لتنير الدنيا لأخواتك.

ولما جاء سياوش أمره الملك بالدخول على سودابه وأخواته وبعد تحاور مع الملك وافق سياوش على الذهاب للحرم وقال للملك[٢]:

ـ سوف آتى وقت السحر غداً، وأفعل كل ما يأمر به الملك.

وعندما دخل سياوش على سودابه احتفلت به ونزلت عن عرشها [٣]:

ـ وأخذت تقبل عينيه ووجهه، وكأنها لا تشبع من رؤيته.

ـ فعلم سياوش أن هذا الحب ليس مثل حب الأمهات.

---

(١) شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٥٣٢ ، الأبيات بالفارسية:

يكى روز كاؤس كى باپسر — نشسته كِه سودابه آمد ز در
چو سودابه روى سياوش بديد — پراندیشه كشت ودلش بردميد
كسى رافرستاد نزديك اوى — كه بنهان ِسياوخش رارو بكوى
كه اندِر شبستان شاه جهان — نباشد شكفت ارشوى ناكهان
بدو كفت مرد شبستان نيم — مجويم كه بابند ودستان نيم
دكرروز شبكيرا سودابه رفت — برشاه ايران خراميد تفت
فرستش بسوى شبستان خويش — بر خواهران وفغستان خويش
بكويش كه اندر شبستان پرود — بر خواهران هرزمانِ نو نبود

(٢) شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٥٣٤ ، الأبيات بالفارسية:

سياوش چنين كَفت كز بامداد — بيايم كنم هرچه شه كرد بياد

(٣) نفس المرجع: حـ٣ص٥٣٥ ، الأبيات بالفارسية:

همى چشم ورويش ببوسيد دلير — نيامد زديدار آن شاه سير
سياوش بدانست كان مهر چيست — چنان دوستى نزره ايزديست

ثم اقترحت على الملك أن يزوجه إحدى بناته، فوافق ذلك رأى الملك، وطلب من سياوش أن يختار واحدة من بنات عميه كى ِ پشين أو كى ارش، فطلب منه «سياوش» أن يختار له، ولا يرسله للحرم مرة ثانية. إلا أن «كيكاوس» طيب خاطره. أما سودابه فقد واصلت محاولات إغوائه ولما يئست منه قامت[١]:

- فشقت الثياب عن جسدها، وخمشت وجهها بأظافرها.

- وتعالت الصرخات من الحرم، ووصلت إلى الإيوان.

- فوصلت إلى أذن الملك، فنزل عن تخته الذهبى.

- وأسرع وهو مشغول الفكر، وأسرع إلى الحرم وهو يغلى.

- وعندما جاء ورأت سودابه وجهه، أخذت تصيح وامتلأ القصر بالكلام.

- وأخذ الجميع يتساءلون وضاقت قلوبهم، وهم لا يعلمون بفعل ذات القلب الحجرى.

وقالت للملك إن «سياوش» لم يُرد غيرى ولما رفضت[٢]:

- ألقى التاج عن رأسى المسكية، وشق ثيابى هكذا.

- فأخذ الملك يتفكر فى هذا الكلام ويديره على كل وجه.

ثم أرسل لسياوش، فروى له ما كان، وكانت سودابه تكذبه وأدعت أنها حامل، وأن حملها قد يسقط مما جرى لها ، فشم الملك يدى سياوش فلم يجد فيهما رائحة الطيب الذى كانت سودابه متطيبة به، فعلم كذبها، وأراد

---

(١) شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٥٤٢ ، الأبيات بالفارسية:

بزد دست وجامه بدرّيد باك   بناخن دورخ راهمى كرد چاك
برآمد خروش ازشبستان اوى   فغانش زايوان برامد بكوى
بكوش سپهبد رسيد اكهى   فرود آمد ازتخت شاهنشهى
پراندیشه ازتخت زرين برفت   بوى شبستان خراميد تفت
بيامد چو سوادبه راديد ِروى   خراشيده وكاخ پر كفتِكوى
زهر كس ببرسيد وشد تنك دل   ندانست كردار آن سنك دل

(٢) شاهنامة فردوسى: حـ٣ ص٥٤٣ ، الأبيات بالفارسية:

بينداخت افسر زمشكين سرم   چنين چاك شد جِامه اندر برم
پر انديشه شدزان سخن شهريار   سخن كرد هر كونهء خواستار

إهلاكها لكنه لم يقدر بسبب تفكره فى أبيها ، وفى أيام أسره ، وفى حبها المتمكن من قلبه، وفى أولادها الصغار. فقال لسياوش[١] :

ـ لا تفكر فى هذا الأمر، واهتم بتدبير أمرك.

ـ ولا تتحدث مع أحد عنه أيضا، فينبغى ألا يذاع هذا الأمر.

وقد ظلت سودابه تكيد له عند والده إلى أن طلب من والده أن يند به لمحاربة أفراسياب الذى كان قد أغار على البلاد.

ومن هنا تبدأ أحداث أهم جزء فى القصة، وهو رحيل «سياوش» إلى بلاد الترك بعد أن ضاق بأفعال أبيه وزوجته «سودابه» وقد فرح أفراسياب بمقدمه فى البداية وتزوج من فرنكيس ابنه أفراسياب، وأقطعة أفراسياب مملكة قريبة من بلاد الختن وهى مملكة وزيره پيران ـ مضى إليها مع زوجته فرنكيس، واشتغل بتعميرها وإعدادها فبنى فيها القصور، وابتنى قلعة «كنك دز» ثم بنى مدينة سماها «سياوش كَرد» لكن أخا الملك أفراسياب المسمى «كَرسيوز» حسده وأخذ يكيد له عند الملك ، ويحرضه على قتله ، وآنتهى الأمر بأن قبضوا على سياوش ثم [٢] :

ـ اضجعوه مثل الخراف على طشت من الذهب.

ـ وفصلوا رأسه الذهبية عن جسده السروى، وسال دمه فى الطشت.

ـ وحيثما أمروا بسكب الدم من الطشت طارت كرات ذهبية وتلونت

ـ ونبت من هذا الدم نبات ، يسمونه باسم «دم سياوش» .

---

(١) نفس المرجع : حـ٣ص٥٤٥ ، الأبيات بالفارسية .

بدو كفت كين خود ميندیش هج ... هشيواى وراى رفتن بسيج
مكن ياد ازين نيز وباكس مكوى ... نبايد كه كيرد سخن رنك وبوى

(٢) شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٦٦٤ ، الأبيات بالفارسية :

يكى طشت بنهاد زرين كروى ... پيچيد چون كوسفندانش روى
جدا كرد ازسرو سيمين سرش ... همى رفت درطشت خون نكون
كجا آنكه فرموده بدطشت خون ... كروى زره برد دكردش نكون
كيانرا وهم من كنونت نشان ... كه خوانى همى خون سياوشان=

وكانت امرأته ابنة أفراسياب حاملاً فى خمسة أشهر، وقد قال لها قبل أن يقتل[١] :

ـ إنك ستلدين ملكاً مشهوراً فسميه كيخسرو وتسلى به عنى.

وعندما وصلت هذه الأخبار السيئة إلى إيران[٢] :

ـ تزلزل كيكاوس عن عرشه، عندما سمع هذا النبأ.

ـ مزق ثيابه وخمش وجهه، وافترش التراب بدلا من العرش العالى.

ـ وقدم الإيرانيون باكين، وانثالت على هذا المأتم الأساورة.

ـ جاء الجميع وقدارتدوا السواد، واهالوا التراب على رؤوسهم.

وعندما علم «رستم» بما جرى على سياوش فإنه[٣] :

ـ جلس فى مأتم أسبوعاً، وفى اليوم الثامن نفخ فى البوق.

ـ فانثالت عليه الجيوش من كل مكان، جاءوا فى جماعات من كشمير ومن كابل.

ـ واتجه نحو بلاط كيكاوس، عيناه تفيضان بالدم، وقلبه يغلى بالثأر.

---

(١) المرجع السابق: حـ٣ص٦٥١ الأبيات بالفارسية:

درخـــت كَزيـــن تـــوبـــار اورد   يكى نامـــور شـــهـــريار آورد
سـرافـراز كـيـخـسـروش نام كن   بفـم خـــوردن اورا دلآرام كن

(٢) شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٦٨١ ، الأبيات بالفارسية:

جو اين كَفته بشنيد كاؤس شاه   سـر تاجـدارش نكون شـد زكَاه
همـه چامـه بدريد رخ رابكند   بخـــاك اندر آمـــد زتخت بلند
برفـــتند بامـــويه ايرانيـــان   بران سـوك بسـتـه سواران ميـان
همـه جامـه كـرده كـبـود سـياه   همـه خـاك برسـر بجـاى كـلاه

(٣) شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٦٨٢ ، ٦٨٣ الأبيات بالفارسية:

يكى هفـتـه باسوك كشـتـه دزم   بهـشـتم برآمـد زشـيـپـور دم
سـپـِـه سـر بسـر بردر پيلتن   زكـشـمـيـر وكـابل شـدند انجـمن
بدركَاه كـــاؤس بنهـــاد روى   دوديده پراز خون ودل كينه جوى=

ـ عندما اقترب من إيران، مزق الثياب على بدنه.

ـ ولما وصل إلى عرش كيكاوس معفر الرأس حافي القدم.

ـ قال له إنك حصدت ما بذره سوء طبعك أيها الملك.

ـ إن عشقك لسود ابه وسوء خلقك، قد أز الا هذا التاج عن رأسك.

ـ من سوء فكر الملك وعصبيته، أصابت إيران خسارة فادحة.

ـ والموت خير من طاعة النساء، لمن هو أعظم الجماعة.

أما «كيكاوس» فلم يحر جواباً، فمضى رستم إلى قصر سودابه[1]:

ـ وجرها من شعرها خارج القصر، فأوقعها من عرشها الكبير إلى الدماء.

ـ وفي الطريق قسمها نصفين، لم يتحرك الملك كيكاوس عن عرش.

ـ ودخل البلاط في مأتم ونواح، عيناه مليئتان بالدم ووجهه شاحب.

– واجتمع إليه كل أهل إيران، وجلسوا جميعاً في مأتم ونواح.

ثم جمع رستم كل أبطال إيران من مثل: چودرز وطوس وشيدوس

=چو نزديكى شهر ايران رسيد — همه جامه پهلوى بر در يد
جو امد برتخت كاوس كى — سرش بود پر خاك وبرخاك پى
آبدو كفت خوى بد اى شهريار — پراكندى وتخمت آمد ببار
تراعشق سودابه وبد خويى — زسر بركرفت أن كلاه كى
انديشه وخوى شاه سترك — در آمد بايران زيانى بزرك
كسى كوبود مهتر انجمن — كفن بهتر اورا زفرمان زن

(١) شاهنامة فردوسي: حـ٣ص٦٨٤ ، الأبيات بالفارسية:

زپرده بكيسوش بيرون كشيد — زتخت بزركيش درخون كشيد
بخنجر دو نيمه كردش براه — نجنبيد برتخت كاوس شاه
بيامد بدركاه باسوك ودرد — براز فون دوديده ورخساررزرد
همه شهر ايران بماتم شدند — پرار درد نزديك رستم شدند

وفرهاد وجرجين وجيو[1] :

ـ وقال لهم رستم: إننى أضع قلبى وروحى وبدنى فداء هذا الثأر.

ـ فلم يوجد من الأبطال من عقد الكمر على وسطه مثل سياوش.

ـ فلا تستصغروا هذا الأمر ، فهذا الثأر ليس هينا.

وهكذا شن أبطال إيران حرباً على توران أخذاً بثأر «سياوش» وفى هذه الحرب قتلوا جماعة من أبطال توران فقتلوا «ورازاد» ملك «سپيجان» وهو من أعيان ملوك الترك. وأسروا «سرخه» ابن «افراسياب» ثم اضطجعوه على الطست وذبحوه كما حدث مع «سياوش» ثم قتلوا بيلسم أخا «پيران» كبير وزراء أفراسياب، وفى النهاية فرّ أفراسياب وأخلى عرش توران، فجلس عليه رستم سبع سنين، قام بعدها بتخريب ممالك توران قبل أن يعود إلى إيران.

هذه هى أهم الأحداث التى ذكرت فى الشاهنامة عن «سياوش» منذ مولده إلى وفاته، فإذا قارنا ما جاء فى الشاهنامة بما جاء فى الأوستا والمصادر البهلوية، نجد أن اسم «سياوش» بمعنى «سياه» أى «أسود» ،«ارشن» بمعني ذكر وحيوان ذكر ومعناه بناء: على هذا يصبح «مالك الحصان الفحل الأسود» ويكتب اسمه فى البهلوية وفى الفارسية أيضا على هذا النحو «سياوخش» وقد جاء عنه فى الأفستا إشارات متفرقة مفادها أن « كى سياوش» الشجاع الجميل هو والد « كيخسرو » وقد قتل غدراً على يد أفراسياب التورانى، وقد أخذ كيخسرو بثأره.

وكانت هذه الإشارات المختصرة سبباً فى نشأة روايات مختلفة عنه فى العهد الساسانى وفى بداية العهد الإسلامى أصبحت قصصاً جميلة و جذابة، وأصبح لها فى كتب الحماسة القومية الإيرانية ـ كما يذكر د.ذبيح الله صفا ـ مكانه مهمة[2]. وتذكر المصادر البهلوية أن سياوش هو ابن كيكاوس وابو « كيخسرو» مع أن الأفستا لم تذكر شيئاً عن نسبة سياوش لكيكاوس. وفيها

(١) شاهنامة فردوسي: حـ٣ص٦٨٥ ، الأبيات بالفارسية:

بديشان چنين كفت رستم كه من ... بدين كين نهادم دل وجان وتن
كه اندر جهان چون سياوش سوار ... نبندد كمر نيز يك نامدار
چنين كار يكسر مداريد خرد ... كه اين كينه راخرد نتوان شمرد

(٢) حماسة سرائى ص٤٧٥.

أيضاً أن «سياوش» هو بانى قلعة«كنك»[1]وهذا أيضا قد ذكر عند الفردوسى يقول[2]:

ـ لا يوجد مكان مثل قلعة كنك فى العالم، ولا توجد أرض فى جمال أرضها.

ـ وقد جهزها سياوش، وتعب فيها كثيراً.

أما البندهشن فيذكر« أن أفراسياب» شن حرباً جديدة، وأن سياوش دخل معه فى صراع، ولكن نتيجة لخيانة سوتابيه ـ (سوتابك) زوجه «كى اوس» لم يعد سياوش لإيران مرة أخرى، فأعطاه أفراسياب الأمان وقبله عنده، فلجأ إلى تركستان، وتزوج ابنه«افراسياب» وقد ولدت له كيخسرو، وقتل سياوش فى تركستان[3].

يلاحظ من هذا أن هناك بعض أوجه الشبه بين ما جاء فى البندهش عن قصة«سياوش» وما جاء عند الفردوسى، ويلاحظ أيضاً أن قصة«سياوش» فى الشاهنامة مأخوذة من قصة مدونة ومرتبة مثل تلك المدونة فى شاهنامة«أبى منصورى» كما يذكر د.ذبيح الله صفا [4] والقصة ـ كما أوردها الفردوسى ـ فيها شبه مما ذكره الطبرى الذى قال: إن زوجه كيكاوس هويت سياوخش ودعته إلى نفسها فا متنع فسعت به إلى أبيه حتى أفسدته عليه فسأل سياوخش رستم أن يخاطب أباه لينفذه إلى محاربة أفراسياب بسبب منعه بعض ما كان قد استقر بينهما وأراد البعد عن أبيه ليأمن كيد امرأته ففعل ذلك رستم، فسيّره أبوه وضم إليه جيشا كثيفاً، فسار إلى بلاد الترك للقاء أفراسياب، فلما سار إلى تلك الناحية جرى بينهما صلح فكتب إليه والده يأمره بمناهضة أفراسياب ومحاربته فكتب سياوخش إلى أبيه يعرفه ما جرى بينه وبين أفراسياب من الصلح ، فاستقبح سياوخش الغدر وأنف منه فلم ينفذ ما أمره به. ورأى

(١)حماسة سرائى: ص٤٧٦.

(٢)شاهنامة فرودوسى: حـ٣ص٦١٨ ، الإبيات بالفارسية:

كه جونِ كَنكَ دز در جهان جاى نيست	بر آنسان زمينى دلاراى نيست
كه آنر اسياوش براورده بود	بسَ اندر ورنجها برده بود

(٣)نقلا عن حماسة سرائى ص٤٧٩

(٤) حماسة سرائى ص٤٧٩

أن ذلـك مـن فعـل زوجـة والـده ليقبح فعله، فـراسل أفراسياب فـى الأمان لنفسه لينتقل إليـه، فأجـابـه أفـراسياب إلـى ذلـك وكان السفير فى ذلـك «قيران»ودخل سياوخش إلى بلاد الترك فاكرمه افراسياب، وأنزله وأجـرى عليه وزوجه ابنته ويقال لها وسفا فريد وهى أم كيخسرو، فظهر له من أدب سياوخش ومعرفته بالملك وشجاعته ما خاف على ملكه منه وزاد الفساد بينهما بسعى ابنى أفراسياب وأخيهّ (كنـدو) حسداً منهم لسياوخش، فأمـرهم افراسياب بقتله....... وحين بلغ خبر قتله إلى فـارس لبس شادوس بن جـودرز السواد حزنا، وهو أول مـن لبسه ..... ثم إن كيكاوس...... سير الجيوش من رستم الشديد وطوس فدخلا بلاد الترك فقتلا واسرا، واثخنا فيها وجـرى لهما مع افراسياب حروب شديده قتل فيـها ابنا افراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سياوخش(١).

والمتأمل فى القصة التى أوردهـا الطبرى وقصة «سياوش» كما جاءت عند الفـردوسى يتـأكـد أن المنبع الذى صدرت عنه القـصتان واحد تقـريبا، فالخطوط العامة للقصة واحـدة والأحـداث الرئيسية واحدة أيضاً مثل ضم رستم لسيـاوش لتربيته، وتعلق زوجة أبيه به ومخاطبته رستم للذهاب لمحـاربة التـرك، والصلح الـذى جـرى بينه وبين أفـراسياب، ورفض أبيه له، ولجـوئه إلى أفراسياب وتـزوج ابنته، وانجابها كيخسرو، ومقتله على يد أفـراسياب وأخـذ الإيرانيين بثأره مـن الأتـراك. كـل هـذه الأحداث مذكـورة عند الطـبرى وعند الفـردوسى. مثـل أن سيـاوش استقـبح الغـدر بأفـراسياب، فقال (٢):

ـ إن الملك لا يرضـيـه أن يصـدر منى هذا السـوء، وأن تتناولنى ألسنه الجماعة.

---

(١)راجع تاريخ الطبرى: حـ١ص٥١٥
(٢)شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٥٨١ ، الأبيات بالفارسية:

جـهـاندار/نپـسندد اين بد زمن كَشـايند برمن زبان انجـمن=

ـ وإذا تركت قيادة الجيوش لطوس ، وعدت إلى بلاط الملك.

ـ فسألقى منه السوء أيضا ، مالى أرى السوء عن يمينى ويسارى وأمامى.!

ـ فـلا يأتـى من سودابـه إلا الشر ، ولا أعلم ماذا سيأتى مـن الملك.

ومن التفاصيل التى ذكرت فى المصدرين سعى كرسيوز أخى أفراسياب بسياوش بعد أن حسده على مكانته عند«أفراسياب» ومنها أيضا أن الطبرى ذكر أن شادوس بن جودرز لبس السواد حزنا ، فقد جاء عند الفردوسى [1]:

ـ أن أبطال إيران من أمثال طوس وجودرز وچيو وشاپور وفرهاد وبهرام.

ـ جميعهم ارتدو السواد ، ونثروا التراب على رؤوسهم مكان التاج.

وهناك بعض التفاصيل التى اختلفا عليها أيضا مثل اسم ابنة«افراسياب» فالطبرى يذكر أن اسمها وسفا فريد ، بينما يذكر الفردوسى أنها«فرنكيس» وهناك أيضا عاقبة«سودابه» فالطبرى يصمت عنها بينما يحدثنا الفردوسى بأن رستم قد قتلها ـ كما رأينا من قبل ـ وكذا ذكر المسعودى أن رستم قتل سعدى، وقتل جماعة من وجوه الترك. ليأخذ بطائلة«سياوخش» منهم. وقد ذكر ملخص هذه القصة بنفس الأحداث السابقة[2]. ويلاحظ أيضا أن كلا من الطبرى والمسعودى يكتبان اسمه«سياوخش» وهذا أقرب لما جاء فى المصادر البهلوية كما رأينا.

وكَر باز كَردم بدركَاه شـــاه — بطوس سپهبد سپارم سپاه
ازو نيـزهم برسـوم بد رسـد — چب وراست بد بينم وپيش بد
نيـايد زسـودابه هم جـزبدى — ندانم چه خـواهد بدن ايزدى.

(١) شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٦٨١ ، الأبيات بالفارسية
چو طوس وچـو كَودرز وكَيـو دليـر — چو شـابور وفـرهاد وبهـرام شيـر
همـه جـامـه كبـود وسـياه — همـه خـاك برسرلا بجـاى كـلاه

(٢) مروج الذهب: حـ١ص٢٢٧.

والمتأمل في تفاصيل قصة «سياوش» مع زوجة أبيه «سودابه» كما جاءت عند الفردوسى يلاحظ أن بها شبهاً من قصة يوسف عليه السلام زوجة عزيز مصر، فإذا تركنا محاولات سودابه مراودة «سياوش» عن نفسه وامتناعه عن إجابتها (١):

ـ إذ قال فى نفسه ليبعد الله عنى أعمالِ الشيطان.

ـ لا لن أخون والدى، ولن أتعرف إلى الشيطان.

وإذا تجاوزنا أيضا عن رد فعل «سودابه» التى أدعت أن «سياوش» هو الذى راودها عن نفسها، وقالت للملك إن سياوش قال لى (٢).

ـ إن روحى وجسدى مشغولان بحبك، فلَم تبتعدين عنى أيتها الجميلة؟

ـ فلا أريد أحداً سواك، ولا ينبغى أن يذكر مثل هذا الكلام إلا لمثلك.

إذا تجاوزنا التشابه الموجود فى الأحداث السابقة مع ما جرى بين يوسف عليه السلام وزوجة العزيز ونظرنا إلى رد فعل «كيكاوس» فإننا نجد التشابه الحقيقى مع موقف عزيز مصر من يوسف عندما ما قالت له زوجه: كما جاء فى القرآن الكريم (٣): (فقالت له ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم) قال يوسف بلِ (هى راودتنى عن نفسى) (٤) قال شاهدها تبيان هذا فى القميص فإن كان قد من قبل فصدقت، وإن كانُ قدّ من دبر فكذبت (٥). هذا ما حدث مع يوسف عليه السلام أما ما حدث مع سياوش

(١) شاهنامة فردوسى: حـ٣ ص٥٤٠ ، الأبيات بالفارسية:

چنين كَنت بادل كه از كارتو ديو　　مرا دور داراد كيوان خديو
نه من باپدر بيوفابى كنم　　نه بااهرمن أشنابى كنم

(٢) شهانامة فردوسى: حـ٣ ص ٥١٣ ، الأبيات بالفارسية:

كه ازتست جان وتنم پر زمهر　　چه پرهيزى ازمن توای خوب چهر
كه جر توكسيرا نخواهم زبن　　چنينت همى راند پايد سخن

(٣) من الأية ٢٥ من سورة يوسف.
(٤) من الأية ٢٦ من سورة يوسف.
(٥) لمزيد من التفصيل راجع:
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : حـ١ ص٨٠ . الطبعة الأولى المطبعة المنيرية مصر سنة ١٢٣٨هـ.

فإن كيكاوس[١] :

ـ أخذ يتفكر فى كلام(سودابه) ويديره على كل وجه.

ـ وقال لنفسه لو كان ما تقوله صحيحاً، وكان هو باحثا عن القبح على هذا النحو.

ـ فيجب قطع رأس سياوش، لأنه فتح باب الشر.

وقال أيضا فى نفسه عندما سمع دفاع سياوش عن نفسه وهجوم سودابه عليه[٢].

ـ ليس هذا وقت العجلة، ولا يجب أن آخذ بكلام الاثنين.

ـ بل يجب أن أنظر فى هذا الأمر أولاً، ليهدينى قلبى إلى ما حدث بصدق.

وهذا التحول الذى طرأ على شخصية«كيكاوس» وجعله يتفكر فى الأمر، ويبحث عن دليل هو وجه الشبه بينه وبين ما جاء عن عزيز مصر. فقد اشتهر «كيكاوس»فى كل أعماله السابقة بالرعونه والتسرع فى الأمر و التعجل فى المعاقبة ، أما هذا الهدوء الذى طرأ عليه فغريب ـ فيما أرى ـ على شخصيته وهومتأثر بشخصية العزيز فى القصة السابقة. وإذا كان العزيز قد بحث عن قميص يوسف كما أرشده الشاهد ليعرف صدق مقولة يوسف عليه السلام من مقوله زوجته، فإن«كيكاوس» قد هداه تفكيره لأن يشم يد سياوش ليعرف إن كان هناك طيب قد علق بها مما تتطيب به سودابه[٣] :

ـ فوجد من سودابه رائحة الخمر والمسك الخالص، ومن سياوش رائحة الماورد.

---

(١) شاهنامة فردوسى: حـ٣ ص٥٤٣ ، الأبيات بالفارسية:

پرانديشه شد زان سخن ِ شهريار   سخن ِ كرد هركَونه خواستار
بدل كفت اراين راست كَويد همى   وزين كَونه زشتى بجويد همى
سياوش راسر ببايد بريد   بدينسان بود بند بدرا كليد

(٢) شاهنامة فردوسى: حـ٣ ص٥٤٤ ، الأبيات بالفارسية:

برين كار برنيست جاى شتاب   كِه تنكَى دل آرد خرد رابتاب
نكه كرد بايد بدين برتخست   كواهى دهد دل چو كردد درست

(٣) شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٥٤٤ ، الأبيات بالفارسية:

زسودابه بوى مى ومشكناب   همى يافت سپاوش بوى كَلاب=

ـ ولم يجد من سياوش مثل رائحتها، ولا أثر لمسه لها.

كما كان موقف كيكاوس من سودابه ومن سياوش، شبيها بموقف عزيز مصر من يوسف ومن راعيل .عندما علم بصدق يوسف وكذب زوجته، فقال لهما: (يوسف أعرض عن هذا)(١) وقال لزوجه (واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين(٢).

أما كيكاوس فقد فكر فى نفسه أنْ يقتل سودابه ولكنه رجع عن ذلك لأربعة أسباب هى (٣).

ـ ما سوف يهب من هاما وران من فتن وثورة وحرب.

ـ والثانية عندما كان فى الأسر، وليس معه قريب ولا رفيق.

ـ وخدمة سودابه له ليل نهار، وما عانته من ألم فى صمت.

ـ والثالثة أن حبها متمكن فى قلبه، وأنه يجب أن يغفر لها ما بدر منها.

ـ والرابعة أن له صغاراً منها، سوف يحزنون عليها.

هذا عن موقفه من سودابه، أما موقف كيكاوس من ابنه (سياوش) بعد أن تأكد من براءته فقد قال له قولاً شبيها بما قاله عزيز مصر ليوسف، إذ قال(٤):

ـ لا تفكر فى هذا الأمر، واهتم بتدبير أمرك.

ـ ولا تذكر هذا، ولا تتحدث فيه مع أحد، فيجب ألا يشيع هذا الكلام.

=ندید ازسیاوش چنان نیز بوی　　نشان بودن ندید اندروی

(١)من الآية ٢٩ من سورة يوسف.

(٢)من الآية ٢٩ من سورة يوسف.

(٣)شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٥٤٥ الأبيات بالفارسية:

زهاما وران زان پس اندیشه کرد　　که برخیزد اشوب وجنگ ونبرد
ودیکر بدانکه که دربند بود　　براو نه خویش ونه پیوند بود
پرستار سودابه بدروز وشب　　به پیچید ازان درد ونکشاد لب
سه دیکر که یك دل پراز مهرداشت　　بیایست ازو هر بد اندر کذاشت
چهارم کزو کودکان داشت خرد　　غم خرد اخرد نتوان شمرد

(٤)شاهنامة فردوسى: حـ٣ص٥٤٥ الأبيات بالفارسية:

بدو کفت کین خود میندیش هیچ　　هشیواری ورای رفتن بسیج
مکن یاد ازین نیز وباکس مکوی　　نباید که کیرد سخن رنك وبوی

هذه أوجه التشابه ـ فيما أرى ـ بين قصة سياوش وسودابه وقصة يوسف وزليخا. وإذا كان سياوش ـ كما يذكر ذبيح الله صفا ـ لم يرد عنه فى الأفستا إلا بعض الأخبار المتفرقة، والتى صارت فى العصر الساسانى وأوائل العصر الإسلامى قصة جذابة جميلة وهذا يرجع ـ فى رأيى ـ إلى تأثرها بقصص أخرى فى بعض جزئياتها مثل قصة يوسف وزليخا التى تحدثنا عنها والتى دخلت هى وغيرها إلى الأدب الفارسى وامتزجت بأساطير الفرس المختلفة نتيجة اختلاط الشعوب فى هذه المنطقة. فقد تأثر الفرس بالأساطير الهندية وبالديانة المزدية التى كانت أساساً للديانة الزردشتية كما يذكر كريستنسن وول ديورانت ثم تأثروا بالروايات الإسرائيلية المأخوذة عن التوراة نتيجة الاختلاط الذى حدث أيام بختنصر مرزبان العراق الذى خرب بلاد المقدس وأسر اليهود ونقلهم إلى بابل. وقد شاع التأثر بالإسرائيليات وبالقصص السامى فى أساطيرهم القديمة وزاد هذا بعد الإسلام فرأينا الخلط فى بعض المصادر بين جمشيد وسليمان بن داود عليه السلام، [1]. والخلط بين كيكاوس وبختنصر[2]، واختلاط أساطير كيكاوس مع نمرود الجبار أيضا ـ كما رأينا ـ فى قصة الصعود إلى السماء والخلط بين كيكاوس وبين سليمان بن داود فى رواية الطبرى التى ذكر فيها أن بعض علماء الأخبار يقولون إن الجن كانت مسخرة لكيكاوس بأمر سليمان بن داود[3]. وبهذا اختلطت فيه أيضا القصص السامية، ويفسر براون هذا بقوله إن الزراد شتيين«كانوا يستحسنون هذا اللون من المطابقات بعد انتصار الإسلام لأن فيه صلاح وضعهم أمام الفاتحين، كما أنه يوفر لهم نفس المزايا التى ينادى بها الإسلام باعتبارهم من أهل الكتاب».[4]

ولعل هذا التفسير يوضح لنا سبب ازدياد اختلاط الأساطير الفارسية بالإسرائيلية والسامية فى الكتب المؤلفة بعد الإسلام مثل شاهنامة المنصورى المؤلفة سنة ٣٤٦هـ. والذى يقول فى مقدمتها :«إنه ينقل عن بنى إسرائيل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج».[5] ويوضح هذا أيضاً سبب شيوع هذا التأثير السامى فى الأساطير الفارسية المذكورة فى الشاهنامة.

---

(١)تاريخ الطبري: حـ١ص١٧٦
(٢)البيروني : الآثار الباقية: ص١١١
(٣)تاريخ الطبرى: حـص٥٠٧
(٤)تاريخ الأدب في إيران : حـ١ ص١٩١.
(٥)مقدمة شاهنامة أبو منصورى نقلا عن هزار سال نثر پارس: ص٤٥

الباب الثانى

قمبيز فى مسرحية شوقى

الفصل الأول : مصادر شوقى

الفصل الثانى : قمبيز عند شوقى بين التاريخ والأسطورة

الفصل الأول

مصادر شوقى

تمهيد :

تعد المصادر اليونانية وعلى رأسها تاريخ « هيرودوت»[1] من أهم المصادر التى يُعتمد عليها فى تسجيل سيرة ملوك الفرس الهخامنشيين أو الإكمينين كما يسميهم اليونانيون (٥٥٩ ـ ٣٣٠ ق . م) ولعل السبب فى هذا يرجع إلى أن الفرس كما أشرنا من قبل قد اعتمدوا فى تسجيل تاريخهم على الأساطير المستمدة من مصادرهم الدينية ، وعلى الوقائع التى ترسبت فى عقول أجيالها عن مواطنها القديمة وصراعها مع جيرانها على الحدود ، وأضافوا إلى ذلك ما وعته ذاكرتهم عن بعض ملوكهم ، فصار ما يروونه عن ملوكهم القدامى من بيشداديين وكيانيين خرافياً من جميع الوجوه ـ فيما يرى بعض المستشرقين من أمثال : كريستنسن[2] وبراون [3] ، وسيربرسى سايكس [4] ، وهوفى رأى آخر خرافى كله فيما يخص سيرة البيشداديين ، ومزيج من التاريخ والأسطورة فيما يخص سيرة الكيانين [5] ، لهذا فإن من يرغب فى التأريخ لفترة ملوك الهخامنشيين وما قبلها لا يجد بدأ من الرجوع إلى المؤلفات اليونانية عامة والرجوع لتاريخ هيرودوت خاصة .

كما يعد « هيرودوت » أهم مرجع فى تاريخ مصر إبان الغزو الفارسى لمن يُريد أن يعالج هذا التاريخ معالجة درامية ـ كما يذكر د. أحمد بدوى ـ ولا نعنى بهذا أن تاريخ « هيرودوت » مبرأ من الأساطير والقصص ، فقد اختلط التاريخ فيه بالقصص والأساطير أيضا شأن معظم التواريخ القديمة ، حتى عدّه د. أحمد

---

(١) يُستنتج فى بعض الآراء أن هيرودوت وُلد حوالى عام ٤٨٤ ق. م فى مدينة هاليكارناسوس وهى مستعمره دورية فى اسيا الصغرى ، وقد أتم مؤلفه هذا حوالى سنه ٤٤٧ ق . م . وأنه زار مصر فى الفترة من ٤٦٠ ـ ٤٥٥ ق . م . (هيرودوت : ترجمة أمين سلامة ، ص ٦٠٥)

(٢) ايران فى عهد الساسانيين ، ص ٢٦ .

(٣) تاريخ الأدب فى إيران : حـ١ ، ص ١٨٩ .

(٤) سيربرس سايكسى : تاريخ ايران حـ ١ ص ١٧٤ (ترجمة محمد تقى فخر كيلانى) . نهران سنه ١٣٢٩ هـ . ش .

(٥) دراسات فى الشاهنامة : ص ٢٦٠ ؛ الشاهنامة العربية : حـ ١ ، ص ٧٣ .

بدوى : « ملحمة طريفة مختلفة الألوان ، جمّع عناصر نسجها من كل ما زعم أنه رأى وسمع ، ثم حشا بين طياتها ألوانا مختلفة من معارفه اليونانية ، ووشىّ إطار صورها بكثير مما سمع من الشعب عن حياة السلف من ملوك مصر وسكانها» [1] . وقد خصصنا هذا الفصل لذكر قصة « قمبيز » كما وردت عند هيرودت ، حتى تكون أساساً للمقارنة مع مسرحية أحمد شوقى « قمبيز » .

القصة كما جاءت عند هيرودوت :

يتحدث « هيرودوت » عن « قمبيز » وحملته على مصر فى كتابه الثالث، فيذكر ثلاث قصص عن سبب غزوه لمصر ، فيقول إن الرواية الفارسية عن سبب غزو قمبيز لمصر تذكر أن أحد الأطباء المصريين حنق على « أمازيس » (أحمس) فرعون مصر لأن الفرعون أرسل هذا الطبيب إلى الملك الفارسى « قورش » (ت ٥٢٩ ق . م) الذى طلب من « أمازيس » أن يرسل إليه أمهر طبيب عيون عنده، فاختار هذا الطبيب الذى حقد عليه لإبعاده عن زوجته وأطفاله ، فأوعز إلى «قمبيز» أن يتزوج ابنة « أمازيس » وكان يريد من وراء هذا أن يكدر « آمازيس » إذا ما وافق على هذه الزيجة ، أما إذا رفض فإن هذا الرفض يصبح مدعاة لعداوة «قمبيز» له . ويذكر « هيرودوت » أن «أمازيس» عندما جاءته رسالة « قمبيز » تحيّر ، إذ كان يرهب قوة الفرس وكان يعلم أن « قمبيز » يريد ابنته مجرد «محظية» له ، لا زوجة ، لذا استقر بعد تفكير طويل على أن يرسل « نتيتاس » ابنة سلفه الملك « ابرياس » فأخذها وزينها بالذهب والثياب الفاخرة ، وبعثها إلى « فارس » كما لو كانت ابنته فعلاً . ويكمل « هيرودوت » هذه القصة بقوله إنه : ذات يوم ناداها الملك باسم أبيها فقالت له : ألا تعرف يا مولاى أن أمازيس قد خدعك ، لقد ألبسنى الملابس الفاخرة ، وأرسلنى إليك على أننى ابنته ، وفى الحقيقة لست كذلك فأنا ابنة « ابرياس » سيده الذى قتله عندما قاد المصريين للثورة ضده . ويختم هيرودوت هذه الرواية بقوله : « إن هذه الكلمات كانت سبباً فى تلك الواقعة التى أدت إلى استيلاء « قمبيز » على مصر » وفقاً للرواية الفارسية » .

---

(١) د. محمد صقر حفاجه : هيرودوت يتحدث عن مصر مقدمة بقلم د. أحمد بدوى . ص ١ ،

وهناك قصة أخرى يقول عنها « هيرودوت » إنها الرواية المصرية . وتذكر أن « قمبيز » هذا هو ابن « نتيتاس» ابنة « ابرياس » لهذا يعدونه أحد مواطنيهم، إذ يقولون (المصريون) إن « قورش » هو الذى أرسل إلى « أمازيس » راغباً فى الزواج من ابنتـه ، وأن « نتـيتـاس » هذه أنجبت له ابنه « قـمـبـيـز » وينبـرى «هيرودوت» نفسه لتفنيد هذه الرواية قائلاً : إنها لا تثبت فى مواجهة الحقائق ، فالقانون الفارسى يمنع أبناء السرائر من الالتحاق بنسبهم لأبناء الحرائر ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن « قمبيز » هو ابن « كاساندان » ابنة « فرنسبس » أحد أفراد الأسرة الهخامنشية . ويعلق « هيرودوت » على هذه الرواية بأن المصريين أرادوا بها إيجاد صلة قرابة بينهم وبين قمبيز .

وهناك رواية ثالثة يذكرها « هيرودوت » ويقـول فيـهـا إن « كاسـاندان » زوجة « قورش» قد غارت من اهتمامه بالأميرة المصرية « نتيتاس » فقالت يوماً أمام ولديها (قمبيز وبرديا) على الرغم من ولدىّ الرائعين هذين ، فإن « قورش» هجرنى ووجه جُل اهتمامه لتلك المرأة التى جلبها من مصر ، فقال « قمبيز » وكان أكبر ولديها : « عندما أصبح رجلاً سوف أُحطم مصر من أجلك يا أمى » . ويعلق « هيرودوت » على هذه الرواية بقوله : « إنها لا تقنع أحداً » [1] .

هذه هى أهم القصص التى ساقها « هيرودوت » عن أسباب غزو «قمبيز» لمصر ، وبعد أن يسوقها يتحدث عن دور « فانيس » الجندى المرتزق الذى كان بجيش « أمازيس » ثم فر إلى فارس حيث وجد « قمبيز » يفكر فى الهجوم على مصر ، ولكنه كان متردداً لعدم معرفته كيف يجتاز الصحراء ، فأشار « فانيس » عليه أن يوفد سفيراً من قبله إلى ملك العرب ويطلب منه أن يسلك حياله مسلكاً ودياً وهو يعبر تلك المنطقة . ويبين « هيرودوت » كيف وفىّ الملك العربى بوعده وأمن طريق « قمبيز » ووفر فيه الماء . ثم يتحدث عن الموقعة التى حدثت بين «قمبيز » وبسماتيك بن أمازيس . لأن « قمبيز » عندما وصل إلى مصر كان

---

(1) Herodetus The Histaries : Book 3 Page 174 - 175 Translated by Aubrey. d'selmcourt penguin Books .

«أمازيس» قد مات بعد أن حكم مصر مدة أربع وأربعين سنة . ثم يذكر انتقام الجنود المرتزقة من فاينس عن طريق قتل أولاده . ويتحدث عن هزيمة المصريين في المعركة العنيفة التي دارت بين الجانبين ثم التجائهم إلى ممفيس حيث تحصنوا وراء الأسوار ، فأرسل إليهم « قمبيز » رسولاً على ظهر سفينة ميتيلينية ليدخل إلى ممفيس عن طريق النيل ، ويطلب منهم التسليم، فما كان من المصريين إلا أن انقضوا على السفينة وحطموها ومزقوا بحارتها ، ثم حوصرت ممفيس واستسلمت، واستسلم الليبيون على حدود مصر وكذلك الكورنيين والباركيين . ويذكر أن القضاة الملكيين « الفرس » أصدروا حكمهم بإعدام عشرة من أنبل المصريين في مقابل كل رجل متيليتي قُتل على تلك السفينة : لذا حكم على ابن «بسماتيك» ومعه ألفين من الشبان المصريين بالقتل [1].

أعمال قمبيز وشخصيته كما جاءت عند هيرودوت :

ينسب « هيرودوت » إلى قمبيز ارتكاب كثير من الأمور الفظيعة في حق المصريين وفي حق حاشيته وفي حق جنوده وبالنسبة للأغراب أيضا . فمن الفظائع التي ارتكبها في حق المصريين : إخراج جثة الملك « أمازيس » من قبره وأمره بإهانتها ثم حرقها ، ومن أعماله السيئة بالنسبة للمصريين أيضا قتله الموظفين المهيمنين على مدينة ممفيس ، وجرحه العجل أبيس ذلك الجرح الذى أدى إلى مقتله ، وإهانته لكهنته وأمره بجلدهم وبمنع الاحتفالات الدينية في مصر [2].

ومن فظائعه التي ارتكبها في حق جنوده أنه قرر القيام بثلاث حملات غير مدروسة وبغير استعداد كافٍ للقيام بها : **إحداها** : أنه أمر الأسطول بالإبحار لمهاجمة قرطاجنة وقد فشلت هذه الحملة قبل قيامها لأن الفينيقيين أبوا الذهاب وقالوا إنهم مرتبطون بمعاهدة صداقة مع قرطاجنة . **والثانية** : حملة على

(١) هيرودوت : أ ـ ج ايفانز (ترجمة أمين سلامة) ص ١١٣ ـ ١١٧ ـ بدون سنة طبع .
(٢) المرجع السابق : ص ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .

الأمـونيين ، وقـد بدأ الفـرس رحلتـهـم من طيـبـة ، ثم سـاروا من مـدينة الواحـة (الخارجة) إلى منتصف المسافة إلى بلاد الأمونيين فـهبت عليـهم ريح عاصفه فغطت الجيش كله ودفنتهم فـ الرمال .

أما الحملة الثال : فـ على الأثيـوبيين ، وكـان حظهـا فى مثل حظ سابقـتهـا تقـريباً ، فقـد أوفد « قمبيز » رسله إلى أثيـوبيا محملين بالهدايا ليكونوا جـواسيس له ويأتونه بالأخبـار ، وقـد فطن ملك أثيـوبيـا لغرضـهـم ، وأرسلهم برد شديد اللهجة لملكهم قمبيز فقال لهم ضمن ما قال : إن ملككم ليس عادلاً ـ وإلا لما طمع فى أرض ليست له ، ولما استعبد قوماً لم يمسوه بسوء قط ... يقول هيـرودوت إن « قـمـبـيـز » ما إن سـمـع تقـرير الجـواسـيس حتى أرغى وأزبد وهاج لدرجة الغـضـب ، وبدأ فى الحـال سيـره لمهـاجـمـة الأثيـوبيين دون أن يعد المئونة اللازمـة لإطعـام جيـشـه ، ودون أن يفكر فى أنه سيـشـن حـرباً فى أقـصى أجزاء الأرض ، وصـحـب جنوده الفـارسيين ليس غيـر ، ويقـول إنه قبل أن يقطع خمس المسافة نفد جميع ما كان مع الجيش من مئونة ، وعندها شرع الرجال يأكلون حيـوانات الحـمل التى كـانت معـهـم ، وبعـد أن نفـذت أكل الجنود الحشـائش والأعشاب ، ولما وصلوا إلى المنطقة الرملية ، كان كل عشرة يختارون رجلاً من بينهم بالقـرعة ويذبحونه ليكون طعـاماً للتسعة البـاقين ، وعندما علم « قمبيز » بهـذا أقشعـر بدنه وتنازل عن حـملته ، ورجع أدراجه بعد أن هلكت من جنوده أعداد كبيرة [1].

جنون قمبيز :

يتحدث « هيرودوت » عن قمبيز باعتباره شخصا مجنوناً تسيطر عليه نوبات من الجنون والغضب فيتصرف من خلالها ، يقول عن أسباب جنونه إنه يقال إن « قمبيز » أصيب منذ ولادته با « المرض المقدس » (وهو الصرع) . ويقـال إنه جُن بسبب ما فعله مع « أبيس » (معبود المصريين) . ويذكـر أن « قـمبيز »

---

(١) هيرودوت : (ترجمة أمين سلامة) : ص ١٢٠ ـ ١٢٣ .

كان مجنوناً حيال أقاربه ويدلل على ذلك بقتله شقيقه « سميرديس » (برديا) ، ومن أعماله المجنونة قتل أخته التى صحبته إلى مصر وعاشت معه كزوجته (روشنكَ) .

ومن أمثلة جنونه حيال الأغراب ما فعله مع بريكساسبيس الذى كان يقدره أكثر من سائر الفرس وحامل رسائله ، وكان ابنه متولياً منصب « حامل الكأس » وقد أخبر بريكساسبيس هذا قمبيز برأى الفرس فى إفراطه فى الشراب فثارت ثائرته وبعدها أمسك قوسه وأطلق منها سهماً أصاب ابن بريكساسبيس هذا فى قلبه فمات فى الحال . ومنها أنه أخذ أثنى عشر رجلاً من أعظم نبلاء الفرس ، ودفنهم حتى أعناقهم دون أن يقترفوا إثماً .

ومن أمثلة جنونه حيال الأغراب أيضاً ما فعله مع كرويسوس الليدى الذى نصحه بقوله : « لا تسمح لنفسك بالتمادى فى نزق الشباب وفى حمية طباعك..... فما كان من قمبيز إلا أن وبخه وحمل قوسه ليقتله إلاّ أنه فر من أمامه فأمر خدمه أن يقبضوا عليه ويقتلوه . وعندما علم فيما بعد أنهم قد أخفوه حتى تهدأ ثائرته سُر بهذا ، إلا أنه أعدمهم جميعاً لعدم تنفيذهم أوامره .

ومن أعماله المجنونة التى يذكرها « هيرودوت » أنه فتح الأضرحة وفحص جثث الموتى ، وأنه ذهب إلى معبد فولكان وأخذ يرميه بالسهام ، ودخل معبد « الكابيرين » المحرم دخوله على أى شخص سوى الكهنة .

ويستخلص « هيرودوت » من هذه الأشياء وغيرها **أنه من المؤكد** أن «قمبيز» قد أصابته لوثة من الجنون ، وإلا لما أقدم على انتهاك حرمة الطقوس المقدسة والتقاليد المتبعة منذ غابر الأزمنة (١) .

وفاة قمبيز :

عن وفاة قمبيز يقول « هيرودوت » إنه بينما كان قمبيز فى مصر أثناء فترة جنونة ، ثار ضده أخوان مجوسيان . كان أحدهما موكلاً بالإشراف على شئون

(١) هيرودوت : (ترجمة أمين سلامة) : ص ١٢٥ ـ ١٣٠ .

القصر فى فارس من قبل « قمبيز » وكان يعلم أن « قمبيز » قد قتل أخاه «سميرديس» وأن موته أُخفى عن الشعب الفارسى ، فأنتهز هذه الفرصة ... إذ كان له أخ يشبه تماماً « سميرديس » بن كوروش وكان يُدعى أيضا « سميرديس» فأخذه وأجلسه على عرش المملكة ، ثم أرسل رسلاً إلى جميع البلدان يعلنون الجيوش بأن عليهم منذ ذلك الوقت فصاعداً أن يُطيعوا أوامر سميرديس ابن كوروش وليس قمبيز وقام الرسل بمهمتهم ، كذلك فعل الرسول الذى أوفد إلى مصر . فلما وصل هذا الرسول إلى « أجباتانا » بسوريا وجد قمبيز مع جيشه هناك . فذهب من فوره إلى وسط الجيش وأعلن عليهم ما أمره به «باتيزينيس » المجوسى . فما أن سمع « قمبيز » هذا الإعلان حتى اعتقد بصحة ما قاله الرسول . وظن ان بريكساسبيس (حامل رسائله) قد خدعه ولم يقتل « سميرديس » فتوجه إليه مستنكراً : أهذه هى الطريقة التى تُنفذ بها أوامرى يابريكساسبيس ؟ فأجاب الأخر قائلاً : «مولاى لا صحة للأنباء القائلة بأن أخاك « سميرديس » قد ثار ضدك ... فقد نفذت أمرك فيه بيدى ، وبيدى دفنته ... وإنى لأنصح لك أن ترسل فى أعقاب هذا الرسول من يقبض عليه ثم نسأله ونشدد عليه فى السؤال لمعرفة من الذى كلفه بأن يأمرنا باطاعة الملك «سميرديس» » . فأرسل قمبيز من قبض على ذلك الرسول ، وسألوه هل مثل فى حضرة « سميرديس » ورآه بنفسه ، فقال الرسول إن الذى أصدر إليهم هذا الأمر هو الرجل المجوسى الذى تركه قمبيز مشرفاً على إدارة قصره. هنا أدرك « قمبيز » أن « بريكساسبيس » برىء وسأله : مَنْ من الفرس يمكن أن يكون قد انتحل اسم « سميرديس » فأجابه : إن اللذين ثارا ضدك هما المجوسيان ، باتيزينيس وأخوه المدعو « سميرديس » ، فما إن سمع « قمبيز » اسم « سميرديس » حتى أدرك صدق كلام بريكساسبيس ، وتحقيق الحلم الذى رآه فى منامه بأن « سميرديس » جلس على عرش المملكة وطاول برأسه السماء ، فعلم أنه قتل أخاه دون ذنب ، فحزن واستشاط غيظاً وهو يفكر فى حظه العاثر ، فقفز بسرعة على ظهر جواده معتزماً السير بجيشه بغاية السرعة إلى « السوس » (عاصمة ملكه) لمحاربة ذلك

المجوسى فسقط رباط غمد سيفه ودخلت سن السيف العارية فى فخذه وجرحته ، ثم تعفن العظم وسرت الغنغرينا فى الفخذ ومات « قمبيز » بن كوروش فى اكباتانا وقد ظل فى الحكم مدة سبع سنوات وخمسة شهور ، ولم يترك وراءه ذرية من البنين ولا من البنات [1].

هذه قصة قمبيز وأسباب غزوه لمصر ، وما حدث أثناء الغزو وأعماله وجنونه ومقتله كما جاءت عند « هيرودوت » المؤرخ اليونانى ، ويتضح منها أنه كمؤرخ يتقيد بالوقائع التى تثبت عنده بوسيلة من وسائل الرواية أو المشاهدة أو النقل عن غيره . لا فرق فى ذلك عنده بين الوقائع التافهة والخطيرة . وفى هذا يختلف العمل التاريخى عن العمل الدرامى . كما أنه يتقيد بالزمن بمعنى أنه يورد أخباره مرتبة ترتيباً زمنياً الأسبق فى الحدوث ثم الذى يليه ، ويتضح أيضا من خلال ما جاء عند « هيرودوت » أن التاريخ عنده لم يخلُ من الأسطورة والقصة والأحداث غير المألوفة شأنه شأن التواريخ القديمة عموماً . ونفصل هذا الإجمال فى موضعه من البحث إن شاء الله عندما نتحدث عن التاريخ والأسطورة عند شوقى .

---

(١) هيرودوت : (ترجمة أمين سلامة) : ص ١٣٤ ـ ١٣٦ .

الفصل الثانى

« قمبيز عند شوقى بين التاريخ والأسطورة »

أولاً : شوقى والأساطير التاريخية :

ظلت قصة « قمبيز» كما أوردها « هيرودوت » فى عداد الأحداث التاريخية فى مجملها لا يهتم بها إلا المؤرخون الذين يبحثون فى تاريخ كل من مصر وإيران فى تلك الفترة التاريخية ، فكانوا يوردون كثيراً مما ذكره «هيرودوت» ويعرضون عن بعضه الآخر لسلكه فى عداد الأساطير والقصص . ولم تدخل هذه القصة إلى عالم الأدب إلاّ على يد أمير شعراء العربية « أحمد شوقى » فشوقى كما يذكر محمود حامد شوكت[1] قد نظم هذه المسرحية دون أن يطلع على مثال سابق لها ويقلده كما حدث فى مسرحية « كليوباترا » أو فى « ليلى والمجنون» . وإنما كان له قصب السبق فى نقل هذه المسرحية من مجال التاريخ الواقعى والأسطورى إلى المسرح سنه ١٩٣٠ . والاتجاه إلى استيحاء التاريخ الواقعى والأسطورى اتجاه أصيل لدى المدرسة الكلاسيكية عامة والكلاسيكية الفرنسية خاصة ، وكان « شوقى » ـ كما يذكر معظم دراسيه[2] متأثراً بهذه المدرسة فى استيحاء الموضوعات التاريخية والأسطورية على السواء فى مسرحياته ، كما أنه لم يفضل أحدهما على الآخر ـ كما يذكر د. محمد مندور[3] ـ ولم يحرص أن يلتزم دائماً التاريخ الحقيقى ، فمسرحيتا « مجنون ليلى » و « عنترة » هما أقرب للأساطير الشعبية منهما إلى التاريخ . كما أن قصة « قمبيز » التى أقام عليها «شوقى» مسرحيته والتى هى موضوع هذا البحث قصة أسطورية فى بعض تفاصيلها ؛ تاريخية فى إطارها العام يختلط التاريخ فيها بالأسطورة أحياناً ، ويسيران متوازيان أحياناً .

---

(١) محمود حامد شوكت :المسرحية فى شعر شوقى ص ٩٧ القاهرة سنة ١٩٤٧م .

(٢) راجع : د. محمد مندور : مسرحيات شوقى : ص ١٩ ط القاهرة سنة ١٩٨٢م ؛ د. طه وادى : شعر شوقى الغنائى والمسرحى : ص ٧٨ ط . دار المعارف سنة ١٩٨٥؛ د. سعد عبد المقصود ظلام : المسرح الشعرى بين شوقى وأباظة : ص ٤٤ ـ ٤٥ جـ ١ القاهرة سنة ١٩٨٨م ؛ د. كمال محمد اسماعيل : الشعر المسرحى فى الأدب المصرى المعاصر : ص ١٧ ط القاهرة سنة ١٩٨١م .

(٣) د. محمد مندور : المسرح : ص ٧٣ جـ ١ القاهرة الطبعة الثالثة .

وقد بلغ من شغف « شوقى » بالأساطير أنه يفضل أحياناً الروايات الأسطورية على الروايات التاريخية عندما يعثر على الإثنين ، ويرى أن الرواية الأسطورية أكثر مواتاة لفنه ، وللهدف الذى يرمى إليه من مسرحيته . فبالنسبة لتفسير سبب غزو « قمبيز » لمصر وهو الهيكل الذى أعتمد عليه « شوقى » فى بناء مسرحيته ، وجد « شوقى » اتجاهين فى تفسير هذا الغزو : أحدهما اتجاه تاريخى عند عامة المؤرخين ، والآخر اتجاه أسطورى أو شبه اسطورى عند «هيرودوت» [(١)] .

أما الاتجاه التاريخى :

فيفسر غزو « قمبيز » لمصر بعدة أسباب سياسية واقتصادية ودولية ترجع إلى الصراع الذى كان محتدماً بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية اليونانية بسبب تسابقهما على توسيع مناطق نفوذهما وسيطرتهما العسكرية والاقتصادية .

فعلى الساحة الفارسية كانت هناك الدولة الفارسية الفتية التى أسسها قورش الكبير سنة ٥٥٠ ق . م تلك التى يسميها الفرس « الدولة الهخامنشية » ويسميها اليونانيون « الدولة الإكينية » والتى تعد أقدم دولة فارسية مسجلة فى التاريخ . وقد عمل « قورش » على بسط سلطانه خارج حدود ايران ، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى حروب عديدة بينه وبين جيرانه الذين كانوا يكونون ثلاث دول عظمى فى غربى إيران هى : دولة بابل فى حوض دجلة والفرات ، ودولة ليديا فى آسيا الصغرى ، ودولة مصر [(٢)] .

وقد شعرت هذه الدول بخطر قيام هذه الدولة الفتية فبدأت فى الاتفاق على الاتحاد فيما بينها لمواجهة هذاالخطر ، لكن « قورش » لم يمهلها فإنه سرعان ما توجه إلى « ليديا » واستولى عليها وعلى عاصمتها « سارد » سنه٥٤٦ ق . م [(٣)] ، ثم استولى على المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى ، وعلى كثير

(١) المسرح : د. محمد مندور ، ص ٧٤

(٢) د. عبد النعيم حسنين : الإيرانيون القدماء ص ١٨ ـ ١٩ ط القاهرة سنة ١٩٧٤ م .

(٣) پرسى سايكس : تاريخ إيران (مرجع سابق) حـ ١ ص ١٩٠ .

من الجزر اليونانية ، ثم تحول إلى الجهة الشرقية من البلاد يفتحها حتى وصل إلى بلاد السند ، ورجع إلى الغرب فعبر دجلة والفرات وحاصر بابل ، وحول مجرى نهر الفرات فلما جف دخل المدينة عن طريقه واستولى عليها سنه ٥٣٨ ق . م[١] . وكان هذا معناه السيطرة على جميع البلاد التى كانت خاضعة للبابليين ، وهى بلاد الشام وفينيقيا وفلسطين ، ووصل ملكه إلى البحر المتوسط ، واقترب من مصر ، لكنه عاد إلى المشرق مرة أخرى حيث قاتل قبائل الماساجيت[٢] ، وقيل إنه جُرح أثناء الحرب مما أدى إلى وفاته سنه ٥٢٩ق. م[٣] .

وقد ذهب معظم المؤرخين المعاصرين[٤] إلى أن « قورش » كان قد خطط بنفسه لغزو مصر والاستيلاء عليها ، ثم عهد إلى ولده « قمبيز أمر هذا التنفيذ، لذا رأينا « قمبيز » يتابع تنفيذ هذا الغزو بمجرد قضائه على الاضطرابات والمؤامرات الداخلية التى اندلعت بعد موت « قورش » وتوليه العرش ، وقد شجعه على ذلك أن مصر كانت ـ كما يذكر سليم حسن ـ خارجة من حروب داخلية طاحنة أنهكت قواها وأضعفت من قوتها الحربية . وقد حاول « قمبيز » إكمال الفتوحات التى بدأها أبوه ، فأعد جيشاً جراراً وتوجه لفتح مصر سنه ٥٢٥ ق[٥] .

هذا هو التفسير التاريخى أو الاتجاه التاريخى فى تفسير غزو « قمبيز » لمصر السائد لدى معظم المؤرخين والذى وجده « شوقى » لكنه أعرض عنه لعدم مواءمته لفنه . واتجه إلى الاتجاه الآخر وهو :

(١) حسن پيرنيا ، وعباس إقبال آشتيانى : دورة تاريخ إيران حـ ١ ص ٦٨ ـ ٦٩ ط تهران بدون سنة طبع .

(٢) قبائل الماساجيت كانت تسكن بين بحر الخزر والآرال [تاريخ ايران حسن پيرنيا جـ ١ ص ٧١] .

(٣) تاريخ إيران : حسن پيرنيا : حـ ١ ص ٧١ ؛ الايرانيون القدماء : ص ٢٠ .

(٤) راجع : سليم حسن : مصر القديمة حـ ١٣ ص . ط القاهرة ؛ تاريخ إيران (سايكس) : حـ ١ ص ٦٩ ؛ دورة تاريخ ايران (پيرنيا) حـ ١ ص ٧٤ ؛ د. محمد بيومى مهران : مصر والشرق الأدنى القديم : حـ ٣ ص ط الاسكندرية سنة ١٩٨٨م ؛ د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة حـ ٢ ص ٢٨٧ ط هيئة الآثار المصرية ؛ الريرانيون القدماء : ص ٢٠ .

(٥) مصر القديمة (مرجع سابق) : حـ ١٣ ص أ .

الاتجاه الأسطورى : أو شبه الأسطورى الذى وجده عند « هيرودوت » والذى بيناه فى المبحث الأول والذى أرجع فيه سبب الغزو إلى قصة خطبة قمبيز لابنة « آمازيس » فرعون مصر وخداع فرعون مصر له ، وإرساله الأميرة «نتيتباس» ابنة سلفه الملك « ابرياس » . .... إلى آخر تلك القصص الثلاث التى ذكرناها من قبل .

وإن كان « شوقى » قد وجد فى إحدى هذه القصص بغيته الفنية ، فهذا أمر لا ينكر عليه فهوكشاعر وكاتب مسرحى له الحرية فى اختيار ما يراه ملائماً لعمله الفنى وأفكاره وما يحمله رسالته ومعانيه ، فقد أراد باختيار هذه القصة تمجيد تلك الأميرة المصرية وهو أمر يتوافق مع غرضه من كتابة هذه المسرحية. وهناك قلة من المشتغلين بالتاريخ قد تأثروا بهذه الرواية (مثل شوقى) وفسروا على أساسها بعض مظاهر معاملة المصريين لقمبيز، وتعامله بدوره معهم ، ومنهم:

الكاتب الإيرانى « على شهبازى » صاحب كتاب « كورش بزرك » ويقول : طبقاً لما رواه هيرودوت فقد سعى « آمازيس » إلى خطب ود إيران وكسب صداقتها ، فبعث بأميرة مصرية حسناء هى الأميرة « نى تيتيس » وهى ابنة سلفه « ابرياس » إلى بلاط الملك الهخامنشى الكبير ، وأن ولده الأكبر «قمبيز» الذى تولى العرش من بعده هو ابنه من تلك الأميرة » (١) .

وعلى أساس هذه الأسطورة أيضا يذكر د. نور الدين آل على أن « قمبيز » لما فتح مصر شعر أنه جمع بين « فارس » موطن أبيه إلى « مصر » مسقط رأس أمه ، ومن ثم فقد احترم العجل المقدس « أبيس » معبود المصريين (٢)، كما يذكر بعض المؤرخين المعاصرين(٣) أن ملوك الفرس بقيادة قمبيز لما فتحوا مصر أعلنوا أنفسهم فراعنة لمصر وأسسوا أسرة هى « الأسرة السابعة والعشرون » ويبدأ تاريخ هذه الأسرة عام ٥٢٥ ق . م أى فى اللحظة التى توج فيها « قمبيز » ملك الفرس ملكاً على مصر . كما أن المصريين قد رفضوا أن يعدوا أنفسهم تحت

---

(١) نقلا عن كتاب جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر : جمع وتقديم د. نور الدين آل على : ص ى . القاهرة سنة ١٩٧٥م .

(٢) المرجع نفسه : ص ى .

(٣) تاريخ مصر القديمة (رمضان السيد) : حـ ص ٢٨٧ ؛ مصر القديمة (سليم حسن) : حـ ١٣ ص ١ .

سيطرة ملك أجنبى ، فأعلنوا « قمبيز » ملكاً من اختيارهم ، وتمسكوا بأن يتوجوه ملكاً للوجهين القبلى والبحرى بالاسم الحورى والنبتى أى المنتمى إلى المعبودين « تخبت وواجيت » وابناً لرع ـ وانعموا عليه بكل الألقاب المتوارثة والخاصة بالملوك المصريين ، وسموه أيضا اسماً مصرياً ـ مسوت رع .

ثانياً ملخص المسرحية (قمبيز)[1] :

قسم شوقى مسرحيته إلى ثلاثة فصول فى الفصل الأول منها تُعلن خطبة « قمبيز » لنفريت ابنة فرعون « أمازيس » لكن هذه الابنة المدللة تأبى المسير إلى فارس الأمر الذى يهدد بكارثة ، إلا أن « نتيتاس » ابنة فرعون مصر المقتول «ابرياس» تتقدم من تلقاء نفسها طالبة من « أمازيس » أن يمنحها مكان نفريت ، ويزفها إلى « قمبيز » بأعتبارها ابنته لتدفع عن مصر شر العجم ، فيرحب «أمازيس» بهذا الاقتراح . ويحتفل الوفد الفارسى والكهنة المصريون بهذه الخطبة. ومن خلال أحاديث زعماء الوفد يكشفون لنا أوجه إعجابهم بالحضارة المصرية، ونواحى النقص فيما يخص الجيش وقلة تسليحه مما يوحى بالمصيبة الوشيكة ، ثم يدعى الوفد الفارسى إلى مائدة فرعون ويرون بعض مظاهر البذخ ويتعرفون على بعض العادات المصرية ، وفى هذا الحفل يطلعنا « شوقى » على دافع آخر فى نفس « نتيتاس » يدفعها للتضحية بنفسها ، وهو حبها اليائس لتاسو حارس فرعون « أمازيس » ومعشوق ابنته « نفريت » وكان قبلاً حارساً لأبيها وحبيباً لها .

وفى الفصل الثانى نرى « نتيتاس » فى قصر « قمبيز » فى مدينة «سوس» عاصمة فارس ، وهى تجتر ذكريات حبها لتاسو ، ثم تسمع صياحاً فى الخارج فتعرف أن « قمبيز » قتل أخاه « بردیا » وأخته أنوسه لشكه فيهما ـ وتسرد على جاريتها حلماً يمهد للواقعة الكبرى ألا وهى الغزو الفارسى لمصر ، وتكشف من خلاله عن شخصية « فانيس » القائد اليونانى الذى خان فرعون والتحق بخدمة «قمبيز» فكشف له أسرار مصر ، وطرق الوصول إليها والسر المتعلق بنتيتاس أيضا، ويثور قمبيز ويواجه « نتيتاس » بحقيقتها ويواجهها بفانيس فتثور عليهما معاً ، وتكيل لهما الاتهامات والسباب فينفعل « قمبيز » ويهدد بغزو مصر عندها فقط

---

(١) راجع : أحمد شوقى : الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٣٣٩ ـ ص ٤٤٧ ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٤م .

تشوب « نتيتاس » لرشدها وتهدأ محاولة إثناءه عن غزو مصر بالوعيد تارة وبالتخويف من الطريق وأخطاره تارة ، وبالرجاء أخرى ، لكن « قمبيز » يبدو مصمماً بل وقد أعد العدة بالفعل للقيام بهذا الغزو فيستدعى قواده ليخبروها بالأحوال المتردية لجيش مصر ، ويعرفوها بما أعدوه لهذا الغزو ، وهنا يأتى رسول معلنا موت «آمازيس» وتولى ابنه « ابسماتيك » مكانه فيصبح الغزو حقيقة واقعة .

وفى الفصل الثالث : تنتحر الأميرة « نفريت » فى النيل ، ويبين ما أصاب مصر والمصريين من فظائع على يد جنود « قمبيز » من تقتيل للمصريين . ونهب لضياعهم وإنتهاك لحرماتهم . ثم يأتى « قمبيز » الذى يعفو عن بعض الأسرى النوبيين ، وتأتيه أنباء عن تآمر « ابسماتيك » عليه وتحضيره للثورة ضده ، ويحمل إليه الفرعون مكبلاً ، ويدور بينهما حوار يكشف عن شجاعة « ابسماتيك » ورفضه الذل فيأمر « قمبيز » بقتله . ويساق إليه « تاسو » لاشتراكه فى الثورة ضده فيأمر بقتله أيضا ، وتعلن « نتيتاس » المضى إلى طيبة للإنضمام للمقاومة . وتزداد نوبة جنون « قمبيز » شيئاً فشيئاً فيطعن « فانيس » بخنجره ثم يقتل أحد قواده دون ذنب ثم يأمر بإحضار العجل « أبيس » معبودالمصريين ويطعنه بخنجره ، ويصل جنونه إلى ذروته عندما تتراقص أمامه أشباح موتاه طالبة منه أن يردها للحياة مرة أخرى ، فيطعن نفسه بخنجره ويموت ، وتنتهى المسرحية على منظر شبان الكهنة وهم يتغنون لأبيس .

هذا هو ملخص لقصة « قمبيز » وغزوه لمصر كما جاءت عند أحمد شوقى فى مسرحيته ، وواضح منها أن « شوقى » قد استقى كثيراً من حوادث المسرحية من تاريخ « هيرودوت » بل قد استعان « شوقى » بهذا المصدر أيضا فى رسم صورة بعض شخصيات المسرحية ، ودليلنا على ذلك أن هناك أحداثاً وأخباراً كثيرة قد التقيا فيها بشكل واضح سوف نحاول رصدها فى هذه الدراسة ، ولكن إلى أى مدى اعتمد شوقى على « هيرودوت » ؟ بمعنى هل اعتمد عليه اعتماد من يستعبده النص الموجود أمامه أم اعتماد المتحرر الذى قد يجرى بعض التعديلات التى توافق غايته أو يلجأ إلى مؤلفات تاريخية أخرى يبحث عن بغيته . هذا ما يتضح لنا من خلال المبحث الآتى عن التاريخ والأسطورة فى مسرحية شوقى .

ثالثاً : مسرحية شوقى بين التاريخ والأسطورة :

أولاً : بالنسبة للحدث الرئيسى الذى يبنى « شوقى » عليه مسرحيته يبدو جلياً تأثره بالقصة التى ذكرها « هيرودوت » عن سبب غزو « قمبيز » لمصر والتى سبق أن ذكرناها من قبل والتى يذكر فيها أن « قمبيز » غزا مصر لرغبته فى الزواج من ابنة « آمازيس » الذى ضن عليه بها لعلمه أنه يريدها مجرد محظية له فخدعه وأرسل إليه ابنة سلفه « ابرياس » الأميرة « نتيتاس » فجملّها بالذهب والثياب الفاخرة وأرسلها إلى « قمبيز » كما لو كانت ابنته وأن « قمبيز » ناداها ذات يوم باسم أبيها ، فقالت له : إن « أمازيس » خدعك وأرسلنى إليك باعتبارى ابنته ، وأنا فى الحقيقة ابنةسلفه « ابرياس » الذى كان مليكه وسيده فثار عليه هو وباقى المصريين وقتلوه ولما سمع « قمبيز » هذا الكلام ثار وأخذ جيشه من فوره لغزو مصر .

هذه هى القصة التى جاءت عند« هيرودوت » والتى أعرض عنها كثير من المؤرخين لسلكها فى إطار الأساطير ـ كما بينا من قبل ـ فذكروا أسبابا اقتصادية وسياسية وعسكرية أدت إلى غزو « قمبيز » لمصر ، لكن أحمد شوقى ، وجد بغيته فى هذه القصة ، ورآها أكثر موافقة لهواه فتأثر بها وجعلها أساساً لمسرحيته . ولكن أى نوع من التأثر ذلك الذى اعتنقه هنا « أحمد شوقى» ؟ .

إنه ذلك التأثر المسمى بالتأثر السلبى ، أى أن « شوقيا » حاول أن يقاوم أو ينفى ما ذكره « هيرودوت » الذى جعل الأميرة المصرية « نتيتاس » هى التى تشى بخدعة ملك مصر « أمازيس » لقمبيز ، فتستعديه على وطنها انتقاماً لمقتل أبيها ، أما « شوقى » فقد نسب هذا الغدر للقائد اليونانى المرتزق « فانيس » الذى هرب من سيده « أمازيس » والتحق بخدمة « قمبيز » أما الأميرة المصرية «نتيتاس» فقد صورها مثالاً للتضحية والفداء ، وجعلها هى التى تتقدم من تلقاء نفسها طالبة من الفرعون أن يهب لها مكان ابنته « نفريت » التى ترفض خطبة «قمبيز»

وتأبى المسير إلى « فارس » وذلك لرغبتها فى حماية وطنها من خطر الغزو الفارسى ، يتضح ذلك من حوارها التالى مع فرعون « أمازيس »[1].

نتيتاس : جئت أفدى وطنى من سيف قمبيز وناره

جئت أفدى وطنى من دَنَسِ الفتح وعاره

فرعون : ماذا تقولين فيم جئتِ ؟ قمبيز ؟ الفتح ؟ مصر ؟ فارس؟

نتيتاس : نفريتُ تأبى المسيرَ هبْ لى مكانها منك يا أمازيسَ

واضح أن « شوقياً » أراد بهذا التغيير أن يدافع عن الأميرة المصرية «نتيتاس» كما سبق أن دافع عن « كليوباترا » من قبل باعتبارها مصرية ، خاصة وأن قصة « هيرودوت » التى اقتنع بها تجعل « نتيتاس » هى المسؤلة مباشرة عن هذا الغزو الأجنبى لمصر .

فإذا انتقلنا لباقى الأحداث التى ذكرها « شوقى » فى مسرحيته لنوضح ما أخذه « شوقى » من « هيرودوت » وما غيّر فيه ، ومدى صلة هذا التغيير بالتاريخ قرباً وبُعداً فإننا نبدأ بالحديث عن :

مقتل برديا :

من الأحداث المهمة التى ارتكبها « قمبيز » وكان لها أثر كبير على بلاده وعليه هو شخصياً ، حادثة قتله لأخيه « برديا » الذى يسميه اليونانيون «سميرديس » وهناك أيضا حادثة قتله لأخته وزوجه « روشنكَ » يذكر « شوقى » هذه الحادثة على النحو التالى[2]:

تسمع نتيتاس وهى فى قصرها بمدينة السوس صوت صياح واستغاثة :

(١) الأعمال الكاملة (المسرحيات) :ص ٣٧١ .

(٢) المسرحيات : ص ٣٩٣ .

يقول المستغيث : العفـــو يا كســرى الصفـــح ياســـــلطانُ

أخـــوكَ والنـــارِ ومجـــدها ما خـــانْ

فتستدعى الملكة أحد الحراس وتسأله (١):

الملكة : من يقتلون اليوم فى الساحة .

الحارس : أخـــتُ المـــلكِ أنوســـــيا

الملكـة : أخـــت المـــــلك ؟

الحارس : أجـــــل هيـــــــا أُتهمت بـــــبرديا

تـــى : مـــن برديـــا

الملكـة : أخـــو المـــــــلك ! يقطع فى الساحة رأس برديا

يُفهم من هذا أن « شوقياً » ذكر أن قمبيز » قتل أخاه « برديا » قبل غزوه لمصر كما قتل معه فى نفس الوقت أخته وزوجه « أنوسه » لاتهامها فيها ، وأن هذا حدث علانية فى ساحة القصر فى مدينة السوس .

وقد أخذ « شوقى » فحوى القصة من كلام « هيرودوت » لكنه خالفه فى الزمان والمكان والطريقة . فقد ذكر « هيرودوت » أن « قمبيز الذى لم يكن متزن العقل أصيب بالجنون بعد قتله أبيس وأن أولى نوبات جنونه أنه قتل شقيقه «سميرديس» (برديا) إذ أنه شعر بالحسد له لمقدرته على شد وتر القوس التى كان ملك الحبشة قد أرسلها إليه ، فأمره بالعودة من مصر إلى فارس . وبعد أن رحل رأى «قمبيز» حلماً أن رسولاً جاءه من فارس وأخبره بجلوس « سميرديس » على عرش المملكة ، فخاف على نفسه وأرسل بريكساسبيس الذى كان يثق فيه وأمره أن يقطع رأس سميرديس ، وقد نفذ بريكساسبيس هذا . ويُقال إنه قتله وهما يصيدان معاً ، ويقال إنه أغرقه فى الخليج الفارسى (٢).

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٩٥ .

(٢) هيرودوت : (ترجمة أمين سلامه) ص ١٢٥ .

هذا هو ملخص رواية « هيرودوت » عن مقتل « سميرديس » (برديا) ويفهم منها أن « برديا » كان مصاحباً لقمبيز أثناء غزو مصر ثم عاد إلى فارس حيث تعقبه من قتله سراً .

أما المصادر التاريخية الأخرى ومنها نقش « بيستون » الذى سجل داريوش بنفسه هذه الأحداث عليه فتذكر أن « قمبيز » قتل أخاه « برديا » قبل أن يقوم بحملته على مصر[1] لأنه خشى أن يمضى إليها ويترك أخاه المحبوب من الشعب حراً فى ولاياته الشرقية التى كان يتولاها فى تلك المملكة الواسعة ، فأمر بقتله سراً [2] .

وقد أخذ شوقى بهذه الرواية فجعل مقتل « برديا » قبل غزو قمبيز لمصر ـ كما أخذ بالتسمية الفارسية لـ «برديا» ولم يأخذ بالتسمية اليونانية «سميرديس» . أما عن سبب هذا القتل فقد تأثر فيه بفحوى رواية ذكرها « هيرودوت » وهو اتهام « روشنك ببرديا » يقول هيرودوت إن قمبيز قتل « روشنك » فى مصر لأنها بكت عند ما رأت كلباً بقطع سلسلته ويجرى ليساعد « جرواً » فى صراعه مع شبل أسد فلما سألها « قمبيز » عما يبكيها ، أجابته بأنها تذكرت « سميرديس » الذى لم يكن له من يساعده ، فقتلها بسبب هذا الكلام [3] . كما تذكر المراجع التاريخية المختلفة أن « قمبيز » قتل أخته « روشنك » فى مصر لما استبد به الجنون[4] .

وبهذا يكون « شوقى » قد أخذ بفحوى ما جاء عند « هيرودوت » من اتهام أخت « قمبيز » وزوجته بأخيه « برديا » لكنه غير فى مكان مقتلها فجعله فى السوس عاصمة فارس ، كما جعل المقتولة « أنوسة » بدلاً من « روشنك » مخالفاً ما جاء عند « هيرودوت » وعند غيره من المؤرخين الذين يذكرون أن

---

(١) دورة تاريخ ايران : حسن پيرنيا : حـ١ ص ٧٦ .

(٢) راجع : تاريخ ايران سيرپرس سايكس : ص ٢٠٣ ؛ حسن پيرنيا حـ١ ص ٧٦ ؛ الإيرانيون القدماء : ص ٢٠ .

(٣) هيرودوت : (ترجمة أمين سلامة) ص ١١٧ .

(٤) تاريخ ايران (حسن پيرنيا) حـ ص ٧٥ ؛ الإيرانيون القدماء : ص ٢١ .

«أنوسه» ظلت على قيد الحياة وأنها بعد وفاة « قمبيز » تزوجت من « برديا » المجوسى الذى إدعى الملك ، كما تزوجت « داريوش » من بعده [١].

مقتل آمازيس :

ومن الأحداث التى ذكرها « شوقى » أيضا خبر مقتل « أمازيس » وتولى ابنه « ابسماتيك » العرش بعده قبل الغزو الفارسى لمصر ، وهذا ما ذكره «هيرودوت » واجمعت عليه باقى المصادر التاريخية ، لكن « شوقيا » يخالفهم جميعاً بأن يجعل نبأ وفاة « أمازيس » يصل إلى « قمبيز » وهو مازال فى السوس. أما « هيرودوت » فيقول « إن « قمبيز » عندما ذهب إلى مصر لم يجد «آمازيس» على قيد الحياة ، لقد مات بعد أن حكم أربع وأربعين سنة [٢]» وهذا الرأى تذكره المراجع التاريخية الأخرى .

كما يذكر « شوقى » أن مصير « ابسماتيك » هذا كان القتل بأمر «قمبيز» بعد أن ثار عليه فأمر بقتله ثم عفا عنه بعد أن يستشفع له أحد وزراء الفرس ، لكن « ابسماتيك » يجيبه بقوله [٣].

لا مرحبا أمس ولا اليوم بعفو الطاغية .

فيرد عليه قمبيز : سنرى هلمـــوا يا جنود أســـيركم

عـــودوا به من حيثُ جئتمُ عـــودوا

أما « هيرودوت » فيسكت عن مصير هذا الملك ولا يخبرنا به ، وتختلف كتب التاريخ فى مصيره أيضا فمن قائل أن « قمبيز » قتله بعد أن ثار عليه [٤]، ومن قائل أنه ظل على قيد الحياة وأن « قمبيز » اكتفى بنفيه إلى « شوش »[٥].

---

(١) هيرودوت : ص ١١٧ ؛ دورة تاريخ ايران : حـ١ ص٧٧ .

(٢) هيرودوت : (ترجمة أمين سلامة) : ص ١١٥ ؛ تاريخ ايران (سايكس) : حـ١ ص٣٠٤ ؛ دورة تاريخ ايران (پيرنيا) : حـ ص ٧٤ .

(٣) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٤٣٠ .

(٤) مصر والشرق الأدنى القديم : حـ ٣ ص ٦٧١ .

(٥) تاريخ ايران (پيرنيا) : حـ ١ ص ٧٤ .

مقتل العجل « أبيس »

من الحوادث المهمة التى أثارت جدلاً كبيراً بين المؤرخين ، والأثريين من قدامى ومحدثين مقتل العجل « أبيس » معبود المصريين فى ذلك الوقت على يدى « قمبيز » وقد ذكر « شوقى » هذه القصة على النحو التالى : أن « قمبيز » فى إحدى ثورات جنونه أخذ يصيح [1].

قمبيز : آبيـــــس معبـــودهم أين هو ؟

[يؤتى بالعجل فيثور لرؤيته جنون قمبيز]

قمبيز : والآن ماذا رأيتــــــم   وما الـــذى تفــــتونا
وما الذى نحن بالعجـــــــــــل يا تُرى صــــانعونا

قائد : تصبُ كســــرى عليه   من البـــلاء فنــــونا

آخر : علّقه بين الأرض والسـماء   واتركه للغربان والحـــداء

وزير : أحـــرقه يا مــولاى بالنار

قمبيز :   إخسَأ فهذا أعظـم العـــار
ماذا يقـــول الناسُ عنا غـــداً   ألقوا إلى النـــيران بالفـار
قد دنّســـوها وهى معبـــودهم   من جُثة العجـــلِ بأقـــذار

[ويظهـــر الغضب على قمبيز]

يقول آخر : ياســيد الأرض أبشـــر   رأى الوزيـــــر أصــــابا
غـــداً يقـــولون بمنفيس   تغـــدَّت النـــارُ بأبيس

قمبيز : أجل يُقـــالُ فى الأخبـــار   العجـــلُ قد بات طعـام النارِ

[ثم يُقبل على أبيس ويخاطبه]

---

(١) الأعمال الكاملة : ص ٤٣٧ ـ ٤٤٠ .

إلـــــه النيـــــل لمَ تغضب لم تكســـــــــــرُ جفنيكا
تأمـــلْ شـــبَحَ المــــوتِ ألم يـــــــــــدُ لعينيكا
وهذا خنجـــرى الماضـــــــى فخـــذه بين قرنيـــــكا

[ويطعنه ثم يتراجـــع خطـــوة]

ويفهم من هذا أن هذه الطعنة قد أودت بحياة « آبيس » فيقف أحد وزراء الفرس خاطبا فى المصريين قائلا [1] :

إن كســــرى تغفـــر النـــارُ له كان فى مصـرع أبيس السبب

هذه هى القصة كما رواها « شوقى » فى مسرحيته ، أما « هيرودوت » فيذكر أن « قمبيز » عندما عاد من حملته الفاشلة على الحبشة وجد المصريين وقد أقاموا الولائم والأفراح مبتهجين لظهور معبود جديد لهم « أبو فوس » فاعتقد أنهم يحتلفون بفشله الذريع ، فسأل الموظفين فى القصر عن سر هذه الاحتفالات فأجابوه بالإجابة السابقة إلا أنه لم يصدقهم ، وحكم عليهم بالإعدام ، ثم استدعى الكهنة فسمع منهم نفس الجواب فأمرهم أن يحضروا « أبيس » إليه فلما أحضروه استل جنجره وسدده نحو بطن العجل إلا أنه أخطأ الهدف فأصابه فى فخذه ، ثم ضحك وقال للكهنة : « أيها الأغبياء أتظنون الآلهة تكون على هذه الصورة من لحم ودم ، وتتأثر بالأسلحة المصنوعة من الصلب » ويضيف « هيرودوت » أن أبيس ظل راقداً فى المعبد إلى أن مات بسبب ذلك الجرح ، فدفنه الكهنة سراً دون علم « قمبيز » [2] .

يبدو أن رواية « هيرودوت » هذه هى الرواية التى أخذ بها شوقى فى مسرحيته بعد أن غير فى التفاصيل ـ كما رأينا . وهذه الرواية نفسها محل خلاف بين المؤرخين القدامى والمحدثين وعلماء الآثار أيضا ، فمنهم من أخذ برأى «هيرودوت» وحاول أن يثبته بالأدلة والبراهين ، مثل الأثرى « فيدمان » الذى يقول عنه سليم حسن[3] إنه يعتقد أن العجل أبيس الذى دُفن فى السنة

(١) الأعمال الكاملة : ص ٤٤٧ .

(٢) هيرودوت : (ترجمة أمين سلامة) ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٣) مصر القديمة : جـ ١٣ ص ٨٥ .

السادسة من عهد « قمبيز » كان الملك قد قتله بنفسه ، كما حاول أن يبرهن على أنه دفن خفية وفقا لما ذكره « هيرودوت » . ويرى سليم حسن[1] أن المحاولات التى عملت للتوفيق بين ما جاء في النقوش الهيروغليفية وبين ما جاء في قصة هيرودوت ، وما نقله بعض علماء الأثار لم تقدم نتائج مرضية يرتاح إليها النقد العلمى . ويضيف إلى هذا أن النقوش المكتشفة حديثاً توضح أن التحنيط والنقوش الخاصة بالعجل « أبيس » هذا قد عملت رسمياً ، وأن تابوت هذا العجل قد أهدى إليه من « قمبيز » كما يضيف أن وجود التابوت المصنوع من الجرانيت ، وحجمه الضخم يجعل النظرية القائلة بأن « أبيس » هذا قد دفن خفية قابلة للشك . ويسوق حسن پيرنيا الأدلة على كذب رواية « هيرودوت » عن قتل « قمبيز » لأبيس فيقول إنه من الثابت أن هذا العجل قد مات في بداية حملة قمبيز على الحبشة وليس بعد رجوعه منها (كما يذكر هيرودوت) كما يقول إن الآثار الباقية من هذا العصر تصور قمبيز راكعاً على قدميه أمام العجل المقدس سنه ٥٢٣ ق . م [2]. وهذا يدل على احترامه لآلهة المصريين .

انتحار قمبيز :

من الأحداث المهمة فى هذه القصة حادث مقتل « قمبيز » فقد كان هو أيضا مثاراً للخلاف بين المؤرخين ، أما « شوقى » فيصور هذا الخبر على النحو التالى : بعد أن يطعن « قمبيز » أبيس يتراجع خطوة ويقول [3]:

قمبيز : إلهـى ما تـرى عينى　　خيالاتُ وأشـباحُ
وقتلى قد غدوا حـولى　　وقتلى غيرهم راحـوا
وجرحـى جذبوا ثوبى　　وجرْحى غيرهم صاحـوا

وتستمر نوبته الجنونية فى ازدياد فيخاطب أشباح قتلاه :

قمبيز : ماذا بيـا ؟ ماذا بيـا　　هذا شقيقى برديـا

(١) مصر القديمة : حـ ١٣ ص ٨٦ .
(٢) تاريخ إيران (بيرنيا) حـ ١ ص ٧٥ .
(٣) الأعمال الكاملة : ص ٤٤٠ .

هـذا شـقـيـقـى بُـرديـا   و خـنـجـرى فـى صـدره
جـئـت أخـى تجـزى أخـا   ك عـن قـبـيـح غـدره

و يأخذ في الهذيان فيخاطب أنوسه ثم شبح « نتيتاس » ، ثم يقول لنفسه

طاب وردُ الحمام يـا نفسُ هَـيَّا   خنجـرى خِنجـرى إلـىَّ إليَّـا

(ويطعن نفسه بالخنجر و يقع) [(١)] .

و هكذا يجعل شوقى « قمبيز » ينتحر في مصر و هو بهذا يخالف «هيرودوت » بالنسبة لمكان وقوع الحادث و بالنسبة للانتحار أيضا . فهيرودوت قد ذكر أنَ « قمبيز » قتل نفسه خطأً في (اجباتانا) بسوريا . و أن هذا قد حدث عندما قفز بسرعة إلى ظهر جواده معتزماً السير بجيشه إلى « السوس » عاصمة ملكه لمحاربة « سميرديس » المجوسى الكذاب الذى ظهر هناك و أخذ يدعو لنفسه على أنه أخو قمبيز و يضيف «هيرودوت » أنه بينما كان « قمبيز » يقفز سقط رباط غمد سيفه فدخلت سن السيف العارية في فخذه ، و جرحته في نفس الموضع الذى جرح فيه الإله المصرى « أبيس » و عندما تعفن العظم و سرت الغنغرينا في الفخذ مات قمبيز بن قوروش [(٢)] .

و إذا كان (شوقى) قد خالف « هيرودوت » بالنسبة لحادث مقتل «قمبيز » من جميع الوجوه فإنه قد وافق رأى بعض المؤرخين الآخرين بالنسبة لانتحار «قمبيز » ففى نقش بيستون سجل داريوش بنفسه أن « قمبيز » قد انتحر[(٣)] . و يذكر سيريرس سايكس هذا أيضا قائلاً إن قمبيز غادر مصر سنة ٥٢١ ق . م و عندما كان يعبر سوريا و صله خبر قيام أحد المجوس بثورة ضده ، وأنه استغل الشبه التام بينه و بين أخيه « برديا » فأدعى أنه هو فأسرع للقضاء

(١) الأعمال الكاملة : ص ٤٤٥ .
(٢) هيرودوت (أمين سلامة) : ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .
(٣) تاريخ ايران (بيرنيا) : جـ١ ص ٧٦ .

عليه . و فى الطريق سيطر عليه اليأس فقتل نفسه [١] . و هكذا نجد « شوقياً » قد أخذ بالرواية الفارسية الخاصة بانتحار قمبيز ، و إن كان قد خالف جميع الروايات بالنسبة لمكان الحدث فجعل نهايته تأتى فى مصر فى أعقاب قتله لأبيس . و ربما أراد شوقى بهذا التغيير أن يعجل بنهاية الغازى المعتدى على مصر و على مقدساتها و أن انتحاره كان نتيجة لقتله أبيس .

الطريق إلى مصر :

من الثابت تاريخياً أن « قمبيز » غزامصر عن طريق صحراء سيناء و لم يعبر البحر ليفاجئ فرعون مصر . و قد ذكر « شوقى » فى مسرحيته ما يوافق هذه الرواية ، يتضح هذا من الحوار التالى بين « قمبيز » و « نتيتاس » و « فانيس » . تقول « نتيتاس » محاولةً إثناء « قمبيز » عن فكرة غزو مصر ، محذرةً إياه مما سوف يلاقيه فى الطريق إليها : [٢] .

الملك : ماذا دون مصر ؟

الملكة : يجوبُ الجيشُ صحراءً يبابا

ترى تيها تجرُّ الخيل فيه قوائمها و تنسحبُ انسحابا

ترى جلد الجمالِ عليه يفنى و تحسبُها من اللَّهيثِ الكلابا

الملك :

لا تُراعى فما على الجيش بأسٌ كلُّ شىءٍ على الحدود تهيّا

قد وجدنا الجرارَ فى مصرَ و الما ء و لم نعدم الرجال السُّقيا

و قد اشترينا الخفير بالمال و الحا رس و الحامى الأمين القويا

الملكة (لفانيس):

كلُّ هذا فعلته أنت يا نذل

---

(١) تاريخ ايران (سايكس) : جـ ١ ص ٣٠٥ .

(٢) راجع : الأعمال الكاملة : ص ٤١٣ .

فانيس : أجلْ مـا أتيـتُ أمـراً فـريـا

لم يخرج « شوقى عن مضمون ما أورده « هيرودوت » بخصوص غزوِ مصر عن طريق الصحراء وشراء ذمم الأعراب فى الصحراء لتهيئةِ الماء لجيش «قمبيز» وتهادنهم معه ، و دور فانيس فى كل ذلك . فقد ذكر « هيرودوت » أن فانيس لما وصل إلى « قمبيز » لم يخبره بأسرار أمازيس ، فحسب بل أمده بمعلومات عن كيفية عبور الصحراء ، وأشار عليه أن يوفد سفيراً من قبله إلى ملك العرب ويطلب منه أن يسلك حياله مسلكاً ودياً و هو يعبر المنطقة ، و يذكر « هيرودوت » أيضا أنَّ ملك العرب قام من فوره بصنع عدد من القرب من جلود بعض الإبل ، وملأها بالماء ثم حمل هذه القرب على ظهور الإبل الحية الباقية . و قادها إلى الصحراء ، و بقى هناك ينتظر مجيئ جيش قمبيز [١] .

و من هذا يتضح أن « شوقياً » قد تأثر بمضمون هذه القصة دون الدخول فى تفاصيلها ، فتحدث عن دور فانيس و إعداد الماء لعبور الصحراء .

أعمال الفرس فى مصر :

الأعمال التى ارتكبها الفرس فى مصر محل خلاف أيضا بين المؤرخين : فمن قائل إن « قمبيز » أحسن معاملة المصريين و عمل على التقرب إليهم [٢] ، و من قائل إنه أساء إليهم و ارتكب الفظائع فى حقهم و على رأس هذا الفريق يأتى « هيرودوت » الذى يقول إن القضاة الملكيين أصدروا حكما يقضى بأن يموت عشرة من أنبل المصريين فى مقابل كل رجل ميتلينى قتل على ظهر السفينة التى أرسلها قمبيز للمصريين . و من بين النبلاء الذين قتلوا تنفيذا لهذا الحكم ابن « بسماتيك » نفسه ، و من أعمال « قمبيز » السيئة التى يذكرها «هيرودوت » تعريضه « بسماتيك » و النبلاء المصريين للإهانة ، و منها إهانته

(١) هيرودوت (سلامة) : ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) راجع : تاريخ ايران (بيرنيا) جـ ١ ص ٧٦ ، الإيرانيون القدماء : ص ٢٠ ، مصر القديمة (سليم حسن) جـ ١٣ ص ٧٧ ، تاريخ مصر القديمة (رمضان السيد) جـ ٢ ص ٢٨٨ .

لجثة الملك الراحل « أمازيس » و إحراقها [١] . و فتحه الأضرحة و فحص جثث الموتى و منها قتل « أبيس » و قتل الموظفين بالقصر ، و غير ذلك من الأعمال التى يحدثنا عنها « هيرودوت » ، و التى يبدو أن « أحمد شوقى » تأثر بمضمونها فأشار إليها فى الحوار التالى بين بعض المصريين [٢] :

أحد الرجال (لزميل له) :

تعال يا (باطا) قل لى بالله
كيف ترى الحكما كيف ترى الظلما

باطا :

قمبيز فى الظلم بألف فرعون

(ثم لهجار) :

و أنتِ يا هجارْ ماذا تقولينا
أمون ذو المنن يبقى الفراعينا
الفرس فى مصر طغيانهم قد زاد

و فى حوار آخر يذكر بعض أعمال السلب و النهب عندما يُسأل أحدهم عن ضيعته فيجيب [٣] :

أوَزّى كلِه طاحَ و بَطُّي كلّه طارا
و أختى خُطفت مِنى و زوجى جللتْ عارا

أحد الجماعة :

خذُوا حذركمِ أقبل الطاغية مع الوزراء و فى الحاشية
و ذا السّيف فى يد جلاده تسلُ على الأرؤس العالية

هذه هى المواضع التى أشار فيها شوقى إلى أعمال السلب و النهب وطغيان الفرس فى البلاد ، و التى يبدو فيها متأثراً برأى « هيرودوت » و هناك بعض

---

(١) هيرودوت (سلامة) : ص ١١٧ .

(٢) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٤٤٣ .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ٤٤٥ .

المشتغلين بدراسة التاريخ ينقضون رأى هيرودوت هذا و يذكرون أن « قمبيز » أحسن معاملة المصريين و احترم الديانة المصرية ، و يستند فى هذا إلى رأى «وجاجر رسنت » قائد البحرية المصرية الذى عهد إليه « قمبيز » بأمور البلاد وإصلاح أحوال الناس و البلاد [1] . و هناك أيضا رأى آخر يحاول أصحابه التوفيق بين الرأيين فيقولون إنه من الجائز أن « قمبيز » بعد أن تحقق له غزو مصر حاول الحد من أعمال السلب و النهب التي اتبعها الجيش الفارسي و التي قاست منها البلاد [2] ، و يضيف سليم حسن إلى هذا أنه من الجائز أن قمبيز قام ببعض الأعمال الحسنة بالنسبة للمصريين مثل اتخاذه ألقابا فرعونية ، و كبح جماح جنوده لمنعهم من التعدى على المصريين ، ثم أصلح و لو جزئيا من الأضرار التى نجمت عن الغزو ، و أعاد إلى مدينة سايس خدامها و دخلها المقدس، كما ذهب بنفسه إليها ليسجد أمام الآلهة « نيت » و يقوم بنفسه بتقديم قربان عظيم لآلهة المدينة ـ كما يقول المتحدث المصرى[3] ـ و يعلق د . سليم حسن على هذا بقوله إنه (قمبيز) ربما فعل كل هذا لأن « وجاجر رسنت » هذا قد أفهمه أن أعماله الأولى خاطئة ، فعمل بعد ذلك على إرضاء الشعب المقهور والتودد إليه و لو فى الظاهر . و يقول أيضا إنه من المحتمل أن ما نسب إلى « قمبيز » من أعمال العنف فى الحرب و ما أتاه جنوده من سلب و نهب هو أصل ما ينسب إليه من تخريب و من سلب و نهب للمعابد المصرية [4] .

فاذا تركنا الأحداث بعد أن بينا موقف « شوقى » من التاريخ و الأساطير فيها ، ننتقل إلى الشخصيات لنعرف كيف رسمها « شوقى » و هل التزم بالحقائق التاريخية فى تصويره لهذه الشخصيات أم هل أضاف إليها من عنده بعض الإضافات ؟ و ما المعانى التى أراد أن يبثها بهذه التغييرات ؟

(١) مصر و الشرق الأدنى : د . محمود بيومى مهران جـ ٣ ص ٦٦٩ .
(٢) تاريخ مصر القديمة : جـ ٢ ص ٢٨٨ .
(٣) مصر القديمة : جـ ١٣ ص ٧٦ ـ ٧٨ .
(٤) مصر القديمة : جـ ١٣ ص ٧٨ .

الشخصيات :

ما من شك أن لطريقة المؤلف فى تصوير شخصياته و الأهمية التى يضيفها على كل شخصية قيمة كبيرة فى إدراك غايته من عمله و بالنسبة لشخصيات مسرحية « قمبيز » فمن السهل أن نلاحظ أن الشخصيات تنقسم عند شوقى إلى مجموعتين. :

مجموعة الشخصيات التاريخية مثل : نتيتاس ، قمبيز ، أمازيس ، بسماتيك، فانيس ، و نفريت . و مجموعة الشخصيات غير التاريخية و هى الشخصيات التى اخترعها المؤلف من ذهنه ليكمل بها الأحداث أو يحملها بعض الاراء والمعتقدات و من هذه الشخصيات : شخصية تاسو حارس فرعون . و تتى وصيفة نتيتاس ـ رجال الوفد الفارسى رجال البلاط الفرعونى ـ قواد ـ جند من الفرس ـ اقزام ـ حجاب قدم من المصريين . و يلاحظ أن شوقيا حمل شخوص هذه المجموعة سمات الأمتين الفارسية و المصرية .

نتيتاس :

و تُعد البطلة الحقيقية لمسرحية « قمبيز » و قد انطلق « شوقى » مصوراً شخصيتها من موقف محدد يتعدى الدفاع عنها و تبرئتها مما نسبه إليها «هيرودوت» إلى جعلها رمزاً للتضحية و الفداء فى سبيل الوطن ، و قيمة من قيم البطولة المصرية ، و يبدو أن « شوقيا » ـ كما يذكر د . سعد ظلام ـ كان يبحث عن شخصية مصرية تماثل شخصية « جان دارك » التى قرأ عنها فى الأدب الفرنسى [١] . و أن هذا كان سببا فى الإضافات و الإيحاءات التى أضفاها على شخصية « نتيتاس » فيما أرى ـ

أما عن صفاتها الجسدية فهى جميلة فتنت فارس و ملكها بهذا

(١) د . سعد ظلام : المسرح الشعرى بين شوقى و أباظة : ص ٤٥ ط القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

لجمال[1] :

إن كــــــسرى و قـــومـــه كـلـهـم فـى الـهـوى سـواءٌ

فالجمال صفة لازمة لها كما يذكر « هيرودوت » أنها فارعة الطول على قدر وافر من الفتنة و الجمال [2] و قد ذكر شوقى هذا أيضا لكنه لم يركز كثيراً على هذه الصفة فهناك صفات أخرى يريد إبراز ها . فهى شجاعة تضحى بنفسها فداءً لوطنها [3] .

نتيتاس : جئت أفدى وطنى من سـيـف قـمـبـيـزو نـاره

جـئـت أفـدى وطـنـى مـن دنـس الـفـتـح و عـاره

تتعالى على الالام و الجراح ، فهذه الفتاة لها ثأر مزدوج عند هذا الحاكم و ابنته ، فهذا الحاكم كما هو ثابت تاريخيا قتل أباها « ابرياس » و أخذ مكانه ، و ابنته ـ كما يتخيل « شوقى » ـ سلبتها « تاسو » حبيبها ، و مع كل هذا تتعالى على الآلام ، و لا يبقى فى نفسها إلا شعور واحد مسيطر عليها و هو حب الوطن ، ورغبتها فى حمايته ، و التضحية فى سبيله بكل غالٍ و نفيس تقول لنفريت [4]:

و مـالى لا أعـطى الحـيـاة إذا دعتْ بـلادى حـيـاتى للبـلادِ و مـالى

و شعورها الوطنى هو الذى يمنعها من مبادلة « قمبيز » العواطف رغم اعترافها لتتا أنه « زين الشباب » لكنها تقول [5] .

و لـكـن مـتـى يـا تـتـا دُلِّـهـت بـنـاتُ الـفـراعـين بـالأجُـنَـبِ

و مـا نـلـتـقـى فى جـلال الجـدود و لا فـى الـعـقـيـدة و المذهـبِ

---

(١) الأعمال الكاملة : ص ٤٠٠ .
(٢) هيرودوت (أمين سلامة) : ص ١١٣ .
(٣) الأعمال الكاملة : ص ٣٥٧ .
(٤) الأعمال الكاملة : ص ٣٥٩ .
(٥) المرجع السابق : ص ٤٠٢ .

و هي ـ كما صورها شوقى ـ مصرية عارفة بحقوق وطنها،لا ترغب في استعداء الأجانب على بلدها لتصفية خلافات و لا رغبة فى الثأر لأبيها ، يتضح ذلك من الحوار التالى [1] :

فانيس : و لكن ألم يخلع أباك أمازيس

و يفتتك به فى ثورةٍ و قتالِ

و يجلس على كرسى مصر مكانه

و يخلفه في جاهٍ أفاد و مالِ

نتيتاس : أجل قَدْ خُلعنا مُلكنا و تصرفت

بنا سوقة من جندنا و موالى .

فانيس : إذن فدعى قمبيز يثأر لزوجه

و يضرب بيمنى أو يُصب بشمال

دعيه يعُاقب سارق التاج مثلما

يعاقب فى منفيس لص لآلئ .

نتيتاس: لك الويلُ من فتى فإنك من معنى المروءة خالى

أأوطى خيل الفرس مهدى و ملعبى و تربة آبائى و منزل آلى

و أُشعِلُ نار الفرس فى أيكة الصبا و ما بوأتنى من رُبىً و ظلال

و أُغمدُ سيف الفرسِ فى صدر أمةٍ نمتنى و تنمى أُسرتى و عيالى

أخذ شوقى مضمون هذه القصة من « هيرودوت » لكنه تصرف فيها على النحو الذى يلقى فيه بالمسئولية على « فانيس » القائد اليونانى المرتزق و يبرئ الأميرة المصرية نتيتاس من تهمة استعداء « قمبيز » لغزو مصر انتقاما لأبيها من

(١) الأعمال الكاملة : ص ٤١٩ ـ ٤٢٢ .

«أمازيس » الذى خلع أباها و أمر بقتله و جلس مكانه ـ كما ذكر هيرودوت ـ ونتيتاس ـ كما يصورها شوقى ـ تحاول بكل الطرق حماية وطنها و تجنيبه شر الغزو الفارسى عن طريق إثناء قمبيز عن القيام به ، فتخوفه تارة من الطريق ومخاطره ، وتستعطفه أخرى على أهل مصر الذين لا ذنب لهم ، و بعد وقوع الغزو تحاول أن تثنيه عن أعمال السلب و النهب فى البلاد ، و عندما تيأس من ذلك أيضا تعلن الإنضمام إلى المقاومة المصرية فى طيبة تقول [1] :

و الآن إلى طيبــة و الصعيــد لحشـدِ الدعـاةِ و حشـدِ الجنود

و قهــر العــدو و إرغـامـه وقـذفِ المغيـرِ وراءَ الحـدود

و بهذا تصبح رغبتها فى حماية وطنها أمراً إيجابيا . و شوقى متأثر فى تصوير شخصية هذه البطلة ببطلات المآسى الكلاسيكية ـ فيما أرى ـ فهى شخصية بلا رذائل و إن كان فيها بعض نواحى الضعف البشرى الناجم عن إحساسها بالكراهية لقاتل أبيها و الظلم من محبوبها الغادر ، إلا أنها تتسامى وتتعالى على آلامها .

هذه هى المعانى و الدلالات التى أراد شوقى ـ كما أعتقد ـ إضفاءها على هذه الشخصية ، و هذا هو سبب التغييرات التى أجراها على الأحداث المتعلقة بها حتى أصبحت هى مصدر الأحداث و محورها إلى حد كبير ، فهى أقرب شخصية لمركز الصراع . لهذا يبلغ خلاف « شوقى » و « هيرودوت » مداه عند الحديث عن « نتيتاس » وواضح أن « شوقيا » قد أراد من كل هذا جعل «نتيتاس» نموذجاً للتضحية و الفداء ليثير الحماس فى نفوس مواطنيه ، و يرغبهم فى التضحية بكل غالٍ و نفيس فى سبيل الوطن ، و يحبب إليهم التعالى على الآلام إعلاء لصالح الوطن ، و ينبه أولئك الذين يستعدون الأجانب على مواطنيهم ووطنهم تصفية للخلافات بينهم إلى خطورة هذا ، و فى النهاية يبين

(١) الأعمال الكاملة : ص ٤٣٦ .

لهم أن الجهاد ضد العدو ينبغى ألا يقف عند حد الكلام بل يجب أن يترجم إلى أفعال .

قمبيز :

تناقضت الأوصاف التى ساقها « شوقى » ل « قمبيز » كما تناقضت أخباره عند المؤرخين . فحينا يصفه بصفات جميلة ، كتلك الصفات التى جاءت على لسان الوصيفة تتا و الملكة « نتيتاس » فيى الحواز التالى [1] :

الوصيفة : زعمنا أن قمبيزاً مُحبٌ ... فهل تجزيه بالحبّ حبّا
الملكة : أحبّ أنا ؟ ضل ما قد ظننتِ ... و إن خلت ظنكِ لم يكذب
الوصيفة : و لمِ لا ؟و قمبيز لا بالقبيح ... و لا بالدميم و لا بالغَبى
و لا هو بالملك البربرى ... ولا الوحش ذى الناب و المخلبِ
و لكن فتى خيرٌ كالسحاب ... و ضيءُ البشاشة كالكوكبِ
يزينُ السرير إذا احتله ... و إنْ سارَ كان حُلى الموكبِ
الملكة : صدقت تتا هو زينُ الشبابِ ... إلهُ القنا قمرُ الغيهبِ
إذا غُلبتْ فى القتال الملوكِ ... و فى السّلم عَزٌ فلم يُغلبِ
يُسيطرُ كالشمس سلطانُه ... على مشرقِ الأرض و المغربِ

الوصيفة و الملكة فى هذا الحوار تتباريان فى كيل الأوصاف الجميلة لقمبيز . فكيف تستقيم هذه الصفات مع قول نتيتاس فى موضع آخر عنه [2] :

نمرُ الفرس الخشن .

و قول الوصيفة لمليكتها [3] :

---

(١) الأعمال الكاملة : ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ .
(٢) الأعمال الكاملة : ص ٣٩١ .
(٣) المرجع نفسه : ص ٤٠٩ .

لا تهـــيـــجى به الجنون فـــيطغى إنـــه آدم بظـــفــــــــــــــرٍ و نـــاب

و قول نفريت عنه إنه [1] :

و حـشٌ فـى إهـاب بـشـــــــــر يـقـــــــــــتـلُ مَنْ يـلـقـى

أقول إن « شوقيا » ربما أراد أن يكشف عن مختلف جوانب شخصية «قمبيز » فيبين ما فيها من فضائل و رذائل على السّواء ، و إن كانت رذائله قد طغت على شخصيته . و ربما تناقضت أوصاف « قمبيز » عند « شوقى » كما تناقضت أخباره عند المؤرخين . فقد ثارت الخلافات حول شخصيته و تصرفاته : فهناك رأى نشره كُتاب اليونان و على رأسهم « هيرودوت » الذى صور « قمبيز» ـ كما يذكر د. محمد بيومى مهران ـ كوحش لا يراعى أبسط مبادئ الإنسانية ، مما يشير إلى حقده على قمبيز » من جراء ما قاسته بلاده على يديه ، و قد انتشرت السمعة السيئة لقمبيز على يد هولاء الكتاب حتى خلط بعضهم بين سيرته و سيره غيره و من ثم نسبت إليه أخطاء غيره [2] .

و هناك رأى آخر أخذ بما جاء فى المتون المصرية التى تدل على أن «قمبيز» كان ملكاً أكثر حكمة و روية مما افتراه عليه الكتاب الأقدمون [3] .

نقول إن « شوقياً » و هو يبحث عن تلك الشخصية وجد أخباراً وأوصافاً ذكرها « هيرودوت » تهاجم « قمبيز » و وجد أخباراً أخرى تدافع عنه وتصوره أكثر حكمة . لكن (شوقيا) كمصرى فقدت بلاده حريتهاا على يدى « قمبيز » و صارت ولاية فارسية لمدة قرنين من الزمان اتفقت مشاعره مع مشاعر « هيرودوت » الذى حقد هو أيضا على « قمبيز » ـ كما ذكرنا من قبل ـ فأخذ عنه كثيراً من الأوصاف االتى أثبتها لقمبيز فى تاريخه ، و تأثر بها ، و أخذ عن غيره بعض الأوصاف ليكون أكثر اعتدالا فى تصوير الشخصية من « هيرودوت» .

(١) الأعمال الكاملة : ص ٣٥٢ .

(٢) مصر و الشسرق الأدنى القديم : جـ ٣ ص ٦٦٩ .

(٣) مصر القديمة : سليم حسن : جـ ١٣ ص ٨٧ .

من الأشياء التى خالف شوقى فيها « هيرودوت » مسألة إدمان « قمبيز » للخمر ، فعندما يسأل « أمازيس » رئيس الوفد الفارسى عن حال قمبيز و القدح ، يقول الفارسى (١) :

إن قــمــبــيــز سـيـدى   مـلـك كـلـه مَـرَح
لـيس يـخـلـو قـصـوره   مِـنْ سـرور و مـن فَـرح
لـكـن لـه شـغـل عـن الـ   خـمـر بـطـول غـزوتـه

يخالف « شوقى هنا ما ذكره « هيرودوت » عن معاقرة « قمبيز » للخمر ، فيقول إن « قمبيز » سأل يوماً حامل رسائله « بريكساسبيس » أى نوع من الرجال يظننى الفارسيون ؟ فقال له : مولاى ، إن القوم ليثنون عليك أجمل الثناء فى كل شئ إلا أنهم يقولون إنك مولع أشد الولع باحتساء الخمر (٢). وقد حمل العقاد بشدة على شوقى لاحداثه هذا التغيير فى شخصية قمبيز (٣). مغفلاً أن «شوقيا » إنما استخدم حقه الطبيعى كمؤلف مسرحى فى الأخذ بروح التاريخ دون أن يتقيد بحرفيته .

أما عن الحروب و طول الغزوات فهى حقيقة تاريخية توافق ما ورد عنه فى كتب التاريخ ، و تجمع على أنه بعد وفاة « كورش » سنة ٥٢٩ ق.م ، فإن «قمبيز » انشغل لمدة ثلاث سنوات بإخضاع الولايات الفارسية التى أعلنت العصيان ثم بدأ سنة ٥٢٦ ق.م يجهز حملته لغزو مصر(٤) بل و فى حياة أبيه كان يشترك معه فى الحكم فى السنوات الثمانى الأخيرة من عهده (٥) . وكانت كلها حروبا متصلة ـ كما رأينا من قبل ـ .

هناك صفة أخرى لقمبيز أشار إليها « شوقى » أكثر من مرة ، و فى مواضع متفرقة . و هى صفة « الجنون » ، الذى يأتيه فى نوبات يدمر خلالها

(١) الأعمال الكاملة : ص ٣٧٢ .
(٢) هيرودوت (أمين سلامة) : ص ١٢٧ .
(٣) العقاد : رواية قمبيز فى الميزان . القاهرة سنة ١٩٣١ م .
(٤) تاريخ ايران (حسن بيرنيا) : جـ ١ ص ٧٣ .
(٥) مصر و الشرق الأدنى القديم : جـ ٣ ص ٦٦٢ .

كل شئ ، يتضح ذلك فى قول الوصيفة للملكة [١] :

تتا : لا تهيجى به الجنون   فيطغى إنه آدم بظفرٍ و نابِ

كما يتضح من قول فانيس أيضا مخاطبا نتيتاس [٢] :

فانيس : خذى سيدتى الحذرا

فقد تأخذه النوبة حتى يحرق القصرا

و قد يقتل من أمامه أثناء نوبات جنونه :

فانيس لنفسه [٣] :

أحمدُ الله قد نجوت برأسى   و أمنْتُ المهَوسَ المجنونا

و يُرجع شوقى سبب هذا الجنون إلى مرض الصرع فيقول على لسان قمبيز واصفاً إحدى نوبات جنونه [٤] :

قمبيز لنفسه : قد رجع الصفير لى   ياليته لم يرجع

ما بالُ عينى أظلمت   ما بالى ساقى جمدت

أين الطبيب أزدشر   (و يغشاه الصرع)

و تقول نتيتاس عنه :

يا ويح زوجى ويحه   هاج و عاوده الصرع

و فى نهاية المسرحية يشير « شوقى » إلى قول المصريين إن « أبيس » جنن قمبيز [٥] :

انظر « أنى » اسمع فُتَا   أبيسُ بالفُرس سَخَرُ

جَنَّن قمبيز و لمْ   يَزَلْ به حتى انتحر

---

(١) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٤٠٩ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٤١٠ .

(٣) المرجع السابق : ص ٤١٠ .

(٤) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٤١٨ .

(٥) المرجع السابق : (المسرحيات) : ص ٤٢٧ .

واضح أن « شوقيا » متأثر فى كل هذه الأوصاف بما جاء عند «هيرودوت» عن « قمبيز » الذى يقول عن سبب جنونه : « و لست أدرى أكان هذا الجنون بسبب ما فعله مع أبيس أو بسبب آخر ... و يقولون إنه كان مصاباً منذ ولادته بمرض مريع يسميه البعض المرض المقدس (الصرع) »(١) . فهيرودوت يصرح أن سبب الجنون الذى أصيب به « قمبيز » قد يرجع إلى قتله لأبيس أو لإصابته بمرض الصرع . و هى نفس الإشارات التى جاءت عند «شوقى » كما رأينا .

و يذكر « شوقى » بعض الأعمال المجنونة التى صدرت عن « قمبيز » أثناء تلك النوبات . مثل قيامه بقتل قواده . فقتل فانيس بلا سبب ظاهر ، فأخذ يصيح(٢) :

فانيس : آهِ من الخنجر ما أحرَّهُ   آهِ من الحِمام ما أمره

(**لقمبيز**) : قمبيز شُلت يمينك   و لا أفاق جُنونُك

و لا يتورع أيضا عن طعن قائد شيخ من قواده لمجرد أنه نصحه بالترفق بالمصريين فيقول له(٣) :

قمبيز : خذ طعنة فيها الشفا   تصرفُ عنكَ الخَرفا

القائد (و هو يتلقى الطعنة) :

يا ويحه قد عاده الجنون   بل أنا حينَ هجتُه المجنون

و يهم بقائد آخر من قواده قائلاً(٤) :

امسكوُا الكلبَ خذوُه ، أدبوُه

ما أبى العجلُ ، بل العجلُ أبوه

(١) هيرودوت (أمين سلامة) : ص ١٢٧ .

(٢) الأعمال الكاملة (المسرحيات ٩ : ص ٤٣٤ .

(٣) المسرحيات : ص ٤٣٧ .

(٤) المسرحيات : ص ٤٣٨ .

نتيجة لهذه التصرفات صار قادته ـ كما يذكر شوقى ـ فى قلق على أنفسهم [١] :

قـــائـد : و يـح لـقــمـبـيـــز

آخــــــــــــــــــــر: ويــــح لـــــه جُـــنَّـــا

الأول : مـــن يُـقـــتـلُ الـيـــومَ مــــن الـشـــقـــى مِـنَّـــا

و قد أخذ شوقى مضمون هذه الأعمال من « هيرودوت » الذى ذكر أن «قمبيز » ارتكب أثناء نوبات جنونه كثيراً من الحماقات ضد كل من الفارسيين و الحلفاء على حد سواء من ذلك مثلا : أنه دفن اثنى عشر رجلاً من أعظم نبلاء الفرس أحياءً دون ذنب اقترفوه ، و منها أنه صوب قوسه نحو حامل كأسه فأصابه فى قلبه ليثبت أن يديه ثابتتان لا ترتعشان من إدمان الخمر . ثم حاول قتل أحد النبلاء من قاد ته (كريسوس الليدى) لأنه نصحه ألا يتمادى فى النزق وحمية الطباع . و قال له ضمن ما قال : « إنك تقبض على الرجال من مواطنيك و تعدمهم بلا سبب و لا شكوى » [٢] .

واضح أن « شوقياً » تأثر بمضمون روايات « هيرودوت » إلا فيما يخص مقتل « فانيس » على يديه فقد صمت « هيرودوت » عن مصير « فانيس » و لم يحدثنا بنهايته ، بينما حرص « شوقى » أن يذكر أن نهايته كانت على يد «قمبيز» الذى جازاه خيانة بخيانة و غدراً بغدر جزاءً وفاقاً لما اقترفه فى حق مصر والمصريين ، هذه شخصية قمبيز ـ كما صورها شوقى ـ وضح فيها مدى تأثره بهيرودوت فيما نسبه إليها من صفات و أخلاق و أعمال ، و مدى تأثره أيضا بواقع إحساسه الوطنى كمصرى يتحدث عن عدو بلاده .

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٤٠ .

(٢) هيرودوت (أمين سلامة) : ص ١٢٧ ـ ١٢٩ .

فانيس :

من الشخصيات التاريخية المهمة التى كان لها دور فى وقوع الغزو الفارسى لمصر شخصية « فانيس » القائد اليونانى المرتزق الذى فرّ من فرعون و التجأ لخدمة قمبيز ، و يمهد « شوقى » لظهور « فانيس » فى مسرحيته بجعله يتراءى لنتيتاس فى أحلامها على شكل « حنشٍ » كبير يثير فزعها و ينذر بوقوع الكارثة تقول لوصيفتها (١) :

رأيتُ حنشاً ... ليس له مصرُ ثرى
لم تر منفُ مثله ... و لا الصعيدُ قد رأى
كأنه صاعقةٌ ... تحدرتْ من السما
مشى إليه كلُّ ذى ... قوسٍ و كلُّ ذى عصا

....

الوصيفة : حقـقـتـه سيدتى ؟

الملكة : ... حقّقتُه على الضُّحى

الوصيفة : فكيف كان ؟

الملكة : صورة ... تشيبُ أرؤس النّشا

كأنه فانيس عينين وجهاً و قفا

......

الوصيفة : فانيسُ من ؟

الملكة : نسْيتِه ؟ ... كيف نسيت يا تتا

الخائن الذى إلى ... فارسَ من حين أتى

يشى بمصر و أخا ... فُ أن يكون بى وشى

(١) الأعمال الكاملة : ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

كما أن « شوقياً » يجعل « فانيس » سبباً مباشراً لما حلّ بمصر من غزو ومن ويلات فقد كشف السر للملك و وشى بالملكة و كشف له أسرار مصر، وجرأه على غزوها، يتضح ذلك من الحوار التالى (١) :

الوصيفة : ما صنع الثعبانُ مولاتى
الملكة : من النهر دنا
و فحَّ ثُمَّ دَسَّ فى النهر لسانا كاللّظى
فاحتجب النيلُ و عاد يبساً ما كان ما
و احترقت مدائنُ بالضفتين و قُرى
الوصيفة : و الليثُ يا سيدتى ؟
الملكة : بعد التهيب اجترا
مشى على الوادى فهل رأيت عاصفاً جرى؟
تقتلعُ اليابس و الرَّطب و يغرى و يطا

و يوضح « شوقى » أيضاً مكانة « فانيس » فى مصر قبل أن يفر إلى فارس من خلال الحوار التالى ببين الملك و الملكة (٢) :

الملكة : لكن أُنسيتَ أن فانيس خانَ بالأمسِ عهدَ مصرا
و فرَّ منها و لستُ أدرى ماذا دعاه لأن يفرَّا
و كان فى الجيش ذا مكانٍ و قاد براً و قادَ بحرا
....
قمبيز: لقد أتانى بكلِّ سرٍّ عن مُلْك مصر لم يُخفِ سِراً

(١) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٣٩٨ .
(٢) المرجع السابق : ص ٤٠٥ .

كل هذه الصفات و الأحداث التى يحلعها شوقى على فانيس مذكورة أيضاً و بتفصيل أكثر عند « هيرودوت » إلا مسألة أنه السبب المباشر فى غزو مصر ـ كما يذكر شوقى ـ يقول هيرودوت عنه : « إن من العوامل المهمة التى سهلت القيام بحمله قمبيز على مصر وجود هذا الجندى المرتزقة « فانيس » .... و أنه لما حقد على أمازيس لسبب ما هجر خدمته و ركب سفينة و هرب بها إلى « قمبيز» و لما وصل إليه لم يخبره بأسرار « أمازيس » فحسب بل و أمده بمعلومات عن كيفية عبور الصحراء ، و أشار عليه بأن يوفد سفيراً من قبله إلى ملك العرب ، ويطلب منه أن يسلك مسلكاً ودياً حياله و هو يعبر تلك المنطقة » [١] . كما أن جميع المراجع التاريخية تعترف بدور « فانيس » [٢]فى الغزو الفارسى لمصر ، إلا أن شوقيا يضيف إلى ذلك أنه السبب المباشر فى هذا الغزو ـ كما أوضحنا ـ و قد أراد بذلك تبرئة الأميرة المصرية « نتيتاس » مما نسبه إليها « هيرودوت » و جعل هذا الإثم منوطاً بالقائد اليونانى المرتزق .

أمازيس :

من الشخصيات التاريخية التى صورها « شوقى » فى مسرحيته ، وهو فرعون مصر الذى بدأت المشكلة فى عهده و كان مسئولاً عن هذا الغزو أيضاً ـ كما يذكر هيرودوت ـ فبسبب خداعه لقمبيز و إرساله بنت سلفه « ابرياس » مكان ابنته هو ثارت المشكلة ، و ثار « قمبيز » لما اكتشف الخدعة و هدد بالغزو ونفذه فعلا .

يصرح « شوقى » فى أكثر من موضع أنه قاتل إبرياس الفرعون السابق ،والمستولى على مكانه ، تواجهه نتيتاس بهذا فى قولها [٣] :

ليس بين ابنة و ساقى أبيها غصة الموت من سلام وردٌ

(١) هيرودوت (أمين سلامة) ص ١١٤ .

(٢) راجع : مصر القديمة (سليم حسن) : جـ ١٣ ص ٢ ، مصر و الشرق الأدنى القديم : جـ٣ ص ٦٦٣ ، تاريخ ايران برس سايكس : جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٣) المسرحيات : ص ٣٥٦ .

و يواجهها فانيس محاولاً استعداءها عليه [1] :

فانيس : و لكن ألم يخلعْ أباك أمازيسُ

و يفتكُ به في ثورةٍ و قتالِ

و يجلسْ على كرسيَ مصرَ مكانه

و يخْلفْه في جاهٍ أفادَ و مالَ

نتيتاس : أجلْ قد خُلعنا مُلكناَ و تصرَّفَتْ

بنا سوقةٌ من جُندناو موالى

و شوقى فى تصويره لإمازيس لم يخرج عن مضمون روايات « هيرودوت » عنه إلا فى مسألة واحدة و هى أنه جعله يقبل ما عرضته عليه « نتيتاس » حين عرضت عليه أن يهب لها مكان ابنته و يرسلها إلى فارس لتتزوج قمبيز فيرد عليها مرحباً بالفكرة [2] :

فرعون :

هذا هو النبل نتيتاس

بخ بخ بنت أخى

أما مسألة خلعه لسلفة « إبرياس » و قتله له بعد أن قاد المصريين فى ثورتهم ضده فمذكورة أيضا عند « هيرودوت » [3] و واضح أيضا مما جاء عند «هيرودوت » عن هذا الملك أنه كان مستغلاً أو نهازاً للفرص ، و هذا ما يشير إليه شوقى أيضا من طريقة رده على « نتيتاس » بقوله : بخٍ بخٍ بنت أخى .

---

(١) المرجع السابق : ص ٤١٩ .

(٢) المسرحيات : ص ٣٥٧ .

(٣) هيرودوت يتحدث عن مصر : ٢٩٥ ـ ٣٠٩ .

بسماتيك :

فرعون مصر المنكوب ابن « آمازيس » الذى اضطر للحرب مع « قمبيز » بسبب وفاة والده المحنك و كان أقل منه خبرة بأمور الحرب ، و قد ورد ذكره عند شوقى على النحو التالى [1] .

الرسول : بسماتيكُ يا مولاى خانا

قمبيز : و كيف ؟ و ما أتى ؟ نقض الأمانا

الرسول :

قمبيز : و ما برهانكم

الرسول : كتبٌ و رسل يثيربها القُرى آنا فآنا

قمبيز : و هل وجدت دعايته سميعاً و هل حَلَّتْ من الوادى مكانا

الرسول : أجابت دعوة المخلوع مُدن و مدنٌ ما جعلن لذاك شانا

قمبيز : و أين فرعون ابسما

الرسول : فى منف يغدو و يروح

حُرٌ كما شئتَ له بين القصور و الصروح

....

قمبيز : وزرائى و دهاقنى انظرو انظروا ذلك الفرعون ابْسمَا

الوزير الأكبر : يدفعُ القوادُ و الجندُ به و هو فى القيد يَجُرُ الأدْهَمَا

قائد : كاد فرعون من استكباره أنفُهُ يدفَعُ فى أنف السما

(فرعون يقف بين يدى قمبيز فى عظمة و إباء و استكبار)

قمبيز : بسماتيك

(١) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

فرعون : قمبيز

قمبيز : أتدعو باسمه الملكا

فرعون : غداً تفقدك الفُرسُ ويخلو عرشُها منكا

ومُلْكٌ قد مضى عنّىَ سيمضى فى غدٍ عنكا

....

قمبيز : عفوتُ عنكَ أمسِ يا أبسماميا فلم تَرْعَ الوفا

فرعون : يا عجبا يا عجبا عبدٌ عن الترب عفا

قمبيز (هائجا) : خذوه بالخناجر سُلّوا لسَنانَ الفاجر

(فى عظمة وثبات) (١) :

هاتوا سيوفَ الفرس هاتوا القَنا

هاتوا المدُى هاتوا حبالَ الحديدْ

لا تحسبونى بشراً بائداً

فرعونُ حيٌّ خالدٌ لا يبيدْ

ثم يعفو قمبيز ثانية بعد أن يستشفع له أحد وزرائه ، لكن فرعون لا يرحب بهذا العفو ، ويجيب قمبيز بقوله :

فرعون : لا مرحبا أمس ولا اليومَ بعفوِ الطاغية ....

فيأمر « قمبيز » بقتله :

قمبيز : سنرى هلموا يا جنودُ أسيركم

عودوا به من حيثُ جئتم عودوا

يبدو من هذا الحوار روعة أداء « شوقى » ومراعاته للبعد التاريخى والبعد

(١) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٤٣٠ .

النفسى أيضا فى تصوير الشخصيتين ، و بعثها حية من جديد بمعتقداتها وأفكارها . فقد صور فرعون « ابسماتيك » شديد الاعتزاز بنفسه و ببلده و بمعتقداته إلى درجة التكبر و الغرور . كما أنصف « قمبيز » فصوره حليماً إلى حد كبير ـ رغم ما قيل عن جنونه السابق ـ فها هو يعفو عن فرعون المرة تلو المرة لولا أن فرعون فضل الموت على حياة الذل . و شوقى فى كل هذا لم يخرج عن مضمون ما جاء عند « هيرودوت » عن هذه الحادثة الذى يقول إن فرعون «قمبيز» بعد سقوط الحصن بعشرة أيام عزم على أن يختبر روح الملك المصرى ، فأمر بوضعه فى إحدى الضواحى مع بعض المصريين ، و عرضه للإهانة ، فأرسل ابنته فى ثياب أَمَة تحمل جرة الماء ، وقد رافقتها كثيرات من العذارى ، فلما مرت أمام آبائهن أخذن فى البكاء و الصياح ، و بكى الجميع ما عدا « ابسماتيك » فقد طأطأ رأسه إلى الأرض . ثم جاء خلفهن ابن « ابسماتيك » و معه ألفان من الشبان المصريين من مثل عمره و قد وضعوا اللجم فى أفواههم و الحبال فوق أعناقهم ، و قد ساقوهم ليقتلوا ، و أخذ الجميع فى البكاء عليهم ، أما ابسماتيك فلم تظهر عليه أى علامة للحزن ، ثم جاء أحد أصدقائه السابقين ، وقد صار متسولاً ، و كان يستجدى الجنود بطلب صدقة عندئذ أنفجر الملك المصرى يبكى بصوت مرتفع ، و نادى صديقه باسمه ، و لطم نفسه على رأسه ، و يضيف هيرودوت أن « قمبيز » أرسل رسولاً لبسماتيك يسأله عن سبب بكائه عندما رأى المتسول مع أنه لم يفعل ذلك على ابنته و لا على ابنه ، أجاب برد بليغ فقال : «كانت مصائبى أكثر من أن تخففها الدموع أما مصيبة صديقى ذاك فكانت تستحق البكاء ، فعندما يقلب الدهر لأمرئ ظهر المجن فيسقط من العظمة والرفاهية إلى التسول وهو على عتبة الشيخوخة يحق للمرء أن يبكى من أجله(١) .

يقول هيرودوت إن الرسول لما عاد بهذا الرد إلى قمبيز قال إنه على حق . وبكى جميع الفارسيين الحاضرين ، و تألم قمبيز نفسه أشد الألم ، و أصدر أمره باستثناء ابن ابسماتيك من الإعدام ، و احضار ابسماتيك » إلى حضرته . أما ابنه

(١) هيرودوت (أمين سلامة) : ص ١١٧ ـ ١١٨ .

فكان قد قُتل أول الجميع . و قد جاءوا « ابسماتيك » إلى حضرته ، و سمع له قمبيز أن يعيش معه ، و لم يعامله بخشونه بعد ذلك قط . كما لم يحرمه التدخل فى شئون البلاد . و كان بوسعه ـ كما يذكر هيرودوت ـ أن يسترد مصر ويحكمها بصفته واليا عليها . فقد جرت عادة الفرسأن يعاملوا أبناء الملوك بالتبجيل لدرجة أنهم قد يهبون مملكة الأب لابنه فى حالات التمرد الشبيهة بهذه الحالة [١] .

هكذا يُنصف « هيرودوت » « قمبيز » هذه المرة و يصوره كريم الخلق يتعامل مع أبناء الملوك فى البلاد المفتوحة بالتبجيل و الاحترام ، و ينصفه «شوقى» أيضا بأن يصوره مستعداً للعفو عن « ابسماتيك » المرة تلو المرة ، و يختلف «شوقى » مع هيرودوت ، حول مصير هذا الملك ، فهيرودوت لم يذكر شيئا عن نهاية هذا الملك بعد ذلك ، أما شوقى فقد أخبرنا بمقتله على يد « قمبيز » بعد ثورته عليه . و هكذا يختلف المؤرخون أيضا فى مصير هذا الملك بعد أن ثار على « قمبيز » فهناك من يقول إنه قتل على يد قمبيز [٢] و هناك من يرى أنه اكتفى بنفيه إلى « شوش »[٣] .

بعد أن عرضنا لأهم الأحداث و الشخصيات التاريخية و بينا الأسطورة والتاريخ فيها ، ننتقل إلى تصوير شوقى لكل أمة من الأمتين الفارسية و المصرية وحتى اليونانية فى مسرحيته و نبين موقف ذلك الطابع الذى طبع به هذه الأمم من الأسطورة و التاريخ أيضا و دور الشخصيات الثانوية فى بعث هذا الطابع فى مسرحية شوقى .

الفرس :

حرص شوقى عند تصويره للفرس أن يُراعى « اللون المحلى » و المعتقدات والتقاليد و الديانة أيضا .

(١) هيرودوت (أمين سلامة) : ص ١١٨ .

(٢) مصر الشرق الأدنى القديم : جـ ٣ ص ٦٧١ .

(٣) تاريخ ايران (حسن بيرنيا) : جـ ١ ص ٧٤ .

فمن ذلك مثلاً حرصه على إطلاق أسماء فارسية على الشخصيات الثانوية من جنود الفرس و رسلهم مثل : « قباد ـ فيروز ـ مانى ـ بهار ـ خورشيد ـ ميجا» . و كلها أسماء فارسية صميمة » .

و من **الألقاب الفارسية** التى استخدمها « شوقى » أيضا لقب : « دهقان » و « اسوار » و « مرازبة » و كلها ألقاب فارسية استخدمها فى مواضع من المسرحية مثل :

يمدح أحدهم رئيس الوفد الفارسى بقوله (١) :

رئيس الوفد لا زالت   لما يرفعُ يُختارُ
و لا ساواك دهقانٌ   و لا داناك أسوارُ

أما الدهقان عند الفرس فهو رئيس و مالك الأراضى و القرى و الـ «سوار» لقب الفارس و له قيمة اجتماعية عالية كما يذكر كريستنسن (٢) .

و فى موقع آخر يقول على لسان قمبيز لقائدة (٣) .

فخذ مرازبة الفرسِ   و امضِ ميجا لشأنكْ .

و المرازبة جمع مرزبان و هو حامى الحدود ، المتولى لأمرها . أما « ميجا » فاسم أحد القواد الذين قاموا بالقضاء على فتنة « برديا » المجوسى الكذاب مع داريوش (٤) .

كما استخدم « شوقى » بعض الكلمات الفارسية مثل قول قمبيز لجنود النوبة (٥) .

---

(١) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٣٧٦ .
(٢) إيران فى عصر الساسنيين : ص ٩٨ .
(٣) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٤١٦ .
(٤) هيرودوت (أمين سلامة) : ص ١٣٨ .
(٥) الأعمال الكاملة : ص ٣٨٠ .

زه يـــا جـــنـــود زِه يـــا أســـود

و « زِه » كلمة فارسية بمعنى : أحسنت ، بخ بخ[1] .

العادات والتقاليد الفارسية :

و من العادات الفارسية التى أشار إليها شوقى عادتهم فيما يخص الموتى وعدم دفنهم ، و تركهم للجوارح ، تقول « نتيتاس » مستنكرة هذا الفعل منهم[2] .

هنـا الميتُ تُنفض منه الأكف و تنْهى الشرائعُ عن دفنه
و يُطرحُ ناحية فى القضاءِ على سَهْلِه أو على حزنِه
يروحُ الحداءُ على رأسه و تغدو الذئابُ على بطنه

يبدو أن « شوقيا» قد أشار إلى هذه العادة بتأثير مما قرأه عند « هيرودوت » أيضا الدى يقول : « هناك عادة أخرى يتكلمون عنها بتحفظ و لا يذكرونها جهراً ، و تختص بموتاهم ، يقولون إن جثة الفارسى الذكر لا تدفن إطلاقا إلا بعد أن يمزقها كلب أو طائر جارح » و يعلق على ذلك بقوله : « و لا شك أن هذه العادة معروفة لدى الماجى (الكهنة الميدين) إذ يمارسونها علناً دون ما اخفاء[3] . و هذه العادة من العادات المرتبطة بالعقيدة الزردشتية الذين يعتقدون أن النار و التراب و الأرض و الماء من العناصر المقدسة التى لا يصح تلويثها ، بل ويعدون تلويثها جناية كبرى لهذا يحرمون حرقها فى الهواء ، و يعرضون موتاهم فى أبراج الصمت للطيور الجارحة [4] .

يبدو أن هذه العادة التى أشار إليها « شوقى » متأثراً بما ذكره « هيرودوت» لم تكن معروفة عند ملوك الهخامنشيين فى ذلك الوقت إذ يذكر حسن بيرنيا أنه

(١) برهان قاطع : جـ ٢ مادة زه .
(٢) الأعمال الكاملة : ص ٣٩٤ .
(٣) هيرودوت (أمين سلامة) : ص ٦٢ .
(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة (ترجمة محمد بدران ، جـ ٢ ص ٤٣٧ طـ القاهرة .

وجدت مقابر لملوك الهخامنشيينّ ، و يستنتج من هذا أن ديانة ملوك الهخامنشيين كانت مختلفة عن الديانة الزردشتية [١] ، و هذا ما يؤكده كريستنسن [٢] أيضا عند حديثه عن الديانة الزردشتية و الديانة المزدية وسوف نبرزه بالتفصيل عند الحديث عن الديانة أو المعتقدات الفارسية فى الصفحات القادمة .

من **العادات الفارسية** الأخرى التى أشار إليها شوقى عادة شق الثياب حزناً على الميت يقول شوقى [٣] .

يا فرس يا قوم كسرى النازلين السحابا
كسرى مضى للنار شُقوا عليه الثيابا
وحطموا فى ثراه سيوفكم و الحرابا

و يقول مصوراً هذه العادة أيضا على لسان أحد المصريين[٤] :

انظر أخى الفُرسَ و ما نابَهُمْ شَقوُ على المجنونِ أثوابَهْم

و عادة شق الثياب من علامات حزن الفرس على ملوكهم و قادتهم ، كما جاء فى الشاهنامة [٥] أن « كيكاوس » عندما سمع نبأ مقتل ابنه سياوش:

ـ مزق ثيابه و خمش وجهه ، و بدلاً من العرش افترش التراب .

أمارستم فإنه عندما سمع نفس الخبر ، جلس فى مأتم أسبوعا ثم :

ـ عندما اقترب من ايران ، مزق الثياب على جسده .

و هكذا نعرف أن عادة شق الثياب حزنا على الموتى من العادات الفارسية .

---

(١) تاريخ ايران (حسن بيرنيا) : جـ ١ ص ١٢٢ .
(٢) ايران فى عصر الساسانيين : ص ٢٢ .
(٣) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٤٤٤ .
(٤) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٤٤٤ .
(٥) شاهنامه فردوس : جـ ٣ ص ٦٦٤ . الأبيات بالفارسية :

همه جامه بدريد ورخ رابكند بخاك اندر آمد زتخت بلند
جو نَزديكَى شهر ايران رسيد همه جامة بلهوى بردريد

المعتقـدات :

أما عن **العقائد الفارسية** ، فقد حرص شوقى على الإشارة إلى تقديس النار عند الفرس ، يقول على لسان قمبيز [(١)] .

أنـا قـمـبـيـز بـنُ كـسـرى   أنـا جـبـار الـوجـود
و أنـا الـنـارُ أصـولـى   و بـنـو الـنـار جـدودى

و يقول على لسانه أيضا فى موضع آخر [(٢)] .

يـا نـارُ كـونـى لـىِ   أور مـازدُ كُـنْ عـونـى

فهو يستعين بالنار و باهورامزدا الإله الأكبر عند الفرس و يقول على لسان أحد الجنود :

الـنـارُ إلـهٌ لـنـا

و تقول نتيتاس مخاطبة الوفد الفارسى [(٣)] :

أنـا إن عـشـتُ شـدتُ   لـلـنـار بـيـتـاً مـطـنـبـا
فـى عـيـون الـوهـاد مـن   فـرس أو عـلـى الـرُّبـا
كـلـمـا لاح ضـوؤه   هـزَّ الأرضُ مِـنـكـبـا

و ما ذكره شوقى هنا يوافق المعتقدات فى الديانة الزردشتية ، ففيها كانوا ينشئون المذابح المقدسة على قمم الجبال و فى القصور أو فى قلب المدن ، و كانوا يوقدون النار فوقها تكريما لأهوارا ـ مزد ا أو لغيره من صغار الآلهة ، و كانوا يتخذون النار نفسها إلهاً يعبدونه ، و يسمونها « أنار » و يعتقدون أنها ابن إله النور، و كانت الشمس نار السموات الخالدة تعبد بوصفها أقصى ما يتمثل منها اهورامزد أو مترا إله الشمس و أكبر الآلهة [(٤)] .

(١) الأعمال الكاملة : ص ٤١٧ .

(٢) نفس المرجع و الصفحة .

(٣) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٣٦٩ .

(٤) قصة الحضارة : جـ ٢ ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ .

هذه هى أهم مبادئ العقيدة الزردشتية التى أشار إليها شوقى و أعتقد أنها عقيدة الفرس فى هذا العصر ، و يبدو أنه تأثر فى هذا الرأى بما جاء عند هيرودوت [١] أيضا ، لكن كثيراً من الدارسين لتاريخ إيران فى العصر الهخامنشى يؤكدون أن الديانة الزردشتية لم تكن قد انتشرت فى الغرب بعد فى هذا العصر وأنها كانت قاصرة على إقليم ميديا الذى ظهر فيه « زرادشت » و إليه ينسب الكهنة الميديون . و يقول بهذا كريستنسن الذى يوضح أنه فى الوقت الذى وصف فيه هيرودوت عقائد الفرس و الميدين ونحلهم لم يكن اصطلاح زردشت قد تغلغل فى الغرب بعد [٢] و يقول بهذا أيضا حسن بيرنيا الذى يستنبط أن ديانة ملوك الهخامنشيين كانت تختلف عن الديانة الزردشتية ـ كما ذكرنا ـ و يقول د. عبد النعيم حسنين إن الدين الزردشتى أصبح المصدر الروحى للأمة الفارسية منذ عهد دارا الأول [٣] أى بعد العصر الذى نتحدث عنه هنا .

معنى هذا أن الديانة التى كانت شائعة لدى الفرس فى القرن السادس قبل الميلاد كانت الديانة المزدية التى دان بها الفرس منذ القدم ، و كانوا يعبدون الحيوانات و الأجداد و الأرض و الشمس ، و دينهم هذا كان يتفق مع دين الهندوس فى كثير من عناصره و آلهته و كان « ميثرا » إله الشمس أكبر الألهة عندهم .و « اناهيتا » إله الأرض و الخصب و النماء و « هوما » الثور المقدس الذى زعموا أنه مات ثم بعث « حياً » و وهب الجنس البشرى شراباً ليسبغ عليه نعمة الخلود ، و كان الإيرانيون يعبدونه بشرب عصير الهوما المسكر ، و هذه المعتقدات مهدت للظهور الديانة الزرادشتية التى بدأت فى الظهور سنة٦٥٠ ق.م[٤] ، ويضيف كريستنسن أن الزردشتية ظلت عدة قرون كأنها غريبة فى وسط المزدية الإير انية القديمة [٥] .

على هذا لم يكن غريباً ـ فيما أرى ـ أن تسجل صور قمبيز على جدران المعابد المصرية و هو راكع أمام العجل المقدس ، كما أهدى نه التابوت الذى دفن فيه كما تذكر النقوش المصرية .

(١) هيرودوت : ص ٥٦ .
(٢) إيران فى عصر الساسنين : ص ٢٢ .
(٣) الإيرانيون القدماء : ص ٥٠ .
(٤) قصة الحضارة : جـ ٢ ص ٤٣٣ .
(٥) إيران فى عصر الساسنيين : ص ٢٢ .

المصريـون:

فإذا أمعنا النظر عند «شوقى» لنرى كيف صور المصريين ، بما لهم من عادات وتقاليد ومعتقدات وحضارة وجيش نجده يسوق هذه الأوصاف فى الغالب على ألسنة الفرس من أعضاء فى الوفد الفارسى الذى أرسله قمبيز لخطبة الأميرة أو على ألسنة جنود الفرس بعد غزو مصر، لتصبح شهادة من العدو سواءٍ أكانت للمصريين فى الغالب أوعليهم فهاهم أعضاء الوفد الفارسى يتحدثون عن المصريين بكل احترام، معجبين بحضارتهم وصناعاتهم وفنهم[1]:

رئيس الوفد الفارسى:

لقـد جُلْتم فى بلدةِ العـجل جوْلة: ومــابَرَحَتْ بالزائرين تُجــابُ
فكيف وجـدتم قـوم فـرعـون؟

قباد: **أمة** إذا هى قِيستْ بالشعـوبِ عُجابُ
لهمْ مثلُ ماللأسْدِ بالجنسِ عِزَّةٌ هم ضوارى ألفلا عندَ الأسود كلابُ
الشهـب والناسُ الجنادلُ والحـصى وتبـرُ الثـرَّىَ والعـالمون تـراب
وكلُّ الذى صــاغـوا من الفنِّ آية وكلُّ الذى قــالوا هُدى وصُوابُ

ويصورهم فارسى آخر بقوله[2]:

وجدتُ وجوهاً عليهـــا النعيمُ ودنيـا على جـانبـيـهـا الرْغـدْ
وســوقــاً تفض وِسـوقــاً تقــام وخلقــاً يروح وخلقــاً يفــدْ
وشعـباً علـى خطة فـى الحياةِ ونظمٍ به فى الشعـوب انفـرد
ولم أرَ مـثــلَ صناعــاتِهـــم ســمواً وبعــداً على المنتَقَــدْ

وشوقى لم يكن مبالغاٍ فيما ذكره عن مصر، فمنذ باكورة القرن

السادس عشر قبل الميلاد وحتى بداية القرن الحادى عشر قبل الميلاد سيطرت مصر بوجه عام ـ كما يذكر د.سليم حسن ـ على كل العالم

(١)الأعمال الكاملة (المسرحيات) ص٣٦١
(٢) المرجع السابق ص ٣٦٢

المتمدين ونشرت علومها وحضارتها فى معظم الأقطار التى كانت تدين لسلطانها أو تتصل بها[1]. كما تمتعت مصر برخاء عظيم بعد النهضة التى عاصروها ـ كما يذكر د. رمضان السيد ـ وكانوا واثقين من تفوقهم فى جميع المجالات[2].

حالة الجيش المصرى:

أما هذه النهضة، وذلك التقدم فكان بلا حائط يستند عليه ولا جيش يحميه، يقول أحد رسل الوفد الفارسى رداً على سؤال زميل له عن الجيش المصرى[3].

أخى ما رأيت بمصر الجنود ولم يأخذِ العينَ منهم أحدَ
سوى فتيةٍ من جنودالقصور وضباطها فى الثياب الجدد
يروحون فى الخوذِ اللامعات ويغدون فى الذهب المتقد

فيجيبه زميله:

إذن هو مُلكٌ بلا حائط رقيق الأواسى ضعيف العمَدَ
خلا الوكر من صرخات العُقاب ونامت عن الغاب عين الأسد

أما قائد الجيش الفارسى«ميجا» فيشرح حال الجيش المصرى الذى يتكون من جنود المرتزقة ، وأسباب ضعفه بقوله[4]:

أصبح الجيش كالقطيع اختلفت فيه الجلود
نشرَ اليونان فى رايته وتراغى الزنجُ واندسَّ العبيدُ
وغدا كلُّ طريد لم يجدْ سببَ الرزقِ أتى الجيشَ يصيدُ

الملكة: والخيلُ يا ميجا هناك؟ فى جيش مصر قليلةُ الفرسان
ميجا: قليلةٌ قتلَ النعيمُ حميَّة الفتيانِ
الملكة: أسفاً على الفتيان أين حماسهُم قتل النعيمُ حمِيَة الفتيانِ.

(١) مصر القديمة (سليم حسن): حـ ١٣ص أ.
(٢) تاريخ مصر القديمة: حـ٢ص٢٨٧
(٣) الأعمال الكاملة(المسرحيات): ص٣٦٢ ـ ٣٦٣
(٤) المرجع السابق: ص٤١٦

ويقول ميجا أيضا واضعاً يده الخبيرة على موضع الداء مبيناً سبب ضعف الجيش المصرى[1]:

إن وردَ السلـــم مـــن كثرته   نسيت أظفارهـا فيه الأسود

واختلاف الجندِ فيما بينهم   أخذ البأس وإن أبقى الحديدَ

وقد انتقد العقاد[2] شوقياً بشدة لما ذكره عن حال الجيش المصرىّ إبان هذا الغزو، بينما نرى أن ما ذكره «شوقى» على ألسنة الفرس أو «نتيتاس» هو من الحقائق التاريخية المسجلة عن هذا العصر، والتى تقول إن عوامل الوهن والضعف والدعة أخذت تدب فى أوصال الشعب المصرى عندما جنح أبناؤه إلى حياة الترف والرفاهية، ومن ثم أخذت بوادر الاضطرابات والفتن السياسية والدينية تدب فى أرجاء الامبراطورية مما أدى إلى انحلالها وتفكك أوصالها أما عن استعمال الجنود المرتزقة فى جيشها وكثرتهم أيضا فيقول د.سليم حسن إنه لم يسع الفراعنة أمام تلك الحالة المنذرة بالخطر إلا استعمال الجنود المرتزقة لقمع الفتن، وحماية البيت المالك نفسه، وكان من جراء هذا أن وطد الجنود المرتزقة أقدامهم فى مصر[3]، ويؤكد د.محمد بيومى مهران هذا الرأى بقوله إنه مازاد الطين بلة أن جيش مصر كان يعتمد فى غالبيته على المرتزقة والأغارقة[4].

أما أهلها فلا يرحبون بالغرباء، بل ويصل الأمر إلى الضيق بالغرباء لكنهم لا يترجمون هذا إلى أفعال، فلا يقصرون فى واجب الضيافة[5]:

تأمل (قبادُ) القوم وانظر وجوههم   وجوه عليها للهموم سحابُ

ألستَ تراهـــم كلّما نقلوا الخُطى   لهم جيئة من ريبة وذهـاب

قباد: ولكنهم ما قصّروا عن ضيافة   طعـام ونزل طيب وشـرابُ

(١)الأعمال الكاملة(المسرحيات): ص٤١٦
(٢) رواية قمبيز فى الميزان: ص ٤١٩
(٣)مصر القديمة: حـ١٣ ص أ.د
(٤)مصر والشرق الأدنى القديم: حـ٣ ص٦٦٤
(٥)الأعمال الكاملة: ص٣٦١

وها هو آخر يتساءل عن نفس الأمر، فيقول لزميله وكأنما هو يجيب:

كيـف وجـدت البلـد

وكيف احتقارهُمُ للغريبِ إذا قام فـى شأنه أو قعد

وكيف عيونُهـمُ حولـه إذا حملته احتمال الرّمد

ويبدو متأثراً بهذا الرأى أيضا من تاريخ هيرودوت الذى يقول عنه د.أحمد بدوى إن الناظر إلى تاريخ مصر أيام هيرودوت لن يعدم الإحساس البين الصريح بما كانت تنطوى عليه صدور المصريين من سخط ومرارة وما تفيض به قلوبهم من كره الغرباء والضيق بهم (١)

العادات والتقاليد المصرية :

من العادات المصرية التى أشار إليها شوقى والتى توضح أخلاق المصريين الفاضلة تلك العادة التى يذكرها على لسان أحد الفرس أيضاً فى قوله(٢) :

ولا مثل أخلاقهـم مبلغاً من الفضل أو من خلال الرشدِ

إذا مرّ يافعهم فى الطريق بشيـخ تنحـى له أو سجـدْ

هذه العادة من العادات المصرية التى أعجب بها«هيرودوت» وذكرها عن المصريين يقول عند ما يرى الصغار الكبار فى الطريق يفسحون لهم الطريق، وينتحون جانباً، وإذا أقبل شبح كبير إلى حيث يوجد الصغار نهض هؤلاء الصغار من مجلسهم واقفين(٣).

ومن العادات المصرية التى يشير إليها«شوقى» عادة الطواف بمومياء مقلدة على الضيوف فى الولائم لتذكيرهم بالموت والفناء، يشرح شوقى هذه العادة فى المشهد التالى:

---

(١) هيرودت يتحدث عن مصر: ص٢٨

(٢) الأعمال الكاملة(المسرحيات) : ص٣٦٢

(٣) هيرودت (أمين سلامة) : ص٨٨

يدخل وصيف من وصفاء القصر وبيده مومياء من الذهب يعرضها على الضيفانٍ ووراءه رجل يقول ويكرر[1]:

المُوميـــا طوفــوا بهـــا وأتـعْظــوا بخطبهْــــا
لا تســألوا مــا هى مَنْ نكرها طــولُ الزمــنْ
هيَّـــا كلوا هيَّا اشـــربوا هيَّا اسـمعــوا هيَّا اطربوا
تمتَّعــوا بالفـــانيــة قبلَ الحيـــاة الثـانيةْ
خـذوِ المدُامَ الصـافيـة قبـــلَ إنكســارَ الأنيـة

فارسى لآخر:

خورشيدُ هـذا هو البلاءُ كــــلُّ أحاديثهـــم فنـــاء
روايةُ الموت حيث راحوا وقصةُ المــوتِ حيث جـاْءوا

واضح تأثر شوقى بما جاء عند «هيرودوت» بخصوص هذا التقليد الذى يقول عنه هيرودوت: إنه بعد انتهاء الولائم فى الحفلات الاجتماعية لطبقة الأغنياء ، يمر خادم على الزائرين وهو يحمل نعشابه تمثال خشبى منحوت ومطلى بالألوان ليحكى جثة طبيعية لشخص ميت ، ويقول الخادم وهو يقدمه لكل ضيف بدوره: تأمل فى هذا التمثال ، واشرب وكن مرحاً فعندما تموت ستكون على هذه الصورة [2].

ومن العادات الدينية لدى المصريين القدماء حرصهم على تحنيط جثث الموتى للحفاظ عليها من البلى والدود لاعتقادهم فى البعث بعد الموت ، وقد أشار «شوقى» إلى هذه العادة على لسان«قمبيز» عندما هدد فرعون«بسماتيك» بأن يدفنته فى قبره بغير تحنيط[3]: ـ

قمبيز: وتُدسُّ فى الأجداثِ غيرَ محيَّط يلْهو بهيْكلك البِلى والدوْدُ

(١)الأعمال الكاملة: ص٣٧٦
(٢)هيرودوت (أمين سلامة ٩: ص٨٨
(٣)الأعمال الكاملة: ص٤٣٢

أما«هيرودوت» فيشرح ميل المصريين إلى تحنيط جثث وموتاهم يقول إنه مما يتنا فى مع التقاليد المصرية تقديم جثة شخص لحيوان كى يلتهمها والحقيقة أن السبب فى أنهم يحنطون جثث موتاهم ليمنعوا الديدان من أن تأكلها فى القبر(١):

- **أما المعبودات المصرية** التى أشار إليها«شوقى» فقد أشار إلى الإله«أمون» إله الشمس والإله «رع» أيضا فى قول نتيتاس تستنجد بهما لنجدة زوجها(٢):

نتيتاس: ادركـــه يا أمـــــــون رع

كما تحدث أيضا عن تقديسهم للعجل أبيس: يقول على لسان واحد من

الفرس: هم يعبدون العجل يا أزِ دشر(٣)

ويقول أحد وزراء الفرس عنه لقبيز(٤):

ترى العجل فى حجرات الجلالِ وقـد نغمـوه وقـــد رَفهـوا

الثانى: وليس إلهـــاً ولكنمـــــا على الشعب كهانة موّهـوا

وشوقى لـم يخالف الحقيقة التاريخية عندما تحدث عن وجود هذه الآلهة جميعاً فى مصر فى وقت واحد، والدليل على ذلك أن المؤرخين يذكرون أن قمبيز تلقب بألقاب مصرية منها لقب «مسوت رع» أى ابن رع.. كما ذكرنا من قبل - وهـذا يدل على عبادتهم لرع. أما عن عبادتهم لأمون أيضاً فيتضح مما يرويه «هيـرودوت من أن «قمبيز» أرسل جيشاً للانتقام من كهنة معبد أمـون فى سيوة بسبب نبوءتهم التى تنبأوا له فيها يفشل حملته،

(١)هيرودوت: ص١١٩
(٢)الأعمال الكاملة: ص٤١٨
(٣)المرجع السابق: ص٤٣٨
(٤)نفس المرجع: ص٤٢٨

ويذكـر أيضا أن مصير هذه الحملة أن جميع جنود قمبيز قد فنوا تحت رمال الصحراء[1]:

أما تقديسهم للعجل «أبيس» فى هذا العصر أيضا فهى مسأله ثابتة تاريخياً، وقد سبق أن تحدثنا عن قضية مصرعه على يد قمبيز والاختلاف حولها. أما عن صفات هذا العجل فيحدثنا هيرودوت أنه عجل تلده بقرة يقولون إن ناراً تنزل عليها من السماء فتحل فى العجل «أبيس» ويحمل العجل المسمى بهذا الاسم هذه العلامات: يكون أسود اللون ذا بقعة بيضاء مربعة الشكل فى وسط جبهته أو على ظهره صوره نسر على لسانه خنفساء[2].

ومن الفنون التى أشار إليها شوقى إجادة المصريين لفن السحرو التنجيم، وهما من الأمور التى برع فيها المصرى القديم. **وهكذا يتضح** حرص«شوقى» على تصوير البيئتين المصرية والفارسية بمعتقداتهما وعاداتهما ودياناتهما وشخصيتهما» وفقاً لما هو معروف عنهما فى التاريخ إلى حدٍ كبير ، وإن خالف ما يقوله التاريخ فى قليل من الأشياء الخاصة بالديانة الفارسية مثلاً فيرجع ذلك لأنه لاعتماده على تاريخ هيرودوت الذى لم يكن دقيقاً فى كلامه عن هذه الديانة.

كما التزم شوقى بالتاريخ بالنسبة لتاريخ وقوع هذه الأحداث فذكر أن زمن هذه الأحداث هو القرن السادس قبل الميلاد وهو حقيقة تاريخية، فغزو قمبيز لمصر وقع سـنة٥٢٥ ق.م كما حدد الأماكن التاريخية أنها:

سوس عاصمة فارس، ممفيس عاصمة مصر. وصا الحجر مقر البلاط. وهى كلها ذات المسميات والعواصم فى ذلك الوقت.

---

(١) هيرودوت: ص١٢٣ ـ ١٢٤

(٢) هيرودوت(أمين سلامة): ص١٢٤

وواضح أيضا أن مصدر شوقى الأساسى الذى استقى منه أغلب الأحداث والمعلومات التى ذكرها هو تاريخ «هيرودوت» ولا عجب فى ذلك فتاريخ «هيرودوت» هو مصدر المعلومات الرئيسى عن هذه الفترة ، والذى يعتمد عليه أغلب المؤرخين والدارسين لهذا العصر ولهذه الأحداث سواء أكانوا معارضين لها وناقدين أو مستقين منها مقرين بها.

وإن كان «شوقى» وهو يعتمد على «هيرودوت» يُحسب له أنه لم يعتمد عليه اعتماد من يستعبده النص[1]. وإنما اعتماد المتحرر الذى يُغير فيما لا يناسبه منه مثل تغييره فى الحدث الرئيسى الذى بنى عليه مسرحيته والخاص بنتيتاس وعرضها على أمازيس أن يهب لها مكان ابنته، ويوافق على تزويجها من «قمبيز» كما لقبها بلقب ملكة الفرس فى كثير من الأحيان، وهو مالم يرد ذكره فى كتب التواريخ ولا عند هيرودوت، وكان غرضه من ذلك إعلاء شأنها، كما هو واضح من المسرحية كلها.

وكان يلجأ إلى رأى المؤرخين الأخرين فيأخذ به فى بعض التغييرات التى يجُريها على مسرحيته مثل أخذه بالرأى القائل بانتحار «قمبيز» بدلاً من رأى «هيرودوت» الذى يذكر فيه أنه قتل نفسه بطريق الخطأ. كما عمل «شوقى» أيضاً على استبعاد كثير من الأحداث والشخصيات لكى يحقق للعمل الفنى الدرامى وحدته.

---

(١) هاجم العقاد «شوقيا» بشدة فى كتابه رواية قمبيز فى الميزان، بسبب بعض التغييرات التى أجراها فى مسرحيته، مدعياً أن «شوقيا» أفسد التاريخ بمثل هذه التغييرات، متجاهلاً أن دوره كمؤلف مسرحى يختلف عن دور المؤرخ، الذى ينبغى عليه أن يرتبط بالتاريخ لا يحيد عنه، أما المؤلف المسرحى أو الشاعر فلا ينبغى لهما هذا الالتزام التام إلا بقدر، وله حرية التغيير والإضافة بالقدر الذى يوافق ميوله وغايته من عمله.

الباب الثالث

الدراسة النقدية المقارنة

الفصـل الأول : بين قمبيز وكيكاوس

الفصل الثانى : بين الفردوسى وشوقى

الفصل الأول

بين قمبيز وكيكاوس

بين قمبيز « كمبوچيا » وكيكاوس

تمهيد :

كان من المفترض أن أكتب هذا الفصل فى مستهل البحث ، لأبين أوجه التشابه بين الشخصتين التى رجحت لدينا الاعتقاد بأنهما شخص واحد هو عند مؤرخى اليوناك وأهل الغرب قمبيز أو « كمبوچيا » كما هو اسمه بالفارسية ، وهو فى التاريخ الفارسى الأسطورى« كيكاوس » ومعربها « قابوس » ، لكننى آثرت أن أكتب هذه المقارنة حين انتهائى من عرض قصة «قمبيز» كما جاءت عند « هيرودوت » وعند غيره من المصادر التاريخية وكذا عند شوقى الذى اعتمد كثيراً على « هيرودوت » ـ كما رأينا ، وانتهائى أيضا من عرض سيرة «كيكاوس» وأهم أعماله كما جاءت عند الفردوسى والذى اعتمد فيها على مصادر استمدت معلوماتها من مصادر دينية قديمة مثل الأبستاق والبندهشن والدينكرت ، واختلطت فيها تلك الأساطير الدينية بالخرافات الشعبية وبعض الحقائق التاريخية .

فإذا نظرنا لـ « قمبيز » وما جاء عنه فى المصادر التاريخية التى تأثر بها شوقى فإننا نجد أن « قمبيز » هو شخصية تاريخية عاش فى القرن السادس قبل الميلاد توفى سنة ٥٢١ ق . م . وهو ثانى ملوك الإكمينيين أو الهخامنشيين ، وأن أغلب المعلومات التى تُذكر عنه وعن أسرته تُستمد من المصادر اليونانية وعلى رأسها تاريخ « هيرودوت » والذى شهد له الكثيرون بصحة أقواله ، وصدقت عليها النقوش المسمارية ، وقد اعتمد عليه وعلى أقواله كثير من المؤرخين المعاصرين ـ كما رأينا ـ فى الباب الثانى .

أما « كيكاوس » فهو ثانى ملوك الكيانيين وهى أسرة تطغى الأسطورة على سيرة ملوكها بنسب متفاوتة وتقل الأسطورة وتزداد الحقائق التاريخية كلما اقتربنا من نهاية هذه الأسرة .

وقد خلط بعض المؤرخين بين سيرة ملوك الكيانيين وملوك الهخامنشيين ،

ويرجع هذا الخلط إلى التشابه الواقع بين سيرة بعض الملوك هنا وهناك ، وقد حدث الخلط بينهما قديماً وحديثاً ، فقديماً كان البيرونى [(١)] مثلاً يرى أن «كورش» مؤسس الدولة الهخامنشية (٥٥٩ ـ ٣٣٠ ق . م) هو كيخسرو ثالث ملوك الكيانيين والذى تولى الملك خلفا لجده كيكاوس . وفى مروج الذهب أن « كورش » هو والى العراق من قبل بهمن [(٢)] . وفيه أيضاً أن دارا بن دارا هو « داريوش » [(٣)] وقد جاء عند الطبرى أن « كيرش » (كورش) و «داريوش» و « اخشويرش » وغيرهم هم ملوك العراق وبابل من قبل « بهمن » المقيم ببلخ ، ومن قبل « خمانى » من بعد « بهمن » ومن قبلهم كان هناك بختنصر من قبل « لهراسب » وابنه « بشتاسب » [(٤)] وقد قال المسعودى أيضا فى مروج الذهب بمثل هذا الرأى فقال بعد أن تحدث عن ملوك بابل من الكلدانيين: « وذهبت طائفة من الناس أن هؤلاء الملوك كانوا من النبط وغيرهم من الأمم ، وأنه كان يرأس بعضهم غيره من ملوك الفرس ممن كان مقيماً ببلخ» [(٥)] .

وفى العصر الحديث أيضا اختلف الباحثون فى أمر ملوك الكيانيين والهخامنشيين ، فذهب بعضهم مثل د. ذبيح الله صفا وعباس يور شوشترى إلى أنهما اسرتان ملكيتان واحدة فى مشرق إيران وكان سلاطينها يتلقبون بلقب «كى» ويعنى « ملك » وهم الكيانيون . والثانية فى المغرب وكان ملوكها يتلقبون بلقب « خشاتيثّيه » أو « خشايثيه » « خشايثيانم » الذى أُبدل فيما بعد إلى «شاه» و« اشاهنشاه » ويضيف إلى هذا أيضا أن الأسرة التى كانت فى مشرق إيران كانت لها الرئاسة الروحية على تلك التى كانت فى المغرب [(٦)] .

---

(١) الآثار الباقية : ص ١١١ .

(٢) مروج الذهب: حـ ١ ص ٢٣١ .

(٣) مروجالذهب : حـ ١ ص ٢٣٢ .

(٤) تاريخ الطبرى : حـ ١ ص ٥٤٣ .

(٥) مروج الذهب : حـ ١ ص ٢١٩ .

(٦) راجع حماسة سرانى : ص ٤٥٢ ؛ كارنامهء ايرانيان : حـ ٢ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

وأرى أن الذى حدا بهؤلاء المؤرخين إلى الاعتقاد بأن هناك أسرتين واحدة فى المشرق وأخرى فى المغرب هو هذا الخلط الذى وجد فى سيرة الكيانيين مع سيرة ملوك الهخامنشيين ، كما يرجع إلى أن معظم المؤرخين المسلمين عندما أردوا أن يكتبوا عن تاريخ الفرس راجعوا كتب التواريخ الفارسية القديمة ، فوجدوا تاريخ الفرس فيها مختلفا عما جاء عند المؤرخين اليونانين وعما جاء فى التوراة ، لكنهم فضلوا إثبات ما جاء عند الفرس لاعتقادهم فى صحة ما يرويه الفرس عن تاريخهم ، يتضح هذا من قول المسعودى معلقاً على ماجاء عن كورش فيقول «وفى وجه آخر من الروايات أنه كان ملكاً برأسه لا من قبل بهمن» ويقول فى التنبيه والإشراف إنه ذكر فى كتبه ما ذكره عن تاريخ الفرس وملوكها معتمداً على كتب الفرس دون غيرهم من الإمم من إسرائيليين ويونانيين وروم ، لأن الفرس فى رأيه أحق أن يؤخذ عنها [1] . وقد لاحظ البيرونى أيضا نفس الملاحظة من اختلاف ما يرويه الفرس عن ملوكهم عما جاء فى المصادر الأخرى وبعد أن اثبتوا تاريخ الفرس كما جاء فى المصادر الفارسية وبنفس التقسيم الذى جاء فى الشاهنامة من ملوك پيشداديين وكيانيين وساسانيين ، لاحظوا التشابه فى سيرة بعض الملوك الكيانيين وما جاء عند اليونانيين وفى التوراة من سيرة الملوك الهخامنشيين « الإكمينيين » فخلطوا بين بعض الملوك وبعض ، أو توقعوا أن تكون هناك أسرتان واحدة فى بلخ والأخرى فى بابل ، وأن التى فى بلخ لها الرئاسة الروحية على الأسرة الأخرى . وهذا هو الرأى الذى اعتنقه ذبيح الله صفاد وعباس پور والذى عرضنا له منذ قليل .

وهناك كثير من المستشرقين والباحثين المعاصرين يرون أن الأسرة الكيانية هى أسرة نصف أسطورية بمعنى أن هناك بعض الحقائق التاريخيه التى ترد فى سيرة هؤلاء الملوك ـ ومن بين الذين حاولوا التوحيد بين الكيانيين والهخامنشيين المستشرق « هرتل » فى كتابه «الهخامنشيين» و « الكيانيين » الذى صرح فيه بأن الملوك المتأخرين من الكيانيين هم فى الحقيقة عبارة عن ملوك هخامنشيين

---

(١) التنبيه والإشراف : ص ١٠٥ .

وقد تابعه فى هذا الرأى أيضاً المستشرق هرتسفلد [١] . وهناك المستشرق إدوارد براون الذى رأى أن الملك الكيانى بهمن ما هو إلا الملك الهخامنشى أردشير دراز دست (طويل الذراع) (ارتخشترا) [٢] . وقد حاول نولدكه أيضاً أن يوجد علاقة بين ملوك الكيانيين والإكمينيين (الهخامنشيين) فقارن بين « كورش » و « كيخسرو » وبين «استواكس» ملك الميديين وأفراسياب ملك الترك الأسطورى ، وبين «هارباكوس» وزير « استواكس » و « پيران » وزير « أفراسياب » وخلص من كل هذه المقارنات إلى وجود هذه العلاقة [٣] .

وهناك أيضاً سير وليم جونز الذى حاول أن يوحد بين الكيانيين والإكمينيين (الهخامنشيين) ، ومؤرخو الترك والفرس فى العصر الحديث ـ كما يذكر د. عبد الوهاب عزام ـ يسمون كورش وكيخسرو ، وقمبيز وكيكاوس [٤] ، وأعتقد أنا فى صحة هذه المقارنات إلى حد كبير ، ولعل طريقة جمع الفرس القدامى لتاريخهم. التى خلطوا فيها بين ماتوارثوه عن أسلافهم الهنود من آساطير آرية اتفقا فيها على أسماء الآلهة وقوى الخير والشر ووقائع أحداثهم ، وما تناقلوه من حكايات وقصص خرافية وشعبية ، ثم إنضاف إلى هذا المزيج ماوعوه من ذكريات عن ملوكهم التاريخيين من هخامنشيين وإشكانيين ، وماوعوه عن أبطالهم القوميين ، وسجلوا هذا كله فى كتبهم القديمة المسماة بـ « خداى نامه » أو سير الملوك بعد أن غلف بثوب التاريخ ، وأعطى شكل وقائعه وأحداثه ، وأنقلب فيه الآلهة وقوى الخير والشر إلى ملوك وأبطال وأضيف إلى كل شخصية من الشخصيات صفات وأعمال تناسب ما كان لها من رمز للخير أو الشر فى الأساطير الدينية ، فإذا أخذنا « كيكا،س » مثلاً لنا لرأينا أن الأساطير الدينية التى رويت عنه فى الأفستا وفى الفيدا الهندية تربط بينه وبين الجن والشياطين ،

---

(١) نقلا عن حماسه سرائى : ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

(٢) تاريخ الآدب فى إيران (الترجمة العربية) : حـ ١ ص ١٩٧ .

(٣) حماسة ملى : ص ٣ .

(٤) مقدمة الشاهنامة العربية : حـ ١ ص ٧٣ .

وتصفه أحياناً باللجاجة وسوء الخلق ، وعندما ألبس ثوب الملوك وصار شخصية تاريخية احتفظ أيضا بهذه الصفات وكثير من الأعمال التى تناسب شخصيته فصار يصارع الجن فى مازندران ، ويأمرهم أن يبنوا له ذلك البناء العجيب ، ثم يذهب لحرب السماء بعد أن أغواه الجن بذلك . ومن العجيب أيضاً أن الملك الهخامنشى الذى انضافت سيرته لكيكاوس هذا أو الذى اختلطت بسيرته وبعض أعماله بسيرة «كيكاوس» وهو قمبيز قد اشتهر أيضاً بصفات مثل اللجاجة والعناد وسوء الخلق ، ولعل هذا التشابه كان سبباً فى إلباس « كيكاوس » الشخصية الأسطورية ثوب «قمبيز بن كوروش» الشخصية التاريخية ، بينما أُلبس حفيده « كيخسرو » ثوب « كوروش الكبير » مؤسس الأسرة الهخامشية ووالد « قمبيز » لتشابه الأساطير المروية عن « كيخسرو » مع السيرة الحربية والأعمال المروية عن « كورش الكبير» .

ونخلص من هذه المقدمات إلى أنه توجد أوجه شبه قوية بين ملوك الكيانيين وملوك الهخامنشيين وأن إضافة أو خلط سيرة أى ملك هخامنشى بنظيره الكيانى لا يكون منوطاً بالترتيب التاريخى بقدر ما هو منوط بالتشابه بين الشخصيتين فى السير والصفات كما سنبين فى السطور التالية .

بين قمبيز وكيكاوس :

السمات الشخصية : فإذا نظرنا لصفاتهما الشخصية وسيرتهما الحربية وأهم أعمالهما نجد أن هناك بعض السمات الشخصية وبعض الأعمال التى تنسب لكليهما منها :

الحمق والجنون : إن الصفة الأساسية التى اتصف بها كلاهما هى : النزق والحمق واللجاجة وسوء الخلق ، كما اتصفا بالجنون وقلة العقل أيضا . يقول هيرودوت عن « قمبيز » إنه كان مجنوناً وإن كان لا يدرى سبب جنونه هل يرجع لما فعله مع « أبيس » أو لأنه كان مصاباً بداء (الصرع) منذ ولادته ، وعلى هذا يعتقد أنه ليس غريباً أن يتأثر عقله بدرجة ما . ثم ذكر حوادث كثيرة

ليؤكد صحة ما ذهب إليه فقال إنه قتل أخاه فى نوبة جنون ثم قتل أخته ، وقتل حامل كأسه ، وهم بقتل أحد النبلاء من قادته لأنه نصحه ألا يسمح لنفسه بالتمادى فى نزق الشباب ، وحمية الطباع » وأنه دفن عدداً من نبلاء فارس أحياء بلا ذنب ، ويروى عنه هيرودوت أيضا ارتكابه بعض الأمور المحرمة بالنسبة للديانات سواء أكانت بالنسبة لديانته أم لديانة المصريين فينسب إليه أنه أمر بحرق جثة « أمازيس » مع ما فى ذلك من مخالفة لعقيدته وعقيدة المصريين أيضاً ، كما ذهب لمعبد ڤولكان وأخذ يرمى التمثال القائم هناك بعدد لا يحصى من السهام . كما أرسل جزءاً من جيشه لمحاربة كهنة معبد آمون وتحطيمه فى واحة سيوة إلا أنهم دفنوا فى الصحراء [١] .

كل هذه الصفات والأعمال المنسوبةلقمبيز نجد مثيلاً لكثير منها فى سيرة « كيكاوس » أيضاً وفى أقدم المصادر ، ففى البندهشن مثلاً يوصف « كى اوس» بأنه سيىء الطبع وفى الدينكرت وصف بأنه مضطرب العقل ذو عناد ولجاجة[٢] .

وقد وصف بمثل هذه الصفات أيضا عند الثعالبى الذى لخص كل أحواله فى قوله : « وكان كيكاوس عجيب الشأن ، شديد التلون ؛ فطوراً ملك رشيد ، وطوراً جبار عنيد ، وتارة ملك سديد وأخرى شيطان مريد ، ومرة وقور حصيف ، ومرة ركيك سخيف ، وكان الأغلب عليه ركوب الهوى ، واتباع المنى ، والاستبداد بالآراء ، وحب النساء ، ورد النصيحة ، والتعرض للفضيحة » [٣] .

وقد وصفه الفردوسى فى الشاهنامة بمثل هذه الأوصاف فى مناسبات عديدة ، فقال عنه « زال » عندما سمع بخبر عزمه على الخروج لغزو «مازندران»

---

(١) راجع : « هيرودوت » : (ترجمة أمين سلامة) ، ص ١٢٥ ـ ص ١٣٠ .

(٢) نقلاً عن حماسة سرائى : ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠ .

(٣) الغرر فى أخبار ملوك الفرس : ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

ولم يستمع لنصح قواده انفعل وأخذ يقول [١] :

ـ إن كيكاوس رجل عنيد ، لم يجرب من الدنيا حرها ولا بردها .

وعندما ذهب زال (دستان) إليه ونصحه ، ولم يقبل الملك نصيحته فإنه [٢] :

ـ عندما سمع من الملك هذا الكلام ، لم ير بادرة لرجوعه عما فى رأسه .

وهذا دليل على رده النصيحة مثله فى هذا مثل قمبيز لكنه لم يكن فى عنف «قمبيز» ولم يسفك الدماء مثل «قمبيز» الذى حاول قتل قائده الليدى عندما تجرأ وأسدى إليه نصيحة ، كما قتل ابن بريكساسبيس الذى كان يقدره أكثر من جميع الفرس وهو حامل رسائل الملك أما ابنه فهو حامل كأس الملك وقد قتله ليثبت لبريكساسبيس وللفرس أن يده ثابتة وأنها لا ترتعش من أثر تعاطيه الخمر [٣] .

وإذا كان « قمبيز » قد وصف بالخروج عن تعاليم الدين سواء أكان دينه أم دين الآخرين ـ كما رأينا قبلاً ـ فإن كيكاوس أيضا وصف بهذه الصفة ، ففى الأساطير القديمة أن كيكاوس سيىء الطبع صار لحرب السماء ، وجاء فيها أيضا أنه أخذ جيشاً من الشياطين والسيئين للهجوم على السماء [٤] . وقد وصفه الفردوسى أيضاً بالخروج عن الدين ، فقال على لسان رستم عندما سمع بوقوعه فى ضاحية من ضواحى الصين ، بعد محاولته الفاشلة للصعود إلى السماء

---

(١) شاهنامهء فردوسى : حـ ٢ ص ٣٢٠ البيت بالفارسية :

همى كَفت كاؤس خود كامه مرد   نه كَرم آزموده زكَيتى نه سرد

(٢) شاهنامهء فردوسى : حـ ٢ ص ٣٢٤ ، البيت بالفارسية :

چو ازشاه بشنيد زال اين ســـخن   نديد ايچ پيدا ســـرش ازين

(٣) راجع هيرودوت : (ترجمة أمين سلامة) : ص ١٢٤ .

(٤) نقلا عن حماسهء سرائى : ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

فقال رستم [١] :

ـ إننى أرى فى كل يوم فى الدنيا كثيراً من أرباب التاج والعرش من الملوك والعظماء .

ـ لكننى لم أر فيها مثل كيكاوس العنيد لا من الكبار ولا من الصغار .

ـ لا عقل لديه ولا دين ولا رأى ، كأن رأسه فارغ من العقل وصدره خالٍ من القلب .

ـ كأنه بغير عقل فى رأسه ، ولا فكر فى أعماله .

أما « جودرز » أحد قادته وأبطاله فقد واجهه بكلام أعنف من هذا أيضاً عندما ذهب لإنقاذه من هذا المنقلب الذى أودى بنفسه إليه فقال له [٢] :

ـ إن مستشفى المرضى ، أولى بك من العاصمة .

ـ فأنت فى كل زمان تُفسح مكانك للأعداء ، وكأنك شخص مجنون .

ـ أغرت على الأرض كلها ، والآنَ تُغير على السماء !

مع كل هذا التقريع فقد نزهت الأساطير « كيكاوس » عن الفتك بقادته وإهلاكهم كما فعل « قمبيز » .

ولعل تلك الحملة التى أرسلها « قمبيز » على بلاد الأمونيين لتحطيم معبدا آمون هناك والانتقام من كهنته ، والتى دفنت تحت العاصفة الرملية التى هبت عليها ، لعلها تشبه ما حدث لجنود كيكاوس الذين ذهبوا معه لحرب

---

(١) شاهنامة فردوسى : حـ ٢ ص ٤١٢ ، الأبيات بالفارسية :

همى بينم اندر جهان تاج وتخت　　كيان وبرزكان پيـــــدا ربخت
چو كاؤس خود كامه اندر جهان　　نديدم كس ازكهان ومهلـــــــن
خردنيست اورانـــه دين ونه راى　　نه هوسش بجايست ونه دل بجاى
تو كَويى سرش انـدرون مغزنيست　　يك انديشهء او همـــى نغزنيست

ـ المرجع السابق : حـ ٢ ص ٤٢٢ ، سبق إيرادها .

(٢) شاهنامهٔ فردوسى : حـ ٢ ص ٤٢٢ ، سبق إيرادها .

السماء ، فانقلبوا من فوق الجبل وأُتلفوا ، وكاد هو نفسه يتعرض للهلاك وقد تسبب كلاهما برعونته وطيشه فى هلاك الكثير من الجنود ، فقمبيز كما يحدثنا هيرودوت قام بحملة فاشلة على بلاد الأثيوبيين وتصرف برعونة وبجنون كما يصفه ، فأسرع بالقيام بهذه الحملة دون أن يُعد العدة لها ولا المؤنة اللازمة ، ودون أن يفكر أنه سيشن حرباً فى آخر الدنيا ، مما أدى إلى هلاك الكثير من جنوده من الجوع والعطش ووصل الأمر بهم أن كل عشرة من الجند كانوا يختارون واحداً من بينهم بالقرعة ليأكلوه . ولما علم قمبيز بذلك عاد إلى مصر وهو يجر أذيال الخيبة والعار [١] .

أما « كيكاوس» فقد تسبب هو أيضا برعونته وعدم استماعه لنصح قواده فى إهلاك جنوده مرة فى مازندران ، ومرة فى بلاد هماوران (اليمن) . ففى مازندران ، أسرهم الجنى الأبيض وأعماهم إلا أنه لم يهلكم ليعرفوا أقدارهم ، جاء ذلك فى رسالتة إلى ملك مازندران[٢] :

ـ وقال له قل للملك ، لا تبحث عن خدمة أخرى من الجنى الآن .

ـ فقد أديت ما وجب ، ومرغتُ جيش إيران فى الوحل .

ـ وقد أصبح كل جيش إيران وأبطاله ، لا شمساً يرون ولا قمراً .

ـ لم نقتلهم ولكن أفزعناهم ، ليعرفوا أقدارهم .

وفى بلاد « هماوران » تسبب أيضا فى وقوعه فى الأسر ، وإهلاك جنوده وتشتتهم فى البلاد،كل هذا نتيجة لرعونته وتسرعه فى إجابة دعوة ملك البلاد له، رغم نصح سودابه له ألاّ يفعل، ثم وقع فى الأسر هو وقادته، أما جيوشه[٣] فإنها:

ـ عندما حبس الملك صاحب التاج ، مضت جيوشه إلى إيران .

ـ فعبروا البحر بالسفن والزوارق ، وسلكوا طريقهم عبر الصحارى والجبال.

ـ وعندما وصلت جيوشه إلى إيران ، تفرقت فى كل البلاد .

---

(١) هيرودوت : (أمين سلامة) : ص ١٢٠ ـ ١٢٣ .

(٢) شاهنامهٔ فردوسى حـ ٢ ص ٣٣٠ ، سبق إيرادها .

(٣) المرجع السابق حـ ٢ ص ٣٩٠ ـ ٣٩١ ، وسبق إيراد الأبيات .

مقتل العجل المقدس والبقرة المقدسة :

ومن الأعمال التى تُنسب لقمبيز حادثة مقتل العجل « أبيس » المقدس لدى المصريين فى ذلك الوقت على يديه ، وقد سبق أن بينا الآراء حولها ـ أما عن كيكاوس فتنسب إليه المصادر البهلوية أسطورة خاصة بقتله للبقرة المقدسة ، وتقول الأسطورة : من أعمال كيكاوس الفاسدة أنه قتل البقرة المقدسة التى خلقها ـ أهورامزدا ـ ليحفظ الحدود بين إيران وتوران ، فكانت تلك البقرة إذا نشب صراع بين الإيرانيين والتورانيين ، تضع حافرها على الحد الواقعى للبلدين فينتهى هذا النزاع على الفور ، فأراد « كيكاوس » أن يهجم على توران فأمر بطل اسمه « سريت » بقتل البقرة ، فنفذ هذا البطل أمره ثم انتحر بعد ذلك(١) . وبهذا تشترك سيرة الإثنين فى هذه الحادثة أيضا الخاصة بمقتل البقرة المقدسة والعجل المقدس .

مقتل برديا وأوشنر :

ومن الأمور الفاسدة التى تنسب لقمبيز أيضا إقدامه على قتل أخيه «برديا» حاكم الأقاليم الشرقية لإيران الموصوف بالعقل والحكمة، والمحبوب من الإيرانيين. ولعل هذا يتشابه أيضا مع ما نُسب لكيكاوس في « الدينكرت من أعمال جباره منها قيامه بقتل وزيره المسمى « اوشنر » والذى أُشتهر بأنه رجل حكيم وعالم ، كما كان عارفاً بكل اللغات ، مسيطراً على الجن ، حاكماً للأقاليم السبعة (٢) ، إلا أن كيكاوس قتله رغم هذا .

الزواج من نتيتاس والزواج من سودابه :

ومن الأمور التى تنسب إلى كلٍ من الملكين ـ كما يذكر عباس پورشوسترى(٣) هو رغبة كل منهما فى التزوج من ابنة أحد الملوك ، فقد رأينا «قمبيز » ـ فى القصة ـ يرسل لملك مصر طالباً الزواج من ابنته ، لكنه لم يرحب

---

(١) نقلا عن حماسة سرائى : ص ٦٩ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) كارنامهٔ ايرانيات : حـ ٢ ص ١٢٢ .

بالفكرة فأرسل ابنة سلفه « ابرياس » إليه وجهزها كما لو كانت ابنته .. آلخ وقد قام « كيكاوس » هو أيضا بخطبة ابنة ملك « هاماوران » الذى لم يرحب هو أيضا بالفكرة وإنما [١] :

ـ عندما سمع هذا الكلام ، امتلأ قلبه ألماً ودارت رأسه .

ـ وقال لنفسه إن كل ما قاله الملك حق ، فقد ملك العالم وانتصر وصار نافذ الأمر .

ـ أما أنا فليس لى فى الدنيا غير هذه الابنة ، وهى عندى أغلى من روحى.

وفى القصتين رغب كل من « قمبيز » و « كيكاوس» فى الزواج بعد أن قام شخص آخر بترغيبهما فى ذلك . ففى قصة قمبيز مثلاً قام الطبيب المصرى الذى كان « أمازيس » قد أرسله لبلاط « كوروش » بترغيب « قمبيز » فى الزواج من ابنة « أمازيس » وبالنسبة « لكيكاوس » أيضا قام أحدهم بوصف ابنة ملك « هاماوران » له ورغبه فى الزواج منها كما يقول الفردوسى [٢]:

ـ وبعد ذلك قال قائل لكيكاوس ، إن وراء ستوره بنت .

ـ قامتها أجمل من السرو الممشوق ، يزين تاج من المسك الأسود رأسها .

ـ فخفق قلب كيكاوس ، وأجاب إنه لمن الرأى .

ـ أن أطلبها من والدها ، وأزين حرمنا بتلك الفاتنة .

وقد شن « قمبيز » حربه على مصر بسبب هذه الزيجة ـ كما يذكر هيرودوت ـ وبسبب الخدعة التى قام بها ملك مصر عندما زف إليه ابنة سلفه

(١) شاهنامهٔ فردوسى : حـ ٢ ص ٣٨٥ ، سبق إيرادها .

(٢) المرجع السابق حـ ٢ ص ٣٨٤ الأبيات بالفارسية :

وزان پس بكاؤس كوينده كفت	كه او دخترى دارد انـــدر نهفت
كه ازســـرو بالاش زيباتر است	زمشك سيه برســـرش افسراست
بجنبيد كاؤســـــرا دل زجاى	چنين داد پاسخ كه نيكست راى
من اورا كنم ازبدر خواســـتار	كه زيبد بمشـــكوى ما آن نكار

على أنها ابنته ـ كما أوضحنا قبلا ـ أما كيكاوس ، فقد وقع هو نفسه ضحية هذه الزيجة ،فقد حقد عليه ملك هاماوران نتيجة لذلك ، وأخذ يتحين الفرصة إلى أن أوقع به أسيراً وشتت شمل جيوشه .

السيرة الحربية :

تتشابه السيرة الحربية أيضا عند « قمبيز » و « كيكاوس» بل إن السيرة الحربية بين الهخامنشيين والكيانيين تتشابه عموماً . فإذا نظرنا لسيرة الهخامنشيين الحربية منذ تولى « كوروش » (٥٥٩ ـ ٥٢٩ ق . م) نرى ، أن الطابع الحربى هو الغالب على أعمال كوروش فقد قام أولاً بكثير من العمليات الحربية بسط فيها نفوذه على جميع ولايات إيران ، ثم قام بتوسيع ملكه وبسط سلطانه خارج حدود إيران فقامت حروب بينه وبين مملكة « ليديا » التى استولى عليها ، ثم استولى على المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى، ثم اتجه إلى الشرق حتى وصل إلى السند، ثم رجع واستولى على بابل سنة ٥٣٩ ق . م. وأصبحت كل الدول التى كانت خاضعة لبابل تحت سيطرته هو من بلاد الشام وفينقيا وفلسطين، ثم أخذ يعد العُدة للاستيلاء على مصر ، لكنه مات قبل أن تتحقق هذه الأمنية ، ثم جاء بعده ولده قمبيز الذى أكمل فتوحات أبيه ووصل إلى مصر وأثيوبيا وليبيا ـ وفى عهد خلفه « دار يوش » بلغت الإمبراطورية الفارسية أقصى اتساع لها ، وسيطرت على ممالك العالم القديم تقريباً [(١)]، ومن هذا العرض يتضح أن السيرة الحربية كانت سمة مميزة لملوك الهخامنشيين ، ونفس هذا الشيء تقريبا لاحظته على السيرة الحربية لملوك الكيانيين عموماً فقد كانت الأعمال التى تُنسب لملوك البيشداديين يدور أغلبها حول الصراع مع الجن والاكتشافات الطبيعية والصناعات البدائية ، أما عند ملوك الكيانيين فقد تطور الصراع مع الجن إلى صراع مع الجيران على الحدود ، وإلى فتح وسيطرة على الممالك الأخرى ، فينسب إلى « كيقباد » أول ملوكهم أنه حمى بلاده من غارة الترك عليها . وينسب إلى « كيخسرو » ثالث ملوكهم كثير من وقائع البطولة والحروب التى

(١) راجع تاريخ ايران : حسن پيرنيا : حـ ١ ص ١٩ ـ ٢٧ .

شنها على الترك للانتقام لأبيه سياوش ، ووصوله إلى بلاد السند والصين ـ وغيرها [١].

وهكذا نلاحظ أن السمة الحربية هي سمة مشتركة بين الأسرتين عموماً . فإذا رجعنا إلى « قمبيز » و « كيكاوس » لنقارن بين ما نسب إليهما من سيرة حربية فى الوقائع التاريخية والأسطورية نلاحظ شبها أيضا بين السيرتين :

أما عند « قمبيز » فقد ذكرنا قبلا أنه عندما تولى الملك سنة ٥٢٥ ق. م. خلفا لأبيه « كوروش » انشغل لمدة ثلاث سنوات فى القضاء على العصيان الداخلى الذى حدث فى الولايات الإيرانية ، وبعد ذلك جهز حملته على مصر ، وسار إليها عن طريق البر ليفاجىء عدوه الذى توقع قدومه من البحر ، ثم جهز حملة على بلاد السودان وأثيوبيا ، وقد أعلنت ليبيا الخضوع له [٢].

وسيرة « قمبيز » الحربية هذه تتشابه مع ما يُنسب إلى « كيكاوس » من كثرة الحروب بحيث يتغلب الطابع العسكرى على سيرته ، فقد رأينا حربه فى مازندران بعد أن تولى الملك مباشرة ، وبعد ذلك ذهب إلى « بربرستان » وقد أوضحنا قبلاً أن المقصود ببربرستان هذه مكان فى الهند أو قريب منه ، فيقول الفردوسى [٣]:

ـ فمضى من إيران إلى توران والصين ، وعبرها إلى مكران .

ـ وقد قبل الجميع دفع الجزية والخراج ، ولم يجربوا قوة الأسد الهصور .

ـ وهكذا وصلوا متبخترين إلى البربر ، مع الملك الفاتح ذى التاج والإكليل .

وبعد أن انتهى من أمر ملك البربر هذا عطف إلى زابلستان وقضى شهراً فى ضيافة رستم .

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع : تاريخ الفرس الأسطورى عند الطبرى والفردوسى لصاحبة البحث: ص ٤٠ ـ ٥٩ ط الإسكندرية سنة ١٩٩٣ م .

(٢) هيرودوت : (أمين سلامة) : ص .

(٣) شاهنامة فردوسى : حـ ٢ ص ٣٨٠ ، سبق إيرادها .

ويحدثنا الفردوسى بعد ذلك على حملته على بلاد « هاماوران » والبربر ومصر . وهذه هى المرة الأولى التى يذكر فيها اسم (مصر) عند الفردوس بحيث تصبح مركزاً للصراع مع الفرس ، وهذه الحملة التى يحدثنا عنها الشاهنامة تشبه تلك الحملة البرية التى قام بها قمبيز على مصر ، ولعل المقصود ببلاد البربر المذكورة هنا هى بلاد الحبشة والسودان المذكورة فى حملة « قمبيز » أما بلاد هاماوران (اليمن) المذكورة فى هذه الحملة ، فأعتقد أن الشاهنامة قد خلطت فيها سيرة « وهرز » القائد الفارسى الذى أرسله « انوشروان » لمساعدة سيف بن ذى يزن الذى طلب منه مساعدته فى إجلاء الأحباش عن بلاده .

وإذا كان قمبيز قد قام بحملة برية ليفاجىء المصريين ، فإن « كيكاوس » على عكسه قد اختار طريق البحر لأنه أقرب وحتى يتحقق له عنصر المفاجأة نفسه، يقول الفردوسى [(١)] :

- وقد عبر بالجيش من الصحراء إلى البحر ، حتى لا يراه العدو .
- وأخذ يسرع إلى أن وصل إلى مدينة بين ثلاثة مدن .
- عن اليسار مصر ، والبربر عن اليمين ، وبحر زره أمامه على النحو الذى يريده.

ولا يهمنا هذه المدينة العجيبة التى تجاور هذه الممالك المترامية البعيدة ، بقدر ما يهمنا أسماء تلك الممالك التى جاءت فيها ، والتى جعلتنا نظن أنها تتشابه مع حملة قمبيز ، العسكرية على مصر .

وهكذا نرى أن سيرة هذين الملكين تتشابه ويشتركان فى كثير من الأشياء مثل السمات الشخصية ، وبعض الأعمال التى قاما بها ، وكذا السيرة الحربية ، مما يقوى لدينا الاعتقاد بأن يكونا شخصاً واحداً وأن يكون المقصود بكيكاوس فى التاريخ الأسطورى أو النصف أسطورى للكيانيين هو « قمبيز » فى التاريخ الواقعى للهخامنشيين . وإن كانت سيرة « قمبيز » كما رأينا تاريخ مختلط ببعض القصص أو الأساطير ، فإن سيرة « كيكاوس » أساطير ممتزجة ببعض التاريخ .

---

(١) المرجع السابق : حـ٢ ص ٣٨٢ ، سبق إيرادها .

الفصل الثانى

بين الفردوسى وشوقى

بين الفردوس وشوقى

فإذا وصلنا فى ختام المطاف إلى المقارنة بين الشاعرين اللذين نظما قصة «قمبيز» و « كيكاوس» فى أشعارهما لنبين أوجه الاختلاف بينهما وأوجه التشابه فإننا نرى :

أولاً : أوجه الاختلاف :

أن الفردوسى قد نظم قصته ضمن وقائع ملحمته المشهورة «الشاهنامة» التى تحوى تاريخ إيران وما داخله من قصص وأساطير فى مختلف أدواره منذ عهد أول ملوك البيشداديين « كيومرت » إلى نهاية الدولة الساسانية فى القرن السادس الميلادى على يد المسلمين والملحمة كلها تقع فى نحو ستين ألف بيت أما قصة «كيكاوس» وما يتعلق بها من وقائع وأحداث فتقع فى حوالى سبعة آلاف بيت .

أما شوقى فقد تناول قصة« قمبيز » فى مسرحيته المسماة بذات الاسم .

وعلى هذا يكون **أول الفروق** بين هذين العملين الأدبيين هو فارق القالب الفنى ، فالفردوسى اختار لعمله قالب الملحمة وهو قالب واسع عريض ، يتيح للشاعر الكثير من الحرية فى التصوير والخيال والمبالغة ، كما تتيح له الانتقال من قصة إلى قصة نحو الاستطراد إلى موضوعات جانبية ، هذا إلى جانب التفصيل فى الأحداث التى يستحبها ، والنفخ فى كل حكاية يُريد أن يبرزها . فالملحمة ـ كما يذكر د.محمد غنيمى هلال ـ هى قصة بطولة تروى شعراً ، تحتوى على أفعال عجيبة أى خارقة للعادة ، وفيها أيضا يتجاور الوصف مع الحوار وصور الشخصيات كما لا تخلو من الاستطرادات وعوارض الأحداث (١) .

من هنا فقد رأينا الفردوسى وقد أفاض فى تفصيل وقائع القصة «كيكاوس» ، وانتقل من قصة لأخرى ، فاستطرد إلى تفصيل وقائع قصة رستم واسفنديار ، وزواج كيكاوس من أم « سياوش » ثم انتقل لتفصيل قصة «سياوش» وما أصابه بسبب سودابه ، ولجوئه إلى أفراسياب ومقتله هناك ، وفى كلتا

(١) د. محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن : ص ١٤١ الطبعة الثالثة سنة١٩٦٣ م .

القصتين نراه يتتبع الأشخاص منذ ولادتهم حتي شبوا وترعرعوا وقتلوا وأدرك ثأرهم أيضا. كما انتقل من مكان لآخر، فمن غزو مازندران إلى توران والصين ومكران، ومن مكوث فى زابلستان إلى مضى لحرب هاماوران ومصر وبربرستان ـ ومن مغامرة خارقة مثل محاولته الصعود إلى السماء، وعبور رستم المنازل السبعة، إلى صراع مع الجن، أو بناء عجيب تبنيه الجن له.

كل هذه الأحداث وغيرها وكثير من التفاصيل والمبالغات والقصص الطويلة كانت مضمون هذه القصة« كيكاوس » فى الشاهنامة وقد أتاح له القالب الملحمى الذى اختاره أن يفصل فى هذه القصص، ويبالغ فيها ليغطى مدة حكم « كيكاوس » التى تبلغ مائة وخمسين عاماً.

أما « شوقى » فقد اختار « المسرحية » لتكون قالباً لعمله الفنى، والمسرحية تفترق عن الملحمة افتراقاً جوهرياً وهو عنصر التركيز فالمسرحية ـ كما يذكر محمود حامد شوكت ـ تقدم صورة تمثل الحياة صافية من شوائبها وتفاصيلها (١). وعلى المؤلف المسرحى بناء على هذا أن يبتعد عن التفاصيل والاستطراد والأحداث العارضة، وعليه أيضا أن يختار عناصر ذات مدلول فى مسرحيته ويؤلف بينها فى فكره ويحركها فى خياله إلى نهاية محتومة. وعلى هذا رأينا شوقى يختار من كل ما ذكر عن « قمبيز » حدثاً معيناً وهو غزو قمبيز لمصر الذى استغرق حوالى ثلاث سنوات من سنة ٥٢٥ ق. م ـ سنة ٥٢٢ ق. م أو سنة ٥٢١ ق. م فى بعض الآراء ـ كما تخير من بين القصص التى ذكرها «هيرودوت» عن سبب غزو مصر قصة واحدة، وهى قصة رغبة قمبيز فى الزواج من ابنة ملك مصر « آمازيس » ... الخ وتخير من الأشخاص الكثيرين الذين ذكروا عند « هيرودوت » بعض شخوص مسرحيته فاختار « قمبيز » و «نتيتاس» لبطولة المسرحية واختار بجانبهم « فانيس » القائد اليونانى المرتزق، و « آمازيس » فرعون مصر وابنه ابسماتيك، وهكذا اختار بعض الشخصيات الضرورية فقط لمسرحيته، وقد أضاف إليها بعض الشخصيات الخيالية ليكمل الصورة وينطقها

(١) محمود حامد شوكت : المسرحية فى شعر شوقى : ص ٩.

بآرائه هو . وهكذا فرض القالب الفنى المسرحى على شوقى تركيز الأحداث وتخير الشخصيات .

ثانى هذه الفروق بين الفردوسى وشوقى أنه فى الملحمة يتجاور الوصف مع السرد والحوار أحيانا ، من أمثلة ذلك وصفه لحملة « كيكاوس » على بلاد «هاماوران» ، فقال:[1] .

- عندما وصلهم خبر أن كيكاوس قد جاء مع جيشه من بحر زره .
- وأخذوا يتصايحون ، ومن ناحية البربر كان معبر الجيش .
- وأخذ الأبطال المحاربون ، يجتمعون فى بربر ستان .
- وصاروا جيشا ضاق من نعال خيوله البر والبحر والجبال .
- وضاق المكان بالأسد الضوارى ، وضاقت الصحراء بحمر الوحش المغضبة .
- حتى السماء أفزعوا فيها السحاب ، وافزعوا الفهود فى النجاد والسمك فى البحار .
- وتخبط الجميع يبحثون عن طريق ، وجاء الملك وقد استولى على مكان الجميع .
- عندما وصل جيش كيكاوس إلى البر ، لم ير أحد جبلا ولا صحرا .
- فكأن الدنيا مطبقة بالدروع والجواشن ، وكأن النجوم مضيئة من أسنة الرماح .
- ومن جيش الإيرانيين تعالى نفير البوق وقرعت الطبول ، وبرز بهرام وجرجين وطوس .

---

(١) شاهنامة فردوس : حـ ٢ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٤ ، الأبيات بالفارسية :

خبر شد بد يشان كه كاؤس شاه ... برآمد زآب زره باسپاه
هم آواز كشتند با يكد يكَر ... سپه راسوى بربر آمد كَذر
سپه بود چندان بل تيغ زن ... ببربستان برشدنذ انجمن
سپاهى كه دريا وصحرا وكوه ... شد از نعل اسپان ايشان ستوه
نبد شير درّنده راجايكاه ... نه كَور زيان يافت بردشت راه
پلبنكَ ازبرسنكَ وماهى درآب ... هم اندر هوا ابر ويرّان عقاب
همى راه جستند وكى بود راه ... دد ودام را بر چنانَ جايكاه
چون كاؤس لشكر بخشكى كشيد ... كس اندر جهان كوه وهامون نديد
چهان كفتى ازدرع وجوشن كشيد ... ستاره زنوك سنان روشن است
برآمد زايران سپه بوق وكوس ... برون رفت بهرام وكَركَين وطوس

ـ ومن جانب آخر برز جودرز وجشواد ، وكان هناك جيووشيدوش وفرهاد .
ـ وقد أرخوا الأعنة على الخيول ، وأشرعوا الأسنة بالسم المميت .
ـ وتقدم كيكاوس إلى قلب الميدان ، وتلاقى الجيشان .
ـ فتطاير الشرر من قراع السيوف ، وصارت الأرض كبحر الدماء .
ـ ولم تعد الجيوش الثلاثة تعرف من بين الإيرانيين مَنْ هو البطل .
ـ وفي البداية ألقى ملك هاماوران السيف والجرز الثقيل .
ـ ثم طلب الأمان من الملك وهو مغموم ، وقد عرف أن هذا هو يوم البلاء .
ـ وتعهد بدفع الخراج والجزية الثقيلة عن مدينة هاماوران .
ـ وقد أرسل لكيكاوس الكثير من الخيل والسلاح ومن والتخت والتاج .
ـ وقد أعطاه هذه العطايا ، على أن يخلى بلاده من جيشه .
ـ وعندما سمع كيكاوس هذا الكلام ، وافق عليه .
ـ وقد أرسل وأحضر الكنوز من هاماوران والسلاح الثقيل .
ـ وأحضر الزبرجد والكنوز والجواهر ، وقال أيها السيد العادل .
ـ نحن جميعا عبيدك وتحت أقدامك ، من الكبار ومن الصغار .

==

وزان سو که کَودرز کَشواد بود — چو کَیو وچو شیدوش وفرهاد بود
فکَندند بریال اسپان عنان — بزهر آب دادند نوك سنان
بجنبید کاؤس در قلب کَاه — سپاه اندر آمد بپیش سپاه
زچشم سنان آتش آمد برون — زمین شد بکردار دریای خون
سه لشکر چنان شد از ایرانیان — که سرباز نشناختند ازمیان
نخستین سپهدار هاماوران — بیفکَند شمشیر وکَرز کَران
غمین کشت وازشاه زنهار وخواست — بدانست کان روز روز بلاست
بپیمان که ازشهر هاماوران — سپهبد دهد ساو وبارّ کَران
زاسپ وسلیح زتخت وکلاه — فراوان فرستد بکاؤس شاه
چو این داده باشد ازو بکَذرد — سپاهش برو بوم او نسپرد
زکُونیده بشنید کاؤس کی — برین کَفتها پاسخ افکُند پی
فرستاده آمد زهاماوران — بیاورد کَنج وسلیح کَران
زبرجد بیاورد وکَنج وکَهر — چنین کَفت ای مهتر دادکَر
همه چاکر وخاکپای توییم — اکر مهترا نیم اکَر کهتریم

==

ـ لتسعد دوماً وتكون منتصراً ، ولينقلب حظ ورأس عدوك .
ـ وعندما انتهى من الكلام قبل الأرض ، وجاء أمام طوس القائد .
ـ وقد أحضر إليه الكثير من الذهب والجواهر ، وأعطى الجميع كبيراً وصغيراً .

ويتضح من شعر الفردوسى أيضا ميله للمبالغة الشديدة ، وهذا يتفق أيضاً مع طبيعة الشعر الملحمى ، فحيثما اتجه جيش إيران ملأ الأرض ، واختفت سهولها وحزنها تحته ، ويصير العالم كأنه مصنوع من الحديد والفولاذ ، ومن أسنة الرماح تضاء النجوم إلى غير هذه المبالغات .

أما بالنسبة للمسرحية فإن « شوقياً » كان مقيداً بالحدود المرسومة لهذا الفن ، فاتخذ من الحوار وسيلته الأساسية فى الإفصاح عن مكنون الشخصيات ، وابتعد أيضاً عن المبالغات إذ أنها من الأمور المعيبة بالنسبة للفن المسرحى.

وعليه أيضا أن يستعين بالوصف من خلال المناظر ومن خلال ما يجيىء على لسان الشخصيات ، فعندما أراد مثلاً أن يصف ما أصاب مصر والمصريين على يد قمبيز وجنوده لجأ إلى الحوار بين بعض المصريين كوسيلة للإفصاح عن هذا الحدث ووصفه ، وعندما أراد وصف المصريين وحضارتهم أتى بهذا الوصف أيضا على شكل حوار بين رسل « قمبيز » فى مصر على النحو التالى :

رئيس الوفد الفارسى (١) :

لقد جلـــتم فى بلدة العجـــل جَوْلة
وما برحت بالزائريـــــن تُجـــــابُ

فكيف وجدتم قـــــوم فرعـــــون ؟

==

همـــــه ســـــاله پيـــروز بادى وشـــاد	ســـرو بخت دشـــمـــن نكَونســـار باد
چو آن كَفــتــه شــد خــاكــرا داد بوس	بيـــامـــد بپش ســـپـــهـــدار طوس
بــسى زر وكَوهــر بــيـــــــاورد پيـش	ببـــخـــشــيـــد وهركس كمّ وبيش

(١) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : صر ٣٦١ .

قبـاد : أمة

إذا هى قيست بالشعوب عُجـــــابُ

لهم مثل ما للأسُد بالجنس عـــــزة

ضوارى الفلا عند الأســـــودكلاب

ويقول فارسى آخر عنهم[1] :

وجدت وجوها عليها النعـــــمُ ودنيـــا على جانبيـــــها الرَّغَـــدْ

وسوقا تُفض وسوقاً تُقـــــــام وخلقـــاً يـــــروح وخلقا يفـــدْ

.... الخ

وكلهـا أمـور بعيـدة عن المبـالغـات ، وأقرب إلى الواقع ، وهو إن جأ إلى بعض المبالغة على المسرح عيب عليه ذلك ، فعندما لجأ فى الفصل الأخير مثلاً إلى الإكثار من مناظر القتل والانتحار، فأظهر قتل قمبيز لفانيس ، ولأحد جنوده، وطعنه عجل أبيس ثم طعنه نفسه قال عنه النقاد إنه ملأ المسرح بمناظر القتلى والدماء دون داع ، فالمسرح يجب أن ينزه عن هذه المناظر .

تصوير الشخصيات :

كيف صور كل من الشاعرين شخصياته ؟ إذا نظرنا إلى صور الشخصيات عند الفردوس نجدها واضحة صريحة يوصف البطل فيها بصفات تلازمه باستمرار فرستم مثلاً يوصف دائماً بصفة تهمتن ، (البطل) و « پيلتن » (شبيه الفيل) ، فإذا قال تهمتن وحده فهو رستم ، وكيكاوس مثلاً يوصف دوماً بخفة العقل والحماقة ، يقول قادة إيران لرستم مسترضين له عندما أغضبه كيكاوس[2] :

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٦٢ .

(٢) شاهنامة فردوسى : حـ ٢ ص ٤٧٠ ـ ٤٧٢ ، الأبيات بالفارسية :

ـ أنت تعلم أن كيكاوس بلا عقل ، وأنه يحتد فيقول كلاماً بلا تروٍ .
ـ يقول ما يندم عليه ، ثم يعود لأحسن مما كان عليه .
ـ وإذا كان البطل قد غضب من الملك، فما ذنب الإيرانيين !
ـ فأجاب البطل (رستم) إننى غير محتاج لكيكاوس .
ـ أيليق أن يقال لى له مثل هذا الكلام غير اللائق ، الذى احتدبه الملك علىّ.
ـ ألم أخلصه من الأسر ثم ، وجهته صوب العرش والتاج .
ـ وهو حينا يذهب لحرب شياطين مازندران ، وحينا لحرب ملك هاماوران .
ـ لقد خلصته من الأسر ومن الشدة ، عندما رأيته فى أيدى الأعداء .
ـ لقد مللت وضاق صدرى ، ولا أخاف إلاّ من خالقى .
ـ وعندما تعب البطل (رستم) من الكلام ، قال كودرز لشبيه الفيل .
ـ إن الملك والأبطال الفرسان ، يحملون هذا على محمل آخر .
ـ ويقولون إن البطل قد خاف من هذا التركى ، وهم يتقولون مثل هذا الكلام .
ـ وقد رأيت البلاط امتلأ لغواً ، من إثارة الملك ومجادلته .
ـ وكل ما جرى فهو من سهراب ، فلا تول الملك ظهرك .
ـ ولا تمح برجوعك هذا شهرتك فى الدنيا .
ـ كما أن العدو قد ضيق علينا ، فلا تنكس العرش بسبب العناد .

تو دانى كه كاؤس رامغزنيست ... بتيزى سخن كفتش تغزنيست
بكويد همانكه بشيمان شود ... بخوبى زسر باز پيمان شود
تهمتن كر آزرده كردد زشاه ... مرا يرنيانرا نباشد كناه
تهمتن چنين پاسخ آورد باز ... كه هستم زكاؤس كى بى نياز
سزايم بدين كفتن ناسزا ... كه كويد بتندى مرا پادشا
كه اورا ز بند آوريدم برون ... بسوى تاج وتختش بدم رهنمون
كهى رزم ديوان مازندران ... كهى جنك باشاه هاماوران
زبند وزسختى رها نيدمش ... چو دردست دشمن چنان ديدمش
سرم كشت سير ودلم كردبس ... جز از پاك يزدان نترسم زكس
زكفتار چون سيرشد تهمتن ... چنين كفت كودرز باپيلتن
كه شاه ودليران كردنكشان ... تابديكر سخنها برند اين كمان
كزين ترك ترسنده شد سرفراز ... همى كويد اين كونه هركس براز
زآشفتن شاه وپيكار اوى ... بد يدم بد ركاه پر كفتكوى
زسهراب يل رفت يكسر سخن ... چنين مشت برشاه ايران
چنين برشده نامت اندر جهان ... بدين باز كشتن مكردان نهان
وديكر كه تنك اندر آمد سپاه ... مكن تيره برخيره اين تاج وكاه=

ـ وظل يقول لرستم مثل هذا الكلام ، وقد ظل رستم البطل متحيراً لسماعه .
ـ وقال له إنّ قلبى إنّ داخله الخوف ، فسوف أنزع منه الروح .
ـ وأنت تعلم أننى لم أفر من الحرب ، ولكن من أسلوب الملك .
ـ وعندما رأى رستم عاقبة أمره ، عاد إلى بلاط الملك .
ـ وقد تخلص من ذلك الضيق ، ومضى سعيداً نحوكيكاوس .
ـ وعندما رآه الملك من بعيد نهض لاستقباله ، وأخذ يعتذر له عما مضى .
ـ وقال إن الله خلقنى ضيق الخلق شرس الطباع ، وهكذا ينبت الشجر كما زرعه الخالق .
ـ وقد ضاق قلبى وصار كالهلال الوليد ، من هذا التركى القذر .
ـ وقد أردتك لتكفينى شره ، فلما تأخرت علىّ ضقت بهذا .
ـ وعندما آذتيك أيها البطل (بيلتن) ، صرت خجلاً ، وامتلأ فمى بالتراب .

وهكذا نرى تكرار الصفات الملازمة لكل شخصية فرستم هو دوماً البطل (تهمتن) وشبيه الفيل (بيلتن) . وكيكاوس دائما بلا عقل حاد الطباع ، حتى أنه يعترف لرستم أن الله قد خلقه هكذا وهذا هو المفروض فى الملاحم أن تصور الشخوص ـ كما يذكر محمد غنيمى هلال ـ بصورة بسيطة وصريحة وملازمة لها .

أما بالنسبة لفن الشعر المسرحى فالمفترض من الشاعر المسرحى أن يجعل شخصياته تعبر عن الموضوع وتتحرك فى مجاله ، وتؤثر فيه ، وأن يكسوها أيضا بالحياة ، ويقابل فيما بينها ، وعليه أيضا أن يتوخى الإيجاز فى تحليلها ويركز مستعينا بالتلميح تارة والإشارة والإيحاء بدلاً من الاطناب ، وعليه أيضا أن يجعل شخصياته تبدو منسجمة الأقوال والأفعال صادقة التصوير .

= برستم براين داستانها بخو اند | تهمتن چو بشنيد خيره بماند
بدو كفت اكر بيم دارد دلم | نخواهم بتن جان ازو بكسلم
تو دانى كه نكر يزم از كنار زار | وليكن سبك داردم شهريار
چنين ديد رستم ازان كاراوى | كه بركردد آيد بدربار اوى
ازآن تنك بركشت وآمد براه | خرامان بشد پيش كاؤس شاه
چو از دور شه ديد برپاى خاست | بسى پوزش انر كذشته بخواست
كه تندى مرا كوهرست وشرشت | چنان رست بايد كه يزدان بكشت
وزين بد سكا ليده بدخواه نو | دلم كشت باريك چون ماه نو
بدين چاره جستن ترا خواستم | چو دير آمدى تندى آراستم
چو ارزده كشتن تواى پيلتن | پشيمان شدم خاكم اندر دهن

وهذا ما حاول شوقي ـ في رأيي ـ أن ينفذه وهو يصور شخصياته وإن كان لم يوفق فى رأى النقاد فى تعميق الصراع فى نفوس شخصياته ، فحسبه أنه حاول هذه المحاولات الجادة فى هذا الوقت المبكر وعذره أن هذا الفن كان جديداً على الشعر العربى ، وإليه يعود الفضل فى إدخاله إلى الأدب العربى .

فإذا نظرنا مثلاً لطريقة تصويره لشخصية « قمبيز » فإننا نراه قد حاول أن يكون معتدلاً إلى حدٍ ما فى تصوير الشخصية ، فصوره حينا ذا جنة تتناوبه نوبات من الصرع والجنون ، فتفقده عقله ووعيه ، فيقتل من يلقى ، فتقول عنه نفريت إنه [١] :

وحشٌ فى إهـــابِ بشـــــر يقتـــــلُ مَـــنْ يلقـــــــى

وتقول عنه نتيتاس [٢] :

نمر الفـــــرس الخشـــــن

وتقول عنه الوصيفة إنه :

آدم بظفـــــــر ونـــــاب

ويصفه أحياناً على لسان نفس الشخصيات بصفات حسنه مثل قول الوصيفة عنه [٣] :

ولم لا ؟ وقمبيز لا بالقبيح ولا بالدميـــــــــــم ولا بالغبى
ولا هو بالملك البربــــرى ولا الوحـــش ذى الناب والمخلبِ
ولكن فتى خير كالسحاب وضىء البشاشــــة كالكوكب
يزينُ السرير إذا احتـــــله وإن سار كان حُلـــى الموكب

وقد عاب النقاد على شوقى مثل هذا التناقض فى تصوير شخصياته وعابوا

(١) الأعمال الكاملة(المسرحيات) : ص ٣٥١ .
(٢) المرجع السابق: ص ٣٩١ .
(٣) الأعمال الكاملة : ص ٤٠٩ .

عليه أيضا أنه لم يتعمق فى تحليل شخصية قمبيز ولم يعطنا سبباً مقنعاً لجنونه ، بدلا من الإسراف فى نوبات صرعه وجنونه [١] . وأعتقد أن الشاعر قد تأثر بما وجده من تناقض عن شخصية « قمبيز » فى المصادر التاريخية التى رجع إليها، فبعضها مثل هيرودوت مثلا وصفه بالجنون والحمق والنزق والرغبة فى إسالة الدماء ، وبعضها مثل المصادر المصرية كانت منصفة له ، فأراد أن يظهر الجانبين فى الشخصية الحسن والقبيح لتكون أكثر اعتدالاً .

كما حاول « شوقى » أيضا ـ فيما أرى ـ أن يعمق الصراع فى نفس بطلته « نتيتاس » فجعلها تقبل التضحية بنفسها فداءً لوطنها ، رغم ما يعتمل فى داخلها من ألم وحقد على « آمازيس » قاتل أبيها ابرياس ، وعلى ابنته التى سلبتها حبيبها « تاسو » وإن كان كثير من النقاد يرون أنه بهذا قد قلل من قيمة تضحيتها وأعتقد أن الشاعر قد حاول محاولة جيدة وحسبه هذا .

موقف الشاعرين من قمبيز :

اختلف موقف الشاعرين الوجدانى والقيمى من شخصية الملك الفارسى ، فأحدهما وهو الفردوسى كان يتحدث من موقف الفخر والاعتزاز بهذه الشخصية، فعلى الرغم من كل الصفات السابقة التى رددها عنها من قلة عقل وتسرع وحمق ... آلخ فهو فى نظره وفى نظر الإيرانيين جميعا هو الملك الفاتح الذى يدين له الجميع بالولاء والطاعة والعبودية ، جاءعلى لسان زال قوله [٢] :

ـ إنك أنت الملك ، ونحن العبيد الناصحون لك .

---

(١) راجع المسرحية فى شعر شوقى ك ص ٩٦ .

(١) شاهنامة فردوس : حـ ٢ ص ٣٢٤ الأبيات بالفارسية :

بدو كَفت شـــاهى ومـــا بنده ايم　　　بدلســـوزكى باتو كـــونيـــده ا يم

اكَرداد كَوئى هـمـى يا ســــــتم　　　بـــراى تـــو بـــايـــد زدن كَام ودم

ـ ويجب علينا اتباع ما تأمر به ، سواء أكنت على حق أم على باطل .

حتى رستم يقول له بعد الموقف السابق الذى عرضنا فيه للخلاف الذى وقع بينهما يقول رستم [١] :

ـ العالم لك ، وكلنا عبيدك ومطيعون لك ـ

ومهما تجرعت من الذلة والمهانة ، فما أنا إلا خادم على بابك .

ـ وقد جئت الآن امتثالاً لأوامرك ، فأنت ملك العالم وأنا العبد .

وها هو كيكاوس يقول عن نفسه [٢] :

ـ الشمس تستمد نورها من تاجى ، والأرض قاعدة لسرير ملكى العاجى .

ـ وكل من يحتمى فى ظلى ، لا يفقد عرشه أبداً .

حتى أعدائه يقرون له بمثل هذه الصفات ، فيقول عنه ملك اليمن [٣] :

ـ قال فى نفسه إن كل ما قاله الملك حق ، فهو ملك العالم المنتصر ذو الأمر المطاع .

ومهما فعل (الملك) ، وسار فى البلاد ، وترك عرش البلاد خاليا . أو وقع فى أسر الأعداء ، فعليهم أن يسعوا لتخليصه وإعادته إلى هذا العرش ، فالأمور لا تستقيم بدون وجود الملك ، ولم يحاول أحد هؤلاء القادة أن يستولى على العرش فى غيابه مثلاً ، وإن كانت الشاهنامة تذكر لنا أن رستم ذهب إلى بلاد توران انتقاماً لسياوش وأخذاً بثأره ، فحطم جيوشها وأغار عليها وجلس على

---

(١) المرجع السابق : حـ ٢ ص ٤٧٢ ، الأبيات بالفارسية :

بدو كَفت رسمَ كه كَيهان تراست ... همه كهترانيم وفرمان ترا است

همان بردر تو يكى كهترم ... كَر كهترى راخود اندر خورم

كنون آمدم تاچه فرمان دهى ... تو شاه جهاندارى ومن رهى

(٢) المرجع نفسه : حـ ٢ ص ٣٨٠ ، وسبق إيرادها .

(٣) نفس المرجع والجزء والصفحة ، وسبق إيراده .

عرشها مدة سبع سنوات [1]:

ـ وقد استولى على كل بلاد الصين وخطا وختن ، أخذها كلها بقوة السيف .

ـ وجلس البطل على عرشه ، ومرغ حظه (افراسياب) فى التراب .

ومع ذلك لم يفكر مطلقا في الاستيلاء على عرش كيكاوس،بدلا من ملاقاة الصعاب فى فك أسره المرة تلو الأخرى .

أما « **شوقى** » فيمثل « قمبيز » له عدواً لبلاده قضى على استقلالها ، وجعلها تابعة للامبراطورية الفارسية قرنين من الزمان تقريباً ، وحطم مكانة بلاده التى كانت قد وصلت اليها . لذا كان من الطبيعى أن تكون عاطفته عاطفة عدائية تجاهه ، وهو فى النهاية لا يجد فيه إلا مجنوناً لا يستحق الرثاء يقول على لسان المصريين [2]:

انظر أحى الفُـرْسَ وما نابَهُـمْ   شقّوا على المجنـون أثوابَهُـمْ

فيبدو أن العاطفة العدائية للشاعر قد تغلبت فى النهاية على محاولاته السابقة التى حاول فيها أن يكون معتدلاً فى تصوير الشخصية .

كما أجرى شوقى على ألسنة شخوصه من الفرس بعض الأحاديث التى تبين عدم ولائهم للملك ، وطموح بعضهم لعرش المُلك ، ويتضح هذا من الحوارالتالى بين بعض أعضاء الوفد الفارسى [3]:

الثانى : خلّنا باللـه من سـا   س ودعنا من يسـوس

---

(1) شاهنامة فردوس : حـ ٣ ص ٧٠٤ ، الأبيات بالفارسية :

همـه مـرز چين باخطا وختن   كفَـتش ببـازوى شـمـشـيـرزن

تهـمتن نشـست از برتخت اوى   بخـاك اندر آمـد سـربخت وى

(2) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٤٤٤ .

(3) المرجع السابق : ص ٣٧٤ .

لم نظلُ الدهر مرءو سينَ والغيرُ الرئيس
لِمَ « مانى » لا أنا رذْ لٌ ولا أنت خسيسُ

الأول : كلُّ ما أعجبت كسرى فهو فى الفُرس نفيسُ
كلُّ حين حاكمٌ يمشى علينا ويدوس
هكذا يختلفُ الحظُّ سعودٌ ونحوس
إن بعض الناسِ أذنابٌ لبعض هُمْ رؤوس

الأول : لمَ يا « مانى » يسودو ن ونبقى لا نسود
ونقادُ الدهرَ والآخرُ يا « مانى » يقود

....

آخر : أنا يا « مانى» طموحَ أنا لا أُكتمُ عنكا
أنا فى الدنيا وفى زينتها أرغبُ منكا

وأعتقد أن « شوقيا » قد ساق مثل هذه الأفكار على ألسنة الوفد الفارسى إما بسبب ضيقه بهذا الملك وكرهه له ، وضيقه عموماً بمثل هؤلاء الحكام الجبابرة ، وإما لأنه اطلع على الشاهنامة وقرأ فيها مثل هذه الأحاديث التى دارت حول « كيكاوس » والتى يبدو فيها ضيق قادته به وبأخلاقه ،فأخنها على هذا المحمل ، بغض النظر عن اعتناق الفرس لفكرة الحق الإلهى للملوك فى الحكم ، وكانت فكرتهم فى هذا ـ كما يذكر د. طه ندا ـ أن الملك منحة إلهية خصت بها الآلهة فئة معينة من الناس هم الملوك ، ومن ينتمون إليهم ، فمن كان من أصل ملكى حق له أن يملك ، ومن لم يكن كذلك ، فلا حق له فى الملك مهما تكن مزاياه ومقدرته ، وها هو رستم يرسل لكيكاوس خفية وهو فى محبسه بها ماوران يبين له أن سلامة الملك الشخصية هى هدفه الأساسى، فيقول [(١)] :

---

(١) شاهنامة فردوسى : حـ ٢ ص ٣٩٧ ، سبق إيرادها .

ـ لقد اجتمع ثلاثة ملوك ، واتجهوا لمحاربتى .

ـ وإذا نهضت أنا لمحاربتهم ، فلن أبقى منهم أحداً .

ـ لكننى لا أريد أن يصاب الملك بسوء من هذا ، فمن أهل السوء يأتى السوء .

ـ وماذا أصنع أنا بعرش البربر ، إذا أصاب الملك ضرر .

من هنا يتضح أن إجراء مثل هذه الأحاديث على ألسنة الوفد الفارسى خروج على هذا المعتقد الذى اعتقد فيه الفرس منذ القديم .

المصادر التى اعتمدا عليها :

اختلفت مصادر الشاعرين التى اعتمدا عليها كل منهما ، واستمدا منها مادتهما الشعرية ، فقد اعتمد الفردوسى ـ كما ذكرنا آنفا ـ على الشاهنامة المنصورية اعتماداً مباشراً واستمد منها معظم مادة ملحمتة ، وقد اعتمدت هذه الشاهنامة كما ذكرنا قبلاً على كتب « خداى نامه » سير الملوك التى اختلطت فيها الأساطير الدينية المستمدة من الأفستا وغيرها من المصادر الدينية بالقصص الشعبى وقصص الأبطال القوميين ، واختلطت سيرتهم بسيرة ملوك الهخامنشيين ـ كما رأينا فى قصة كيكاوس ـ ويزيد هذا الاختلاط كلما اقترب هذا العهد من نهايته فتتوحد سيرة الهخامنشيين المتأخرين بسيرة ملوك الكيانيين . وتتسم هذه الشاهنامة أيضا بالاحتفال بسيرة الأبطال القوميين والشعبيين والتفصيل فى سيرتهم بحيث تصبح هذه السمة مميزة لها أكثرمن باقى الشاهنامات ، والدليل على ذلك أننا نجد مزيداً من تفاصيل سير هؤلاء الأبطال فى الشاهنامات التى اعتمدت عليها مثل شاهنامة الفردوسى وشاهنامة الثعالبى ، وقد صرح هو أيضا باعتماده على الشاهنامة المنصورية ، ويضيف « براون » إنه قد برزت سلسلة من الأحداث والبطولات القومية التى لا وجود لها فى الأفستا ، أحداث وبطولات تتصل بمجموعة من الأبطال والمحاربين الذين ينتمون لإحدى الأسر الكبيرة فى سيستان وزابلستان ، ومن الأسماء التى تلفت النظر أكثر من سواها : نريمان

وسام وزال ورستم وسهراب ، وأهم شخص من بينها هو رستم [1]، ولعل هذا هو سبب تردد اسم رستم على الدوام فى قصة « كيكاوس » كما هو واضح فى الأشعار السابقة .

أما « شوقى » فقد اعتمد اعتماداً أساسياً ـ مثلما رأينا قبلاً ـ على كتاب تاريخ هيرودوت المؤلف حوالى سنة ٤٤٧ ق . م ، ويعد من أهم المصادر التى يعتمد عليها فى تسجيل سيرة ملوك الهخامنشيين (٥٥٩ ـ ٣٣٠ ق . م) ويعد أيضا مصدراً رئيسياً لتاريخ مصر أبان فترة الغزو الفارسى ، وقد شهد له الكثير من الباحثين بصحة الأخبار التى أوردها ، وشهدت النقوش المسمارية بصحتها من جهة أخرى . كما يذكر براون [2]، وعلى الرغم من هذا فقد اختلط تاريخه ببعض القصص والأساطير ـ شأنه فى هذا شأن التواريخ القديمة كلها ـ ومع ذلك يبقى الطابع التاريخى هو الغالب على هذا الكتاب ، فإن كانت مصادر الفردوسى أساطير مختلطة بالتاريخ ، فإن مصادر « شوقى » هى تاريخ تشوبه بعض الأساطير.

وقد اعتمد « شوقى » أيضا ـ كما رأينا قبلا ـ على مصادر أخرى غير تاريخ هيرودوت استمد منها معلومات عن بعض عادات الفرس وتقاليدهم ومعتقداتهم ومسمياتهم إلى غير ذلك ، قد تكون الشاهنامة من بينها أو من أهمها ـ وأعتقد أن « شوقياً » قرأ الشاهنامة فى إحدى ترجماتها إما إلى العربية وهى الترجمة المشهورة بترجمة أبى الفتح البندارى ، وهى ترجمة نثرية مختصرة للشاهنامة قام بها سنة ٦٢٠ هـ أو سنة ٦٢١ هـ ـ كما يذكر د. عبد الوهاب عزام[3] ـ الذى نشر هذه الترجمة مع دراسة لها سنة ١٩٣٢ م أو يكون «شوقى» قد قرأ إحدى الترجمات لهذه الشاهنامة باللغة التركية التى كان يجيدها ، فيحدثنا د. طه ندا أن هناك ترجمة شعرية كاملة للشاهنامة إلى اللغة التركية قام بها على أفندى سنة ٩١٦ هـ . وهناك ترجمة نثرية أيضا قام بها أحد رجال

---

(١) تاريخ الأدب فى إيران : حـ ١ ص ١٩٦ .

(٢) تاريخ الأدب فى إيران : (الترجمة العربية) : حـ ١ ص ٥٩ .

(٣) مقدمة الشاهنامة العربية : ص ٩٦ .

البلاط فى عهد السلطان عثمانى ثانى سلاطين العثمانيين سنة ١٠٣٠ هـ، وفى سنة ١٠٦٢ هـ قام توكل بك بتلخيص الشاهنامة ، وترجمها إلى النثر التركى باسم « منتخب التواريخ » وقد ترجمت الشاهنامة ، أيضا إلى اللغة الفرنسية ترجمها إليها مول سنة ١٨٣٨ م وهى ترجمة تقع فى سبعة مجلدات من الحجم الكبير ، ومصدرة بمقدمات قيمة (١).

أقول إن شاعراً مثقفاً مثل « أحمد شوقى » لن يفوته أن يطلع على مثل هذا التراث عندما يريد أن يكتب عن ملك فارسى ، خاصة وأن هذا التراث كان فى متناول يده بلغات ثلاث يجيدها خير إجادة وهى العربية والتركية والفرنسية .

المعلومات الجغرافية :

اختلف موقف الشاعرين أيضا من المعلومات الجغرافية ، فأحدهما وهو الفردوسى كانت المعلومات الجغرافية عنده فيها خلط ولبس وأخطاء جغرافية ، تتلاشى عنده المسافات الشاسعة بين الدول البعيدة، وتصبح كأنها بلاد متلاصقة، يقول عن مصر واليمن وبلاد البربر (ربما يقصد بها الحبشة أو السودان) (٢):

ـ وأخذ يحث الخطى إلى أن وصل إلى مدينة بين ثلاث مدن .

ـ عن اليسار مصر ، والبربر عن اليمين ، وأمامه بحر زره كما يريد .

ـ وهذا بالقرب من مدينة هاماوران ، وقد جاء جيش جرار من كل إقليم .

فجعل مصر واليمن وبلاد البربر متجاورة متلاصقة كأنها مدن فى مملكة واحدة ، لا دول تفصل بينها آلاف الأميال .

ويقول عن مسير الملك إلى بلاد توران (٣):

ـ ولما فرغ من فرض الجزية على توران والصين ، عبر إلى مكران .

---

(١) دراسات فى الشاهنامة : ص ١١٢ ـ ١١٥ .

(٢) شاهنامة فردوسى : حـ ٢ ص ٣٨٢ ، سبق إيرادها .

(٣) المرجع نفسه : حـ ٢ ، ص ٣٨١ ، سبق إيرادها .

يعلق د. طه ندا على هذا البيت بقوله إن الشاعر يجعل مكران على حدود الصين ، وهى تقع إلى الجنوب تماماً من بلدته [١] .

أما شوقى فمعلوماته الجغرافية صحيحة وسليمة فقد ذكر أن وقائع قصته تدور فى « سوس » عاصمة إيران وهذا صحيح وأن منفيس عاصمة مصر فى القرن السادس ق . م وأن صا الحجر مقر البلاط الملكى [٢] ، وهذا كله صحيح من الناحية الجغرافية والتاريخية .

ثانيا : نواحى التشابه بين الشاعرين :

من نواحى التشابه بين الشاعرين موقف كل منهما من مصادره فكان الفردوسى بشهادة جميع دارسيه أميناً تجاه المصادر التى نقل منها ، فلم يغير فى قليل أو كثير من المادة التى ينقل عنها ، يقول براون إنه اتضح له بعد أن قارن بين النسخة پهلوية المسماة باسم « كارنامك ارتخشتر بابكان » وبين ما جاء فى الشاهنامة عن « أردشير بابكان » الفردوسى كان أميناً تجاه مصادره التى ينتقل عنها [٣] . ويذكر نولدكه أيضا أنه قابل قصة مقتل زرير كما جاءت عند الفردوسى وبين النسخة الپهلوية فوجده أيضا لم يغير شيئاً عما جاء فى الأصل [٤] ، ويذكر د. ذبيح الله صفا أن تصرف الفردوسى كان فى بيان الغرض، وإضافة قوة التخييل والتعبير عن المضامين الشعرية [٥] ، كما كان يتصرف فى ترتيب القصة ـ كما رأينا فى قصة كيكاوس ـ ويقول عنه د. طه ندا إنه مما يؤيد أمانة الشاعر فى النقل مطابقة الصفات التى تخلعها الشاهنامة على أبطالها مثل جمشيد وفريدون ومنوچهر للصفات التى تضفيها الكتب الدينية على هؤلاء الأبطال [٦] ، وقد اتضح لنا أيضا مطابقة ما جاء عند الفردوسى من صفات

---

(١) دراسات فى الشاهنامة : ص ٣٠٣ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٣٤٩ .

(٣) تاريخ الأدب فى إيران : حـ ١ ص ٢٠٣ .

(٤) حماسة ملى ايران : ص ٨ .

(٥) حماسة سرائى : ص ١٨٤ .

(٦) دراسات فى الشاهنامة : ص ٢٨٥ .

ملازمة لكيكاوس لما جاء عن « كيكاوس » فى أقدم المصادر البهلوية ، وما ذُكر عنه أيضا فى مصادر التاريخ الإسلامى ، ولو كان الشاعر قد غير فى منظومته لكان حرياً به أن يُغير فى تلك الصفات التى تصف « كيكاوس » بالنزق والحمق وغيرها من الصفات غير اللائقة ، لكنه اثبتها له كما جاءت مما يدل على أمانته .

أما ما تضمنته الشاهنامة عن التورانيين واحتقارهم وعن العداء للعرب فهى من النزعات الموجودة فى النصوص التى نظم عنها الفردوسى ـ كما يذكر د. طه ندا ـ وأعتقدُ أن الشاعر لعب دوراً فى إبراز بعض الصور أو التقليل من شأن البعض عن طريق الإلحاح على هذه الصور وإبرازها من خلال التطويل فيها ، والتكرار فى المناسبات المختلفة ، مثلما فعل فى قصة « سودابة » ابنة ملك اليمن العربى فهى ساحرة ماكرة ابنة ماكر محتال ، تسبب أبوها بمكره فى الإيقاع بكيكاوس فى أسره ، كما تسببت هى بمكرها ودهائها ورغبتها المحرمة فى مقتل « سياوش » ابن « كيكاوس » الذى يمثل نموذج الرجولة الحقة عند الإيرانيين ، ولا ينسى الفردوسى فى كل موقف أن « سودابة » ابنة ملك هاماوران العربى ، ولا بد أن يُعيد ويزيد فى أنها سبب بلاء « سياوش » وكلما ضاقت السبل على «سياوش» يذكر سودابه ومعاناته يسببها ، ليشعل نار الحقد من جديد ضدها ، ولا يرتاح إلاّ بعد أن تُقتل على يد رستم . يقول عنها فى أحد المواقف التى أرادت فيها أن توقع بين سياوش وأبيه فلم تفلح ، فأخذت تبحث عن حيلة أخرى (1) :

ـ لما علمت سودابه أنها صارت ذليلة ، ولم يتعلق بها قلب الملك .

ـ بحثت عن حيلة قذرة ، من الحقد الذى زرعه بنوها فى شجرتها .

فهو هنا لا ينسى أن ينسب الحقد إلى بنيها كلهم ، وأنهم قد زرعوا فيها بذرة هذا الحقد .

(1) شاهنامةفردوس : حـ ٣ ص ٥٤٥ ، الأبيات بالفارسية :

چو دانست سودابه كوكَشت خوار نيا ويخت باوى دل شهريار
يكى چاره جست اندران كارزشت زكينه بنوى درختى بكشت

حتى « كيكاوس » الذى كان عاشقاً لها لا ينسى أبداً أنها ابنة عدوه ملك « هاماوران » فنراه ينصح ابنه « سياوش » عندما أراده أن يتزوج أن يختار واحدة من بنات عميه « كى ارش » أو « كى پشين » ولا يختار واحدة من بنات سودابة يقول [١] :

ـ إنى علمت من كلام أصحاب النجوم ، والموابدة .

ـ أنه سيأتى من عقبك ، ملك يذيع صيته فى الدنيا .

ـ والآن عليك أن تختار من بنات العظماء ، فاختر إحدى بنات كى پشين .

ـ وهناك أخرى من بنات كى أرش ، وغيرهن مزدانات فى كل ناحية .

فأجابه سياوش :

ـ إننى عبد الملك ، وأحنى رأسى لأمره ورأيه .

ـ ولكن ينبغى ألا تعلم سودابه بذلك ، فإنها لن ترضى به .

فكأن الملك عندما علم من المنجمين أن ابنه سينجب ولداً يصبح ملكاً مشهوراً ضن بهذا الملك المشهور أن تكون أمه بنتاً من بنات « سودابه » وأن تجرى فى عروقه الدماء العربية .

أقول إن الشاعر وإن كان قد لعب دوراً مهماً فى التخييل وإبراز المضمامين الشعرية ، إلى جانب إظهار بعض الصور عن طريق الإلحاح عليها إلاّ أنه كان مقيداً بما لديه من نصوص ولعل هذا يرجع إلى عصبية الشاعر لما اعتقد أنه

---

(١) المرجع السابق : حـ ٣ ص ٥٣٧ ، الأبيات بالفارسية :

چنين يا فتم اخترترا نشانى   زكَفت ستاره شمر موبدان
كه ازپشت تو شهريارى بود   كه اندر جهان يادكَارى بود
كنون زبزركَان زنى بركزين   نكَه كن پس پردة كى پشين
بخان كى آرش دكَر نيزهست   زهر سو بياراى وبكَشاى دست
بدو كَفت من شاه را بنده ام   بفرمان ورايش سر افكَنده ام
مبادا كه سودابه اين بشنود   دكَر كَونه كَويد بدين نكَرود

تاريخ قديم لأجداده ، فنظر إليه نظرة التقديس والاحترام ولم يرض لنفسه أن يُغير فيه حرفاً كما قلنا من قبل .

أما شوقى فكان أميناً هو أيضا بالنسبة لمصادره التى نقل عنها ، فلم يُغير الأحداث التاريخية الأساسية ، فجعل قمبيز مثلاً يغزو مصر ، وينتصر على ملكها ـ كما هو مثبت فى المصادر التاريخية ، وجعله يقتل أخاه وأخته . كما اختار من الروايات التاريخية تلك الرواية التى تقول إنه انتحر ، واختار أيضا الرواية التى تقول إنه طعن عجل « أبيس » وبهذا يكون « شوقى » قد حقق روح التاريخ العامة ، ولم يتقيد بالتفاصيل ، وهذا من حقه كشاعر ، وإن كان العقاد قد غبنه هذا الحق وأنكره عليه فى نقده لهذه الرواية إلا أن « شوقياً » كان واعياً بحقوقه فى التصرف فى القصص والأساطير التى لا تغير من حوادث التاريخ ، فتصرف معها على هذا الأساس، ولم يتصرف معها كأنها نصوص مقدسة لا يحق له تغييرها مثلما فعل الفردوسى ، لكنه تصرف معها بحرية أكثر ، من ذلك تغييره فى قصة نتيتاس بحيث جعلها هى التى تضحى بنفسها وتسعى للزواج من قمبيز فداء لوطنها ، وهذا غير ما ذكره «هيرودوت» الذى جعل « نتيتاس » هى التى تستعدى « قمبيز » على فرعون مصر . فشوقى كان عارفاً أن هذا ضرب من القصص ومن حقه أن يتصرف فيه وفقاً لمقتضيات فنه ، وألقى بالمسئولية على فانيس القائد اليونانى المرتزق ، وجعله هو الذى يشى بنتيتاس عند قمبيز . وقد أضاف «شوقى» هذه التغييرات والمعانى ، استجابة لدواع فنية وفكرية ، فقد أراد أن يجعل من الأميرة المصرية « نتيتاس » بطلة وطنية ليبث عن طريقها الحماسة والوعى فى مواطنيه ، إيمانا منه بحريته كأديب فى الاختيار والتغيير بحيث لا يؤثر على مجريات التاريخ ذاته .

الغاية من العمل الفنى :

وأخيراً اتفقت غاية الشاعرين من تقديم عمله الفنى هذا ، **فالفردوسى** الشاعر الفارسى نظم ملحمته الشاهنامة بالفارسية مخاطباً بها جمهور الفرس دون غيرهم، وقد أخذ على عاتقه بث الروح فى الحدث ، وحشده بطاقة تصويرية

وشعورية لغاية قومية ، إذا كان يهدف إلى إيقاظ الروح القومية الفارسية لدى مواطنيه ، ويقول د. طه ندا إن للشاهنامة فضلاً على الإيرانيين فى هذه الناحية فقد كان الشعور الوطنى والعصبية الوطنية ضعيفين عند الإيرانيين بعد الفتح الإسلامى ، وعملت الحكومات العربية على إخماد الروح الوطنى عندهم ، ولم يعد للإيرانى علم بتاريخ بلاده القديم ، ولا بحضارتها التليدة ، فلما جاءت الشاهنامة وتداولها الإيرانيون ، سرت فيهم روح جديدة وأحسوا بشخصيتهم وكيانهم ومقوماتهم الذاتية وأخذوا يصلون حاضرهم بماضيهم بعد أن كانت الصلة بينهما منقطعة . وقد اتخذ الفردوس كل الوسائل المتاحة له كفنان للوصول إلى هدفه من تخييل ولغة سهلة واضحة وجمل قصيرة ، ومن مبالغات وعبارات جذابة ومن تشويق فى القصة وتصيل فى حوادثها . كل الوسائل استخدمها الشاعر عدا تزييف الحقائق أو تغييرها .

وكان « **شوقى** » أيضا شاعراً متقد الوعى مشبوب العاطفة بالروح الوطنية ، وقد أخذ على عاتقه أن يوقظ إحساس مواطنيه ووعى أمته العربية ، فأخذ يلح على التاريخ يستمد منه موضوعات معظم مسرحياته لغاية قومية وطنية أيضا ، بث من خلالها آراءه فى مجتمعه وفى آفاقه وقضاياه التى عاصرها من خلال مسرحياته . وقد سئل « شوقى » عن سبب اختياره لفترات الضعف التاريخيه فأجاب : لأنها تشبه ما نجتازه من فترة . وفى هذا ما يدعم أنه قصد أن يبث بعض آرائه الجريئة فى تلك المسرحيات ، لم يكن يستطيع أن يفضى بها صراحة فى الشعر الغنائى(٢) . ويتضح هذا من مسرحية« قمبيز » حيث جعل « نتيتاس » البطلة الحقيقية لمسرحيته ، وصورها مثال التضحية والفداء فى حبها لوطنها وجعلها إيجابية فى هذا الحب تنضم للمقاومة الشعبية فى طيبة ، كما انتقد نواحى الضعف فى الجيش المصرى ، مثل عدم اهتمام مصر بجيشها ، وجاء ذلك على

---

(١) دراسات فى الشاهنامة : ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٢) د. محمد غنيمى هلال : فى النقد المسرحى : ص ٩٤ . بيروت سنة ١٩٧٥ م .

لسان أحد الفرس حيث يقول [١] :

أخى ما رأيت بمصر الجنـــــود ... ولم يأخذ العين منهم أحـــــــد
سوى فتية من جنود القصــــور ... وضباطها فى الثياب الجـــــدد
يروحون فى الخـــــوذ اللامعات ... ويغدون فى الذهب المتقـــــــد

فيعقب الفارسى على ذلك بقوله :

إذن هو ملك بلا حــــــائط ... رقيق الأساس ضعيف العمـــــــد
خلا الوكر من صرخات العقا ... ب ونامتْ عن الغاب عين الأســـد
أولئك لا فى حماة الديــــا ... رِ ولا فى العديد ولا فى العـــــدد

وتلك هى العبرة المستخلصة من هذا الدرس الوطنى ، فشوقى لم يقصد أبداً الحط من شأن مصر وجيشها ـ كما ذكر العقاد [٢] ـ بقدر ما قصد التنبيه على بعض نواحى الضعف المعاصرة له وحث همم المصريين على الاهتمام بجيشها فالملك بلا جيش « هو ملك بلا حائط » يحميه ويدافع عنه .

كما انتقد « شوقى » أيضا وجود الجنود المرتزقة فى صفوف الجيش فيقول[٣] :

أصبـــــح الجيـــــــش ... كالقطيع اختلفت فيه الجـــــلود
حُشِرَ اليونان فى رايتـــــــه ... وتراغى الزنج وانـــدسّ العبيـــــد

وهنا أيضا مشاكلة بين الماضى وحاضر شوقى حيث كان الجيش المصرى خليطا من الأتراك والشراكسة وكان المصرى فيه محتقراً .

---

(١) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٣٦٣ .
(٢) راجع قمبيز فى الميزان : ص ٤٢٠ .
(٣) المسرحيات : ص ٤١٦ .

ولم يقتصر شوقى على ذكر نواحى الضعف فى الجيش المصرى والتنبيه لها فقط فى تنبيه الوعى المصرى ، وإنما رغب أيضا فى بث الحماسة فى نفوس المصريين عن طريق بيان ما كان عليه أجدادهم من تقدم ، وتحضر وسبق حضارى ، وجعل الاعتراف لهم بهذا الفضل يأتى على ألسنة أعدائهم من الفرس ليكون هذا الفضل والإعجاب مضاعفاً ، يقول على لسان أحد الفرس [1] :

وجدت وجـوهاً عليها النعيـــــمُ ودنيا على جانبيها الرَّغــــــدْ
وسوقاً تفض وســـوقاً تُقـــام وخلقاً يروح وخلقاً يفـــــدْ
وشعباً على خطـةٍ فى الحيــــاةِ ونظم به فى الشعوب انفــــردْ
ولم أر مثل صناعاتهـــــــم سُمُواً وبُعداً على المنتقـــــدْ

كل هذه المعانى والآراء بثها شوقى فى لغة رقيقة راقية ، وأسلوب عذب ، وأخيلة جميلة ومعانى مبدعة وموسيقى متنوعة تناسب الشعر الغنائى فلجأ إلى تنويع البحور الشعرية والاستعانة بها مجزوءة فى كثير من الأحيان لتناسب الحوار وسرعته .

وهكذا نرى أنه على الرغم من اختـلاف انتمـاء كل من الشـاعـرين فأحدهما فارسى ينتمى إلى القومية الإيرانية ، والآخر مصرى ينتمى إلى الوطنية المصرية والقومية العربية فإن كلاً منهما كان محباً لأمته منتمياً لها ، محاولاً تنبيه وعيها واستثارة حماسها عن طريق عمله الفنى هذا .

---

(١) الأعمال الكاملة (المسرحيات) : ص ٣٦٢ .

الخاتمة

خاتمة البحث

بعد أن عرضنا لقصة قمبيز (كيكاوس) كما جاءت فى شاهنامة الفردوسى وفى مسرحية شوقى، يمكننا القول أن كل شاعر من الشاعرين اعتمد فى نظمهما لهذه القصة على منابع غير التى اعتمد عليها الآخر .

أما الفردوسى : فقد اعتمد على منابع شفاهية ومكتوبة، أما المنابع الشفاهية فقد تمثلت فى «المأثور الشعبى» من حكايات وقصص وأحداث قديمة تناقلتها الأجيال المتتابعة عن طريق التوارث الشفاهى، و أهم مايميز هذا الموروث أنه جمعى أى ليس مقصوراً على فئة دون فئة أو طبقة دون طبقة من الشعب بل كان ميراثا شعبياً يملكه الشعب كله ويتوارثه وهو بهذه الصفة الجمعية لا يعنى برصد الأحداث التاريخية وتسجيلها بدقة وأمانة وإنما يعنى فى المقام الأول بتجسيدّ موقف الأمة الوجدانى والقيمى من الحياة والتاريخ . إن وظيفته الأولى هى الحفاظ على الوحدة القومية واستمراريتها عبر الأزمنة والأحداث سواء فى الداخل أو الخارج .

وبهذه الوظيفة المميزة لهذا الموروث الشعبى يكون **أولا** انتقائياً أى يأخذون من التاريخ فقط الأحداث التى تخدم الغرض منه، وقد يبدع الخيال الشعبى أحداثا لم تقع أصلاً لتسهم فى إثراء هنا الموروث دون أن يتوقف أحد للمتحيص أو التحقيق فى هذا البحث أو ذاك بموضوعية تاريخية . و **ثانيا** يكون الأحداث التاريخية بأبطالها وشخوصها مجرد رموز ينسج حولها الخيال الشعبى صوراً أسطورية فيها من الخيال قدر أكبر بكثير من الواقع . ومن ثم يمتزج التاريخ بالأسطورة بصورة يصعب الفصل بينهما . **وثالثا** ، لا يمتنع الوجدان الجمعى للشعب عن اقتراض صور أو مادة خيالية أسطورية من الأمم الأخرى وإدخالها فى مأثوراتهم الشعبية الأسطورية بغرض الإثراء والتوسيع **ورابعا**ً، ليس ثمة إجماع على ذكر الحدث التاريخى بصورة واحدة وإنما يأتى الحدث التاريخى فى صور عديدة وروايات متعددة تتفق فى الجوهر وتختلف فى التفاصيل تبعاً لتعدد

الخيالات التى انتجتها والأجيال التى حفظتها . وهكذا جاء تاريخ الفرس القديم مزيجاً من التاريخ والأسطورة الشعبية والدينية فى هذا التراث الذى احتفظ به الفرس لقرون طويلة ممتدة امتداد تاريخهم، وقد إنضاف لهذا المزيج أساطير دينية سُجلت فى مصادرهم القديمة وكُتب عباداتهم، وقد أخذ هذا المزيج بعد أن ألبس ثوب التاريخ وأعطى شكل وقائعه وأحداثه، و انقلب فيه الآلهه وقوى الخير و الشر الى ملوك وأبطال، وأُضيف إلى كل شخصية من الشخصيات صفات وأعمال تناسب ما كان لها من رمز للخير أو الشر فى الأساطير الدينية . **فكيكاوس** مثلاً هو فى الأساطير الدينية ذو صلة وثيقة بالشياطين، فهو فى الڤيدالهندية صاحب المقمعة التى قضى بها الإله (اندرا) على الشيطان (ڤرترا) وهو فى الأبستاق صاحب القلعة العجيبة التى كان يتحكم بواسطتها فى شياطين مازندران كما كان متحكماً فى جميع الممالك وما فيها من إنس وجن ؛ و تحدثنا الأساطير الدينية أيضا عن سوء خلقه وعناده ولجاجته وقد احتفظ بهذه السمات نفسها فى الروايات التاريخية الفارسية، فنسب إليه فيها مضيه لحرب شياطين مازندران وذهابه لحرب السماء ووصف فيها بالحمق والنزق وقلة العقل إلى غير هذه الأوصاف .

وهكذا رأينا القصة عند الفردوسى تتأثر بالمصادر التى استمدت منها مادتها فتأتى خرافية فى أغلبها تاريخية فى شكلها العام، تتغلب الأسطورة الدينية والشعبية لتصبح هى العنصر المسيطر على ماعداه من العناصر، يصعب فيها إلى حد كبير تمييز ما هو أسطورى عما هو تاريخى لأن العنصر التاريخى هو أقل العناصر الموجودة فيها . كما كانت مرتعاً لأساطير الأمم الآرية والإسرائيلية واليونانية والمصرية التى امتزجت معاً لتكون نسيج هذه الأسطورة .

أما «شوقى» فقد استقى مادته فى أغلبها من تاريخ هيرودوت ويُعد أوثق المصادر التى كتبت عن «قمبيز» وغزوه لمصر، وهو كتاب فى التاريخ حتى وإن مازجت أحداثه بعض القصص والأساطير إلا أن العنصر التاريخى يبقى هو العنصر المسيطر على باقى العناصر . ومن ثم انطبعت مسرحية «قمبيز» عند «شوقى» بهذا الطابع . فأصبح التاريخ هو العنصر السائد حتى وإن اختلطت به بعض القصص والأساطير ، وأصبحت الشخصية بما تأتيه من أعمال وما يصدر عنها من أفعال

أقرب لعالم الواقع من عالم الخيال .

فإذا انتقلنا إلى المقارنة بين الملكين فإننا نلاحظ أن الشخصية الأسطورية «كيكاوس» لها نفس ملامح الشخصية التاريخية «قمبيز» ونفس الصفات، كما أنضافت بعض أعمال الشخصية، التاريخية إلى الأسطورية، فأصبحت الشخصية الأسطورية تتسم بالطابع الحربى الذى غلب على سيرة «قمبيز» وقامت بحملات كثيرة تشبه تلك الحملات التاريخية التى قام بها فى الداخل والخارج ، كما اشتركا فى رغبتهما فى الزواج من ابنة أحد الملوك المعادين لهما، واشتركا فيما نسب إليهما من مقتل العجل المقدس والبقرة المقدسة، و مقتل «برديا» وأوشنر .

أما عن المقارنة بين الشاعرين فيتضح منها :

أولا: اختلاف القالب الفنى الذى اختاره كل منهما لعمله الفنى . و قد أدى هذا إلى فروق فى تناول العملين وطريقة التصوير لطبيعة الشخصيات، والاعتماد على الوصف أو السرد أو الحوار، وفقا لمقتضيات الفن للملحمى أو المسرحى ومن تركيز للأحداث أو تفصيل واستطراد . وانتقال لقصص جانبية .

ثانيا : اختلاف موقف الشاعرين الوجدانى و القيمى من شخصية قمبيز الملك الفارسى، فالفردوسى يتحدث من موقف الفخر والاعتزاز بهذا التاريخ وهذه الشخصية، أما «شوقى» فيتحدث عن عدو لبلاده قضى على استقلالها وجعلها تابعة للامبراطورية الفارسية لذا كانت مشاعره عدائية تجاهه وإن كان قد حاول التوسط والاعتدال فى تصويره .

ثالثا : اختلف موقف الشاعرين بالنسبة للمعلومات الجغرافية، فكان الفردوسى كثيرا ما يقع فى الخطأ بالنسبة لمواقع البلاد، أما شوقى فقد تميزت معلوماته بالدقة والصحة .

رابعا : اتفق موقف الشاعرين من مصادرهما، فكان الفردوسى أمينا تجاه المصادر التى نقل عنها لم يغير شيئا مما جاء بها واقتصر دوره على التصوير والتخييل والمضامين الشعرية، أضف إلى هذا إبراز بعض المعانى عن طريق تطويل

القصة والالحاح عليها ولعل تقيد الفردوسى الشديد بما جاء فى هذه المصادر نبع من تعصبه لهذا التراث ونظرة الاحترام والتقديس التى كان يكنها له .

أما شوقى فكانت نظرته لهذه الأمور أكثر وعياً وفهماً لدوره كمؤلف وحقوقه ككاتب فالتزم بروح التاريخ ومعناه العام وإن لم يتقيد كثيراً بالتفاصيل . كما غير الأحداث التى قد تدخل فى عداد الأساطير والقصص حتى تتفق مع غايته من عمله الفنى بينما تقيد بالأحداث التاريخية القاطعة والثابته .

خامسا : اتفقت غاية الشاعرين من تقديم عملهما الفنى وإن كانت توجهاتهما قد اختلفت، فكل منهما تقدم بعمله لأمته بهدف إيقاظ الوعى القومى لديها، وإن كان أحدهما وهو الفردوسى يتقدم بملحمته من أجل إيقاظ الروح القومية الايرانية لدى مواطنيه، أما شوقى فيتقدم بمسرحيته لمواطنيه من المصريين لينبه على عوامل الضعف والوهن التى أدت إلى وقوع بلاده فريسة للاحتلال أمس، (وما أشبه البارحة باليوم) وهدف أيضا إلى ضرب المثل بتضحية الأميرة المصرية بنفسها ليثير فيهم الحماسة والحمية الوطنية .

قائمة بأهم المصادر والمراجع

العربية والفارسية

أولا: المصادر والمراجع العربية.

١ـ الآثار الباقية: أبور ريحان البيروني ـ مكتبة المتبنى بغداد.

٢ـ الأدب الفارسي في العصر الغزنوى: د.على الشابى ـ تونى سنة ١٩٦٢م

٣ـ الأدب المقارن: د محمد غنيمى هلال ـ الطبعة الثالثة ـ الأنجلو سنة ١٩٦٣م.

٤ـ الأعمال الكاملة(المسرحيات): أحمد شوقى ـ الهيئة العامة للكتاب سنة١٩٨٤م.

٥ـ إيران فى عهد الساسانيين: آرثركريستنسن ـ ترجمة د.يحيى الخشاب ـ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة سنة١٩٥٧م.

٦ـ الإيرانيون القدماء: د.عبد النعيم حسنين ـ دار الرائد العربى ـ القاهرة سنة ١٩٧٤م.

٧ـ تاريخ الأدب فى إيران: ادوارد براون ـ ترجمة د.أحمد كمال الدين حلمى الجزء الأول ـ ط جامعة الكويت سنة ١٩٨٤م.

٨ـ تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبرى): أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ـ تحقيق محمد أبو الفضل ـ الجزء الأول ـ دار المعارف ـ الطبعة الرابعة.

٩ـ تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء: حمزة بن الحسن الأصفهانى. مطبعة كاويانى ـ برلين.

١٠ـ تاريخ مصر القديمة: د.رمضان السيد ـ الجزء الثانى ـ ط هيئة الآثار المصرية.

١١ـ التنبية والإشراف: أبو الحسن بن الحسين بن على المسعودى ـ مطبعة بريل ليون سنة ١٨٦٣م.

١٢ـ جـوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر: جمع وتعليق د.نور الدين آل على: ـ القاهرة ١٩٧٥م.

١٣ـ دراسات فى الشاهنامة: د. طه ندا ـ الداز المصرية للطباعة سنة١٩٥٤م.

١٤- رواية قمبيز فى الميزان: عباس محمود العقاد القاهرة سنة ١٩٣٢م.

١٥ـ الشاهنامة العربية: ترجمة الفتح بن على البندارى ـ صححها وقدم لها د.عبد الوهاب عزام ـ دار الكتب المصرية ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢م.

١٦ـ شعر شوقى الغنائى والمسرحى: د.طه وادى ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف سنة ١٩٨٥م.

١٧ـ الشعر المسرحى فى الأدب المصرى المعاصر د.كمال محمد إسماعيل الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١م.

١٨ـ الغرر فى أخبار ملوك الفرس: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى ـ زوتنبرج ـ باريس.

١٩ـ الفهرست: ابن النديم ـ المطبعة الرحمانية ـ مصر سنة ١٣٤٨هـ.

٢٠- فى النقد المسرحى: د. محمد غنيمى هلال ـ بيروت سنة ١٩٧٥م.

٢١ـ قصة الحضارة: ول ديور انت ـ ترجمة محمد بدران ـ الجزء الثانى ـ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢٢ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن بن الحسين بن على المسعودى. تحقيق محمد محيى عبد الحميد ـ المكتبة الإسلامية بيروت.

٢٣ـ المسرح: د. محمد مندور ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف.

٢٤ـ المسرح الشعرى بين شوقى وأباظه: د.سعد عبد المقصود ظلام ـ الطبعة الأولى دار المنار للنشر سنة ١٩٨٨م.

٢٥ـ مسرحيات شوقي: د.محمد مندور القاهرة ـ سنة ١٩٨٢م.

٢٦ـ المسرحية فى شعر شوقى: محمود حامد شوكت ـ مطبعة المؤلف سنة١٩٤٧م.

٢٧ـ مصر القديمة: د.سليم حسن ـ الجزء الثالث عشر - طالقاهرة.

٢٨ـ مصر والشرق الأدنى القديم: د.محمد بيومى مهران ـ جزء الثالث ـ المطبعة الرابعة دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية سنة ١٩٨٨م.

٢٩ـ هيرودوت: أ ج ايفانز ـ ترجمة أمين سلامة.

٣٠ـ هيرودوت يتحدث عن مصر: ترجمة ـ محمد صقر خفاجة ـ دار القلم سنة ١٩٦٦م.

ثانياً المصادر والمراجع الفارسية:

١ـ إيران نامه (كارنامه ايرانيان): عباس پور محمد شوشترى ـ فاروس تهران سنة ١٣٣١س.

٢- تاريخ إيران: سيرپرس سايكس ـ ترجمه محمد تقى فخر كيلانى.

٣ـ تاريخ ايران:حسن پيرانيا، عباس إقبال أشتيانى ـ انتشارات كتابخانه خيام ـ تهران.

٤ـ چهار مقاله: نظامى عروضى سمر قندى ـ تحقيق د.محمد معين ـ انتشارات كتابفروشى تهران.

٥ـ حماسة سرائى درايران: د. ذبيح الله صفا ـ ط خودكار ـ ايران سنة ١٣٢٤س.

٦ـ حماسهٔ ملى ايران: تئودور نولد كه ـ ترجمة بزركَ علوى ـ انتشارات دانشكَاه تهران.

٧ـ شاهنامة فردوسی: أبو القاسم فردوسی ـ کتابخانه ومطبعه بروخیم طهران سنة ١٣١٣س.

٨ـ هزار سال نترپارسی: کریم کشاورزی - چاپ شرکت سهامی ایفست ـ تهران سنة ١٣٤٥هـ.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1- HERODTUS : The Histories .Book 3 Translated by Aubrey .

فهـــرس البحث

فهرس البحث

رقم الإيــداع: ٥٨٣٠ / ٩٧

1.S. B. N. 977 - 03 - 9873 - x

مركز الدلتا للطباعة

٢٤ شارع الدلتا - اسبورتنج

: ٥٩٥١٩٢٣